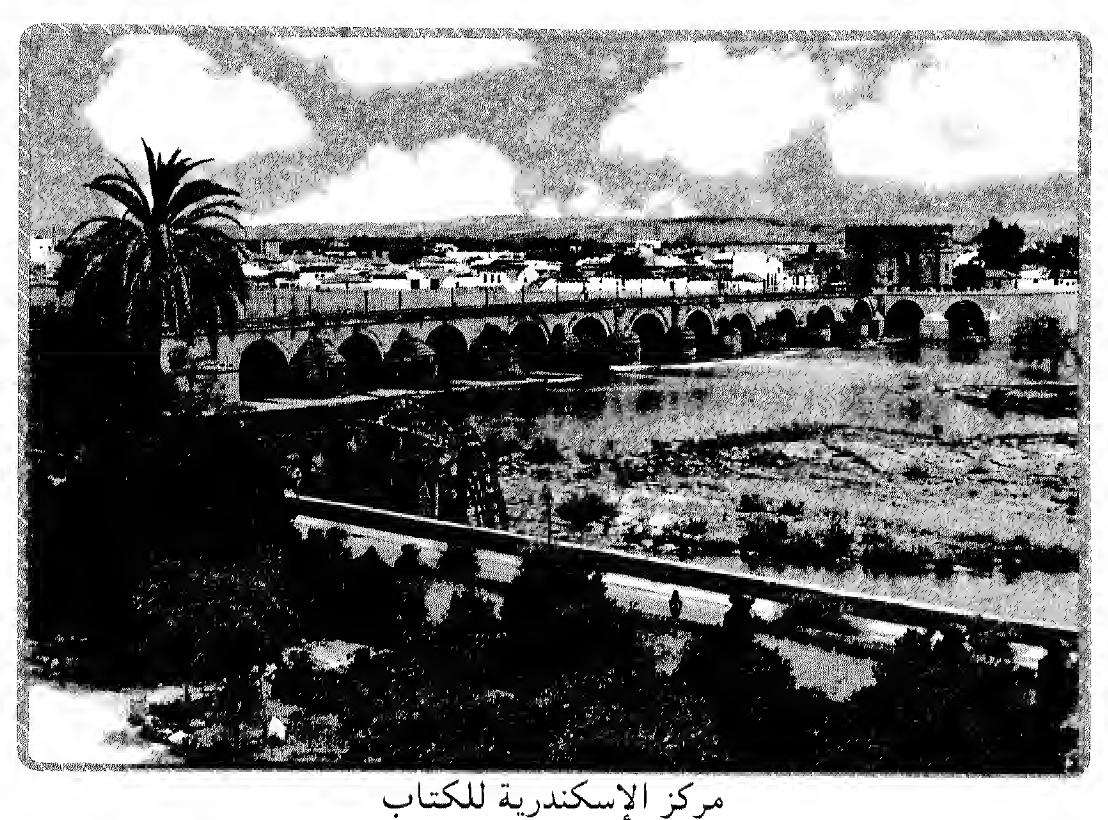
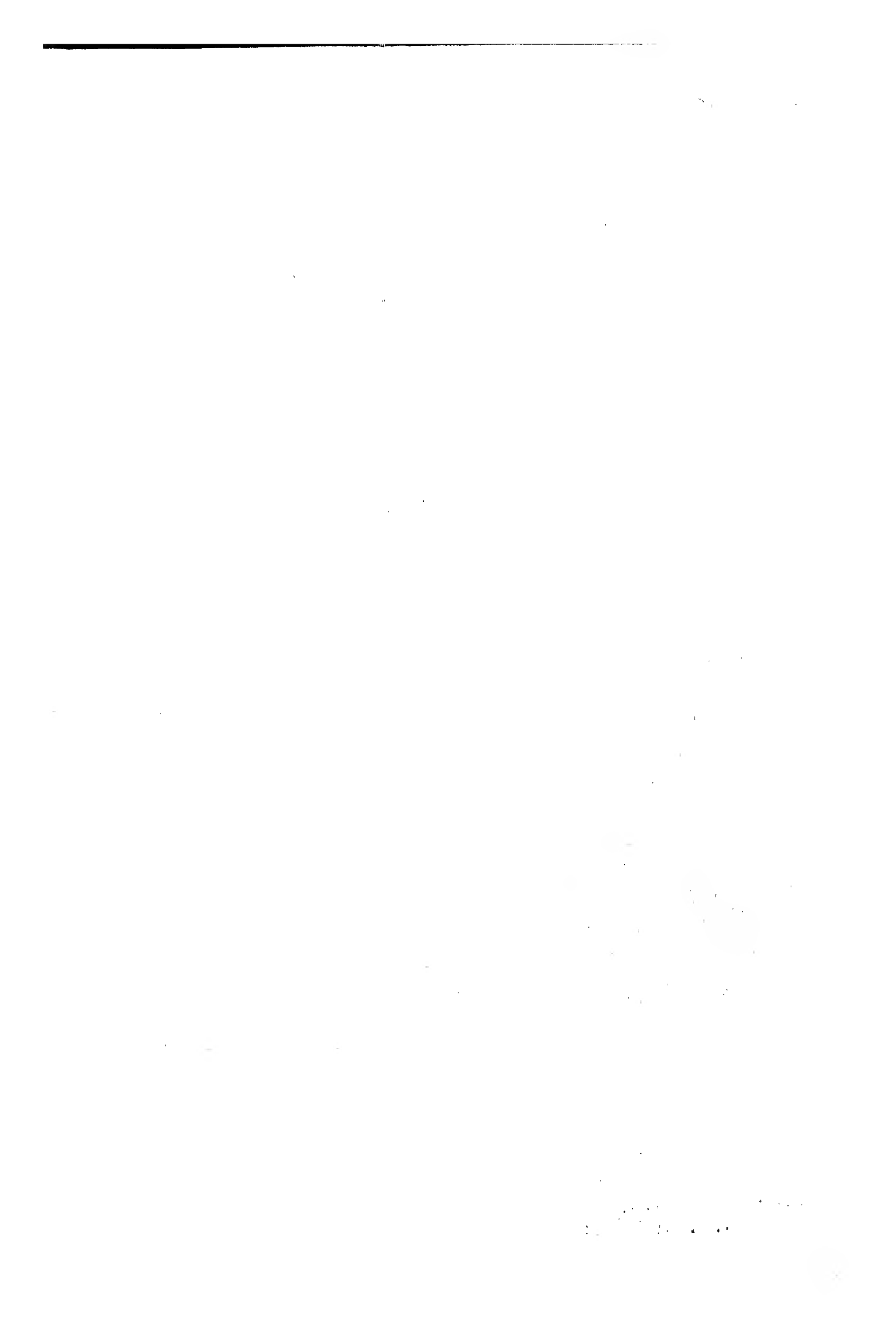
دراسات اندلسية فى التاريخ و الحضارة

الأستاذ الدكتور
كمال السيد أبو مصطفى
أستاذ التاريخ الأسلامى و الحضارة الاسلامية
بكلية التربية - جامعة الاسكندرية



مركز الإسكندرية للكتاب
٤٦ شارع الدكتور مصطفى مشرفة
ت : ٤٨٢٦٥٠٨ الإسكندرية



دراسـات أنـدلسية
فى التاريخ والحضارة

دكتور

كمال السيد أبو مصطفى

أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية

بكلية التربية - جامعة الأسكندرية



مركز الأسكندرية للكتاب
٤٦ ش الدكتور مصطفى مشرفة - الأزاريطة
تليفون وفاكس : ٤٨٢٦٥٠٨
- ١٩٩٧ -





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يضم كتاب دراسات أندلسية في التاريخ والحضارة ثلاثة بحوث هي :

١) صور من المجتمع الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن رشد القرطبي

٢) شخصيات مغمورة من البيت الأموي في الأندلس في عصر الدولة الأموية.

٣) الثغر الأوسط الأندلسي في عصر الدولة الأموية .

وقد تناولت في البحث الأول بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في الأندلس من خلال مصدر جديد يُطلق عليه كتب النوازل والفتاوى الفقهية وبالتحديد من خلال نوازل الفقيه القاضي ابن رشد القرطبي (المعروف بالجد)، وأشرت في بداية البحث إلى أهمية نوازل ابن رشد في دراسة المجتمع الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين ثم أوضحت من خلال دراستي للنوازل أهم الطبقات والفئات الاجتماعية في الأندلس مثل طبقة الخاصة وطبقة المؤدبين والجند، وأعقبت ذلك بالإشارة إلى الأسرة ودور المرأة في المجتمع الأندلسي خلال الفترة موضوع البحث، علاوة على العلاقات بين الجيران ودراسة بعد مظاهر الحياة الدينية، وملامح الريف الأندلسي، والعملات الأندلسية التي كان يتعامل بها أفراد المجتمع الأندلسي آنذاك، وأخيراً ألمحت إلى تأثير الفتن والحروب على الأوضاع الاجتماع والاقتصادية.

وفي البحث الثاني وعنوانه: شخصيات مغمورة من البيت الأموي في الأندلسي في عصر الدولة الأموية، ركّزت على دراسة تلك الشخصيات الأموية

المغمورة التي لم تسلط عليها أضواء التاريخ، والتي لم يرد لها ذكر في المصادر إلا عرضاً وباقتضاب شديد، وبالتالي لم يهتم بدراستها الباحثون الحديثون رغم دورها المؤثر في حوادث العصر، ولذا قمت بإبراز إسهامها السياسي والحربي والعلمي والعمراني خلال العصر الأموي بالذات، لأنه العصر الذي شهد حكم الأسرة التي تنتسب إليها تلك الشخصيات، كما إنه يعتبر أزهى عصور الحكم الإسلامي في الأندلس، وكذلك لأن دور تلك الشخصيات تلاشى سريعاً عقب سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢ هـ / ١٠٣١ م .

أما البحث الثالث فقد خصصته لدراسة الثغر الأوسط الأندلسي في عصر الدولة الأموية ، أوضحت فيه المناطق الثغرية في الأندلس في تلك الفترة ، كما عرّفت بمدن وحصون الثغر الأوسط - موضوع الدراسة - وأعقبت ذلك بالحديث عن أوضاع الثغر الأوسط في عصر الإمارة ثم في عصر الخلافة الأموية، واختتمت البحث بالإشارة إلى أحوال الثغر الأوسط خلال الفتنة القرطبية أوائل القرن ٥ هـ / ١١ م.

وإنني آمل أن أكون بهذا الجهد المتواضع قد ساهمت في إلقاء الضوء على بعض الجوانب التاريخية والحضارية في الأندلس خلال العصر الإسلامي.

«وما توفيقي إلا بالله»

د. كمال أبو مصطفى

الاسكندرية في سبتمبر ١٩٩٦

البحث الأول

«صور من المجتمع الأندلسي في عصري
الطوائف والمرابطين
من خلال نوازل ابن رشد القرطبي»

«صور من المجتمع الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين من خلال نوازل ابن رشد القرطبي»

تمهيد

التعريف بابن رشد :

هو ابن الوليد محمد بن أحمد بن رشد، قاضي الجماعة بقرطبة، وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها، ومن أبرز الفقهاء المالكية في الأندلس خلال عصر دولة المرابطين، ولد بقرطبة في عام ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م ، ودرس الفقه والعلوم الشرعية الأخرى على يد شيوخ وعلماء عصره من الأندلسيين أمثال ابن رزق ، وابن سراج، وابن خيرة وغيرهم [١] .

وتولى ابن رشد قضاء قرطبة بتقديم من أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي في عام ٥١١ هـ / ١١١٧ - ١١١٨ م، «فسار فيه بأحسن سيرة وأقوم طريقة»، وامتاز بأنه كان فقيهاً عالماً، حافظاً للفقه، مقدماً فيه على جميع علماء عصره، عارفاً للفتوى على مذهب الإمام مالك وأصحابه، بصيراً بآرائهم ، وتصفه المصادر بأنه «من أهل الرياسة في العلم والبراعة في الفهم، مع الدين والفضل والوقار والحلم ...» [٢] .

وكان للفقيه ابن رشد - الذي عُرف عند المؤرخين «بالجد» تمييزاً له عن حفيده الفيلسوف [٣] دور كبير في القضاء والفتيا والسياسة، ففي مجال القضاء والفتيا ، كان الناس يفدون عليه ويبعثون إليه بالرسائل من شتى أنحاء الأندلس

---

(١) انظر. ابن بشكوال، الصلة، ق٢، الدار المصرية ، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ٥٧٦ ترجمة رقم ١٢٧٠؛ النباهي المالقي، تاريخ قضاة الأندلس، منشورات دار الآفاق، بيروت ١٩٨٣، ص ٩٨.

(٢) ابن بشكوال، المصدر نفسه، ق ٢، ص ٥٧٦ - ١٥٧٧؛ النباهي، المصدر نفسه، ص ٩٨ - ٩٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب،ج٤ تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٧ ، ص ٦٤ .

(٣) يُقصد به القاضي الفيلسوف أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، المعروف عند المؤرخين =

والمغرب يستفتونه، ويأخذون بآرائه وفتاواه في المسائل الفقهية، ومشاكل حياتهم اليومية التي تتطلب معرفة حكم الشرع فيها، وظل متقلداً لخطة القضاء بقرطبة حتى استعفى وقيل عزل - في سنة ٥١٣ أو ٥١٥ هـ [١].

أما في السياسة : فقد وقف موقفاً حازماً ومشهوداً من حملة الفونسو المحارب (ابن ردمير)ملك أرغون (أراجون Aragon) على الأندلس في سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٥م، والتي قام خلالها بأعمال النهب والتخريب في شرق وجنوب شرق الأندلس، حيث توجه ابن رشد إلى المغرب في عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦م إثر تلك الغارة النصرانية المدمرة على الأراضي الإسلامية، وقابل أمير المسلمين علي ابن يوسف المرابطي بالحاضرة مراكش، الذي استقبله بالحفاوة والإكرام، وأوضح له ابن رشد مدى الخطر المسيحي الذي يهدد بلاد الأندلس، وما حدث من المعاهدة (النصارى المستعربين) بها من غدر ونقض للعهد، وخروج عن الذمة، وأفتى بتغريبهم وإجلائهم عن أوطانهم، وهو أخف ما يُؤخذ به من عقابهم، واستحسن أمير المسلمين فتواه وأخذ برأيه، وأمر بإجلاء المعاهدين إلى العدوة المغربية «فأزعج منهم إلى بر العدوة في رمضان من العام المذكور (أي سنة ٥٢٠ هـ) عدد جم، أنكرتهم الأهواء وأكلتهم الطرق ...» ، كذلك أوصى ابن رشد بضرورة بناء وترميم الأسوار حول المدن، واستمع أمير المسلمين إلى نصحه، وشرع في بناء سور محدق بمراكش - حاضرة المرابطين - في عام ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م، كما بعث برسائل إلى أمراء المرابطين في مختلف الولايات الأندلسية، يأمرهم فيها بضرورة

= بابن رشد الحفيد .. اشتهر بعلمه في مجال الفلسفة والطب، علاوة على أنه كان من قضاة قرطبة في عصر دولة الموحدين، وتوفي بمراكش في حدود سنة ٥٩٨ هـ وقيل سنة ٥٩٥ هـ . انظر (النباهي، نفسه، ص ١١١؛ السلاوي الناصري، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، ج٢، الدارالبيضاء، ١٩٥٤م ص ١٩٢ - ١٩٣ ؛ فرح أنطوان ، ابن رشد وفلسفته ، منشورات جامعة الإسكندرية ، ١٩٠٤م ، ص ٩ - ٢٢).

(١) انظر. ابن بشكوال ، نفسه، ق ٢، ص ٥٧٧؛ النباهي، نفسه، ص ٩٩؛ السلاوي ، نفسه ج٢، ص ٦٨ .

النظر في الأسوار بجميع الحواضر هناك [١] .

وللفقيه ابن رشد نشاط علمي ملموس، ومؤلفا عديدة نذكر منها : كتاب «المقدمات لأوائل كتاب المدونة» ، و «البيان والتحصيل» ، و «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» وغيرها، علاوة على مجموعة النوازل والفتاوى المنسوبة إليه - وهي موضوع بحثنا - والتي اضطلع تلميذه ابن الوزان [٢] بجمعها وترتيبها في كتاب مستقل عرف باسم «نوازل ابن رشد» [٣] .

وبعد حياة حافلة بالنشاط والعمل في مجال القضاء والفتيا والتأليف ، توفي الفقيه القاضي أبو الوليد بن رشد بقرطبة عقب عودته من مراكش في سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ، ودفن بمقبرة العباس [٤]، «بالروضة المنحازة لهم بمدفن سلفه» ، وشهد جنازته جمع عظيم من أهل قرطبة [٥].

---

(١) راجع التفاصيل حول حملة الفرنسو المحارب في : (مجهول ، الحُلل الموشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامه، الرباط، ١٩٧٩م، ص ٩٠ - ٩٧، ابن الخطيب ، والإحاطة في أخبار غرناطة، المجلد الأول ، تحقيق عبد الله عنان، القاهرة ١٩٧٣، ص ١٠٨ - ١١٣؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، بدون تاريخ ، ص ٦٥٠ ؛ عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي، دار القلم، دمشق ، ١٩٨٧ ص ٤٣٢ - ٤٣٣؛ Simonet, Historia de Los Mozarabes de Espana, Madrid, 1897, p. 790 & Aguado Bleye, Manual de historia de Espana, t, I Modrid, 1974, p. 589.

(٢) هو الفقيه أبو الحسن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن يحيي ابن مسعود ، المعروف بابن الوزان بقرطبة في سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٨ - ١١٤٩م. انظر (ابن بشكوال، الصلة، ق٢، ص ٥٩١ ترجمة رقم ١٢٩٨؛ نوازل ابن رشد، نشر إحسان عباس، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية ببيروت، مجلد ٢٢، ج٣ - ٤ سنة ٦٩ ص ٥).

(٣) انظر ابن بشكوال ، نفسه، ق ٢ ، ص ٧٧٥، النباهي ، نفسه، ص ٩٩؛ المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج٣، الرباط ١٩٧٨ ، ص ٦٠.

(٤) مقبرة العباس أو مقبرة عباس - تسمى أيضاً بمقبرة البرج - وكانت تقع على مقربة من باب عباس، من أبواب محلة الشرقية بقرطبة انظر (عبد العزيز سالم، قرطبة - حاضرة الخلافة، ج١ بيروت ، ١٩٧٢، ص ٢٢٦).

(٥) راجع ترجمة ابن رشد بالتفصيل في:(ابن بشكوال، نفسه، ق٢، ترجمة رقم ١٢٧٠؛ النباهي =

اهمية نوازل ابن رشد :

أوضحت في بحث سابق حول مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي، من خلال نوازل المعيار [١]، مدى أهمية كتب النوازل والفتاوى الفقهية بصفة عامة في دراسة التاريخ الحضاري للمجتمعات الإسلامية [٢]، وعلى هذا فتجنباً للتكرار رأيت أن أركز حديثي في تلك المقدمة الموجزة على الإشارة إلى أهمية نوازل ابن رشد – علي وجه الخصوص – في دراسة المجتمع الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين.

فمن خلال دراستنا لنوازل ابن رشد القرطبي يتضح لنا أنها تتناول العديد من جوانب الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية في الأندلس خلال النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) وحوالي الربع الأول من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) أي في عصري الطوائف والمرابطين.

ويلاحظ على تلك النوازل تميزها بالشمولية، بمعنى أنها تتعرض لمختلف مظاهر الحضارة، كما تتميز بتجسيدها للواقع الأندلسي ونبض الحياة اليومية بكل دقة ووضوح وتفصيل ، ولا شك أن دراسة تلك النوازل والفتاوى وتحليلها يكشف لنا عن نواح مهمة في حياة المجتمع الأندلسي ودور الطبقات الاجتماعية فيه، والتي يندر العثور على معلوات عنها في مصادرنا التاريخية [٣] .

=، نفسه، ص ٩٨ – ٩٩، ابن القطان، نظم الجمان، تحقيق محمود مكي، الرباط، بدون تاريخ، ص ١٠٧ هـ ١؛ المقري، أزهار الرياض ج٣، ص ٥٩ – ٦١، نوازل ابن رشد، نشر إحسان عباس ، ص ٣ – ٨؛ Josep Puig, Averroes epitome Fisica, Madrid, 1987, P.9)

(١) جدير بالملاحظة أن الونشريسي صاحب كتاب «نوازل المعيار» أورد في كتابه هذا الكثير من نوازل وفتاوى ابن رشد، ولذلك رجعنا إليه مراراً خلال البحث .

(٢) راجع: كمال أبو مصطفى ، جوانب من الحياة ا لاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار للونشريسي، دار نشر الثقافة،الإسكندرية ١٩٩١م، ص ٧ – ٩.

(٣) انظر : نوازل ابن رشد ، نشر إحسان عباس، ص ١٠ – ١٤، سعد غراب ، كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية – مثال نوازل البرزلي، حوليات الجامعة التونسية، عدد ١٦، سنة ١٩٧٨، ص ٦٩ – ٧١ .

فمن الناحية الاجتماعية تعرضت النوازل لبعض طبقات المجتمع وأهم المشكلات الأسرية (مثل مشكلة زواج المتعة والطلاق وحضانة الأطفال)، والعلاقات بين الجيران والمنازعات التي تنشب بينهم وأسبابها، علاوة على إشارات تتعلق ببعض الاحتفالات الأسرية، وجوانب من العادات والتقاليد الأندلسية، ودور المرأة في العصر المرابطي وإسهاماتها في الحياة الأدبية والعلمية.

ومن جهة أخرى ألمحت النوازل إلى المذاهب الدينية الغريبة على المجتمع الأندلسي، والتي اعتنقها قلة من الأندلسيين، مما أثار قلق الفقهاء المالكية آنذاك.

كذلك تسلط النوازل الأضواء على قضية الجهاد ضد النصارى الإسبان ومدى أهميتها في الأندلس خلال عصر المرابطين، وما ترتب على ذلك من مشكلات اجتماعية، كما تشير إلى مظاهر الرعاية الاجتماعية في المجتمع ، وجوانب من القلق الاجتماعي الذي كان الأندلسيون يحسون به نحو المرابطين البربر.

وتحدثت النوازل أيضاً عن مظاهر الفساد والانحلال الأخلاقي في المجتمع، كحوادث السطو والسرقة، والمشاجرات والمنازعات المسلحة التي تنشب أحياناً بين الأفراد ، كما أوضحت السياسة القضائية والإجراءات التي يتخذها القضاة عند تطبيق حد القصاص في القتل، ودور القضاء في الحد من عبث أهل الشر والفساد.

ومن الناحية الطبوغرافية والعمرانية، أوردت النوازل العديد من أسماء القُرى والحصون والمواضع التي لا نجد لمعظمها ذكراً في المصادر التاريخية والجغرافية، كما أعطتنا في كثير من الأحيان وصفاً مهماً ودقيقاً لبعض القرى الأندلسية ، ومدى الارتباط الوثيق بين سكانها، وقد احتوت النوازل على معلومات قيمة عن تأثير ازدياد السكان في مدينة ما على النمو العمراني بها، وما تشتمل عليه الدار من غرف، والعلاقات الاجتماعية بين سكانها.

ومن الناحية الاقتصادية تزودنا النوازل بإشارات مهمة لا ترد عادة إلا في كتب الفتاوى والحسبة، وخصوصاً ما يتعلق بوصف الأرحاء[1] وكيفية بنائها،

ومدى اهتمام الأندلسيين باستصلاح الأراضي البور واستثمارها وتحويلها إلى حدائق وبساتين مزدهرة، ولم تغفل النوازل الإشارة إلى ملامح الريف الأندلسي، والعملة المتداولة في بلاد الأندلس خلال عصري الطوائف والمرابطين ، وأثمان بعض العقارات.

وأوضحت النوازل أيضاً مدى تأثير الحروب والفتن واضطراب الأمن على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، كالعلاقة بين الملاك والمستأجرين،ورحلة الحجيج الأندلسيين إلى الأراضي المقدسة ، وآثار سقوط بعض الحصون والثغور الأندلسية في أيدي النصارى الأسبان على مسلمي الأندلس اجتماعياً واقتصادياً.

(١)

بعض الطبقات والفئات الاجتماعية في الأندلس من خلال النوازل

طبقة الخاصة (الأرستقراطية الأندلسية)

أشارت النوازل إلى بعض البيوتات الكبرى في الأندلس خلال عصري الطوائف والمرابطين ، والتي تنتمي إلى طبقة الخاصة، أو ما يسمى بالطبقة الارستقراطية، وكان معظم أفراد تلك العائلات الكبيرة يتمتعون بالوظائف العالية في خدمة الدولة ، وقد استطاعوا تكوين ثروات ضخمة، علاوة على الممتلكات من العقارات والأراضي والضياع [٢] .

وتُعدُّ أسرة بني زُهر من أشهر الأسر الأندلسية التي أوردها ابن رشد في نوازله، وكانت تلك الأسرة تسكن بمدينة إشبيلية في عهد دولة بني عبَّاد ، أي منذ بداية عصر دويلات الطوائف (أوائل القرن ٥ هـ / ١١ م) وتمتعوا بنفوذ

(١) الأرحاء : قطع من الأرض غلاظ دون الجبال، تستدير وترتفع عمّا حولها، وقيل : هي مكان مستدير غليظ يكون بين رمال . [أنظر لسان العرب - مادة «رحا».

(٢) انظر . صلاح خالص، إشبيلية في القرن الخامس الهجري، بيروت ١٩٨١، ص ٤٢ - ٤٦

Levi-Provencal, Histoire de L'Espagne musulmane, t, III, Paris, 1967, PP. 188 - 192

كبير في إشبيلية، علاوة على الجاه والنبوغ العلمي، خصوصاً في مجال الطب، فتذكر النوازل أن بني زهر الإشبيليين امتلكوا الضياع الواسعة والفنادق [١]. ويضيف ابن بسام أن بني عباد [٢] حكام أشبيلية نظروا بعين الشك والخوف إلى تلك الأسرة النابهة الثرية، وخشوا على سلطانهم بإشبيلية، فاضطروهم إلى الخروج عنها، ومصادرة أملاكهم بها، فرحل محمد بن مروان بن زهر - جد بني زهر - إلى شاطبه [٣] بشرق الأندلس، «وأقام بها بقية عمره بين جاهه ووَفْره...» [٤].

ويتضح من المصادر أن العلاقات بين بني عباد أصحاب أشبيلية وبني زهر قد تحسنت في عهد المعتمد بن عباد (٤٦١ - ٤٨٤ هـ / ١٠٦٩ - ١٠٩١م).

فقام المعتمد باستمالة الطبيب زهر بن عبد الملك بن زهر [٥] لبراعته في الطب، وحثه على العودة إلى بلده إشبيلية، وأعاد إليه بعض أملاك أسرته بها،

---

(١) نوازل بن رشد ، ص ٢٤ ، و ٢٥، و ٢٨ .

(٢) أمدنا ابن بسام بمعلومات قيمة حول علاقة بني عباد بالبيوتات الكبرى في إشبيلية، وخشيتهم على نفوذهم وسلطانهم في تلك المنطقة من ازدياد نفوذ بعض تلك العائلات الشهيرة بالمدينة، مثل أسرة بني زهر، فيذكر أن القاضي أبا القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد - أول من استقل بحكم إشبيلية من بني عباد في عصر الطوائف - قرب إليه في بداية حكمه أعيان المدينة ونبهائها وذوي الرأي والمشورة فيها، ثم ما لبث أن انقلب عليهم وأسقط جماعتهم، وانفرد بالحكم بعد أن استقرت له الأمور ، ويضيف بأن ابنه المعتضد بالله عباد سار على نفس سياسة والده، وقام«بهدم البيوتات وتشتيت ذوي الهيئات» بمدينة إشبيلية. (أنظر بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس ، ق ٢ مجلد ١ بيروت ١٩٧٩م، ص ١٥ - ١٩)

(٣) شاطبة (بالأسبانية Jatiba) : كان يطلق عليها عند الرومان Sctabis ، وهي من أعمال كورة بلنسية بمنطقة شرق الأندلس ، ويصفها الإدريسي بأنها مدينة حسنة، ولها قصاب يضرب بها المثل في الحسن والمنعة، ويعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض، ويعم المشارق والمغارب. (أنظر الإدريسي صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق ، طبعة ليدن ، ١٨٩٤م ، ص ١٩٢؛ محمد الفاسي، الأعلام الجغرافية الأندلسية، مجلة البيئة، عدد ٣، الرباط ١٩٦٢م ، ص ٣٤).

(٤) ابن بسام، الذخيرة، ق٢، مجلد١، ص ٢١٩؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، تحقيق يوسف البقاعي، بيروت ١٩٨٦، ص ٤٠٠ .

(٥) هو الوزير الطبيب أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن مروان بن زهر الإيادي، نشأ بمدينة شاطبة =

غير أن ابن زهر لم يستقر بإشبيلية إلا بعد خلع المعتمد وسقوط دولة بني عباد على أيدي المرابطين في عام ٤٨٤ هـ / ١٠٩١م . فاستدعاه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين إليه بالعاصمة مراكش، واستقبله بالحفاوة والتكريم [١] .

وازداد نفوذ ابن زهر في عهد أمير المسلمين على بن يوسف المرابطي (٥٠٠ - ٥٣٧ هـ / ١١٠٦ - ١١٤٣م) وصار من أهل الحل والعقد ومن ذوي الرأي والمشورة في بلده إشبيلية، ويدل على ذلك قول ابن عذارى ، بأن ابن زهر كان «يولي من قبله حاكماً يحكم من حاشيته ، وصاحب المدينة [٢] من توليته، وشهود البلد بحكمه ، وأمر المستخلص (أي أملاك بيت المال) وأملاك السلطان جاريه على نهيه وأمره بمدينة إشبيلية ..» [٣] .

= وبرع في علم الطب الذي أخذه عن أبيه ، كما كان شاعراً أديباً ، ويذكر ابن بسام أن الآفاق كانت تتهادى عجائبه، وتتدارس بدائعه وغرائبه خاصة الشام والعراق... وتوفى بقرطبة في عام٥٢٥هـ، وحمل إلى بلدة إشبيلية فدفن بها. (راجع عن بني زهر: الذخيرة، ق٢، مجلد ١، ص ٢١٨ - ٢٢١، ٢٢٧؛ ابن سعيد، المغرب في حُلي المغرب، ج١، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ص ٢٧٠ ترجمة رقم ٢٠٠؛ ابن الأبار، التكملة، ج١، طبعة عزت العطار، القاهرة ١٩٥٦، ص ٣٣٤ - ٣٣٥ ترجمة رقم ٩٠٧؛ والمقري، نفح الطيب، تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين، الإسكندرية، ١٩٨٦ ص ٤٠٨، سلامة الهرفي ، دولة المرابطين، دار الندوة، مكة، ١٤٠٠ هـ ، ص ٣٥٦ - ٣٦٠).

(١) انظر : ابن بسام، نفسه، ق٢، مجلد١ ،ص٢٢٠؛ المقري، نفح الطيب،ج٤،ص ٤٠٠.

(٢) صاحب المدينة: يذكر المقري - نقلاً عن ابن سعيد المغربي - أن صاحب خطة الشرطة في الأندلس كان يُعرف عند العامة بصاحب المدينة، أو صاحب الليل، وكانت مهام صاحب المدينة متعددة، ومنها : مسئوليته عن الأمن في المدينة، والإشراف علي السجون وجمع الضرائب، والمحافظة على الآداب العامة، وكذلك الإشراف على تنفيذ الأحكام التي يصدرها القاضي، حيث كان أعوان صاحب المدينة هم الذين يقومون بتنفيذ تلك الأحكام ويذكر ابن عبدون أن صاحب المدينة يجب أن يكون رجلاً عفيفاً، فقيهاً ، شيخاً، لأنه في موضع الرشوة وأخذ أموال الناس.. ويجب ألا ينفذ أمراً من الأمور الكبار إلا أن يعرف القاضي والسلطان بذلك ...». (أنظر : ابن عبدون ، رسالة أندلسية في القضاء والحسبة ، نشر ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ١٦ - ١٧؛ والمقري نفح ، ج١، ص ٢٠٦؛ وليفي بروفنسال سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمة عبد الهادي شعيرة، الإسكندرية ، ١٩٥١، ص ٨٠ - ٨١) .

(٣) البيان المغرب، ج٤، ص ٦٥ .

وظل ابن زهر يحتفظ بمكانته ونفوذه إلى أن تغير عليه الأمير علي بن يوسف في عام ٥١١ هـ / ١١١٧ - ١١١٨ م بسبب وشايات خصومه ومنافسيه ، فلم يسمح له بالقدوم عليه بالحاضرة مراكش [١].

وجدير بالملاحظة أن الفقهاء ورجال الدين والقضاء تمتعوا بمركز مرموق في ظل دولة المرابطين التي كانت تحرص على استمالتهم وتوثيق أواصر العلاقات معهم، حتى تضمن مساندتهم لهم، مما يدعم سلطة المرابطين، وخصوصاً في البلاد الأندلسية، وهذا كان له أثره في ازدياد ثراء الفقهاء الذين احتكروا معظم المناصب العليا في ذلك العصر، خصوصاً خطط القضاء والفتيا والحسبة [٢] .

ومن أمثلة تلك الأسر المنتمية إلى طبقة الفقهاء الثرية ، والتي أشارت إليها النوازل: أسرة الفقيه سفيان بن العاصي الأسدي[٣]، وأصل سلفه من مربيطر[٤] غير أنه سكن قرطبة، وكان من الفقهاء وأهل العلم فيها ، وعلى صلة بالفقيه القاضي ابن رشد - صاحب النوازل - أما أخوه محمد بن العاصي الأسدي فكان من أعيان بلده مربيطر، ومن ذوي والأملاك فيها ، فتذكر النوازل أنه التزم بعد

---

(١) ابن عذارى، البيان المغرب،ج٤، ص ٦٥.

(٢) انظر . سعيد عاشور، الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، مجلد١، الكويت ١٩٨٠، ص ٩٣ - ٩٤؛ عز الدين موسى النشاط الاقتصادي في المغرب، بيروت ص ١٥٢ - ١٥٣.
Levi-Provencal Histoire, t. III, PP 196 - 197

(٣) هو أبو بحر سفيان بن العاصي بن أحمد بن العاصي بن سفيان الأسدي، أصله من مربيطر، حيث ولد في سنة ٤٤٠هـ ، وسكن قرطبة ، وكان من كبار العلماء بها في عصري الطوائف والمرابطين، ويصفه ابن بشكوال «بأنه من جُلة العلماء وكبار الأدباء، وكان ضابطاً لكتبه، صدوقاً في روايته، حسن الخط ،جيد التقييد، من أهل الرواية والدراية...»، وتوفى بقرطبة في سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦ م ودفن بالربض . (انظر : ابن بشكوال، الصلة، ق ١، ص ٢٣٠ ترجمة رقم ٢٥٧).

(٤) مربيطر أو مرباطر (Murviedro) ، تسمى الآن ساجنتو Sagunto ، وهي تقع في منطقة شرق الأندلس، شمال بلنسيه، على مسافة ١٢ ميلاً منها، وتذكر المصادر أنها مدينة قديمة مطلةعلى البحر المتوسط، وكانت من أعمال كورة بلنسيه، وبها «قرى عامرة، وأشجار، ومستغلات،ومياه متدفقة .. (أنظر : الرازي، وصف ا لأندلس، نشر ليفي بروفنسال في :Al - Andalus, XVIII, Madrid, 1953, P. 72 .

أداء حجة الفريضة على تثمير عقاره، والنظر فيه بما ينمي غلته، وانتشر عنه في بلده الذكر سعة حال ووفور ناض (أي الأموال النقدية) [١] ... »

المؤدبون:

أشارت النوازل إلى فئة المؤدبين ، أو معلمي الكتاتيب وواجباتهم ودورهم في التعليم الديني ، فتفيد إحدى النوازل بأن المؤدبين كانوا يحصلون على أجرة مقابل تحفيظ الصبيان للقرآن الكريم [٢] .

ويتضح من المصادر أن تلك الطائفة كانت كثيرة العدد داخل المجتمع الأندلسي، ويبدو أن بعضهم كان يهمل في أداء واجباته، ولذا كان لابد من الإشراف عليهم من قبل المحتسب أو صاحب السوق، فيذكر ابن عبدون أنه يجب «منع المؤدبين من حضور الولائم والجنائز والشهادات إلا في يوم عطلة، فإنه مستأجرون» ، كما ينبغي على المؤدب ألا يكثر من الصبيان ، حتى يتمكن من الإشراف عليهم ورعايتهم، لأن ضبط القرآن شئ والتعليم شئ آخر لا يحكمه إلا عالم به ...» ، ويضيف ابن عبدون أن معنى التأديب هو أن يقوم المؤدب بتعليم الصبي تجويد تلاوة القرآن وحسن الألفاظ في القراءة والخط الحسن والهجاء ، ويأمر من كان كبيراً بالصلاة [٣] .

ويتصل بالمؤدبين ، فئة أهل العلم من قُراء الحديث والأدباء والكُتّاب وغيرهم، وقد تعرض لهم ابن رشد في نوازله، وأشار إلى أن قلة منهم جنحوا إلى التطرف، فاستخفوا باللغة العربية ، وجهروا بالقول بأنهم لا يحتاجون إلى لسان العرب ، وأخذوا يقرءون بعض سور القرآن باللسان الأعجمي (أي لاتينية أهل

---

(١) نوازل ابن رشد ، ص ٥٠ .

(٢) الونشريسي، المعيار المعرب، ج٨، نشر وزارة الأوقاف المغربية، ١٩٨١م، ص ٢٥٢.

(٣) انظر . ابن عبدون، رسالة أندلسية في القضاء والحسبة، ص ٢٥، محمد توفيق بلبع، المسجد والحياة الدينية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، مجلد ١١، الكويت ١٩٨٠ ، ص ٢١٢؛ ليفي بروفنسال ، سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلسي وتاريخها، ص ٩٣ .

الأندلس المعروفة باللغة الرومانسية Romance [١]. ومن الغريب أن يظهر مثل هذا التطرف في عصر بعث ديني ،مثل عصر دولة المرابطين، التي اهتم حكامها بالنواحي الدينية والجهاد ورعاية الفقهاء والعلماء.

الجند:

ألمحت إحدى النوازل إلى طائفة من طوائف المجتمع الأندلسي وهم الجند من المرابطين البربر والأندلسيين،كما أشارت إلى مستواهم المعيشي، ويتضح من النازلة أن الجند – سواء من المغاربة البربر أو الأندلسيين – كانوا يتمتعون بمركز اقتصادي واجتماعي مرموق، وبمستوى معيشي مرتفع، حيث كانوا يصرفون رواتب عينية تعرف بالبراءات، وهي عبارة عن كميات من الطعام أي الحبوب، يصرفها أمير المسلمين المرابطي للجند في الحصون والثغور، وهي تشبه المواساة التي كان يفرقها الموحدون كل سنة بعد وصول المحاصيل إلى مخازن الدولة [٢].

ويستدل من تلك النازلة على أن الجند المرابطين كانوا يبيعون تلك البراءات (الأطعمة) إلى أهل الأندلس قبل قبضها، مما دفع ابن رشد إلى الإفتاء بأنه «لا يجوز للجند المرابطين وغيرهم بيع الطعام المرتب لهم على خدمتهم وعملهم إذا خرجت لهم به البراءات إلا بعد أن يقبضون ويستوفوه ...» ونستنتج من ذلك أن عطاء الجند المرابطي كان أثبت وأكثر من عطاء الجند الأندلسي، ولعل مثل هذا التمييز يفسر جانباً من مظاهر القلق الاجتماعي الذي كان الأندلسيون يحسون به نحو المرابطين البربر القادمين من المغرب [٣] ، ولعله يبرر إلى حد كبير ثورات أهل الأندلس على المرابطين قرب نهاية عصرهم.

---

(١) نوازل ابن رشد ص ٥٧و ٥٩، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه عندما عرضت تلك النوازل وأمثالها على ابن رشد أوضح أن من يسب أو يستخف باللغة العربية عليه أن يتوب ويقلع عن مثل هذا القول ، أما إذا ظهر خبث في دينه أو نحو ذلك، فعلى الإمام أن يقوم بتقويمه وتأديبه التأديب الموجع حسبما يرى ، أنظر (نوازل ابن رشد ، ص ٥٧ ، ٩٥). وعن ظاهرة ازدواجية اللغة بين الأندلسية راجع أيضاً : (لطفي عبد البديع، الإسلام في أسبانيا ، نشر مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٩ ص ١١٠؛ أحمد مختار العبادي، الإسلام في أرض الأندلس، مجلة عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثاني ، الكويت ١٩٧٩ م، ص ٣٥٠ – ٣٥٣).

(٢) نوازل ابن رشد، ص ٢١؛ عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادي في المغرب، ص ١٤٢ – ١٤٤.

(٣) نفس المصدر السابق، ص ١١ – ٢١ .

(٢)

الأسرة ودور المرأة في المجتمع الأندلسي

أمدتنا نوازل وفتاوى ابن رشد القرطبي بمعلومات قيمة حول الحياة العائلية في الأندلس، ودور المرأة في المجتمع، فتشير إحدى تلك النوازل إلى وجود الحاضنة أو المربية التي كانت تحصل على أجرة معينة يتفق عليها نظير قيامها بهذا العمل، كما كان يحق لها بعد انتهاء مهمتها زيارة محضونتها من حين لآخر، «خوفاً من المضرة من انقطاعها، لأنها أشفق على المحضونة وأنفع لها من كثير من قرابتها» [١].

وقد تعرضت النوازل للعديد من المشاكل الأسرية، من ذلك نازلة - يندر وجودها ضمن كتب النوازل والفتاوى الأندلسية والمغربية - تتعلق بمشكلة زواج المتعة، وهو الزواج إلى أجل معين، فتذكر النازلة أن رجلاً من أهل العلم في مدينة بطليوس [٢] تزوج امرأة نكاح متعة إلى أجل مسمى، بلا ولّي ولا صداق إلا نصف درهم، وأقر عند القاضي بوطئها، وبرر اضطراره إلى هذا الزَواج - برغم تحريمه - بأنه لم يستطع أن يتزوج زواجاً مشروعاً خوفاً من أبيه الذي لم يكن يسمح له بهذا الزواج، كما أن الذي تزوجها زواج متعة لم تكن تصلح لمثله، وأنه خشى أن يزني بها، فلجأ إلى زواج المتعة [٣].

---

(١) انظر . الونشريسي، المعيار المعرب، ج٣، ص ١٠٧ .

(٢) بطليوس (Badajoz) : إحدى مدن منطقة غرب الأندلس، حاضرة بلاد الجوف، ويصفها الإدريسي بأنها مدينة جليلة في بسيط الأرض، وعليها سور منيع، وهي تقع على ضفة نهر «يانه» قبل اتجاهه إلى المصب بنحو ستين كيلو متراً، والمعرف أن اسم بطليوس لم يظهر إلا في عهد الأمير الأموي محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ) عندما ثار عليه عبد الرحمن الجليقي المولد في سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ - ٨٧٦م) فاستقل بتلك المنطقة، وأسس بها مدينة بطليوس الجديدة وعمرها، وازدهرت بطليوس عمرانياً واقتصادياً وثقافياً في عصر الطوائف عندما استقل بها بنو الأفطس. (انظر الإدريسي، المصدر نفسه، ص ١٨١، وابن عذارى، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٠٢، عبد العزيز سامل في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، الإسكندرية ١٩٨٥، ص ١٠١ ؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية، ج١، الإسكندرية ١٩٨٩ ص ١٦١).

(٣) نوازل ابن رشد، ص ٥٦؛ الونشريسي، المصدر نفسه، ج٤، ص ٤٩؛ سعد غراب، كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية، ص ٩٦ - ٩٧. ويذكر ابن رشد أن نكاح المتعة الذي نهى عنه النبي ﴿ﷺ﴾ وحرمه وأجمع العلماء على تحريمه هو أن يتزوج الرجل امرأة إلى أجل معلوم بوليّ وصداق وشاهدين، وتكون أمور الزوجية كلها قائمة بينهما إلى ذلك الأجل - عدا الميراث، ويضيف بأنه إذا تراضى رجل مع امرأة فيما بينه وبينها على أن يطأها ويستمتع بها مدة من الزمان على شئ يبذله لها من ماله، فليس ذلك بنكاح المتعة وإنما هو زنى ولذا يجب إقامة الحد عليه، وجدير بالملاحظة أن نازلة زواج المتعة - سالفة الذكر - تختص برجل من أهل العلم أو المثقفين الذين انغمسوا في حياة اللهو والمجون، ويعللون مجونهم واستهتارهم الديني ببعض التفسيرات الدينية، ولعلهم أول المقرين داخلياً بمغالطتها، وهذا ما سبب غضب ابن رشد وحنقه على صاحب تلك النازلة، إذ يعلق على الخبر بقوله: «وما ذكرته عنه - أي الرجل صاحب النازلة - من المعرفة والطلب حجة عليه توجب له الخزي في الدنيا والآخرة، وتنزله أسوأ المنازل، لأنه عرف الحق فعانده، والصواب فغالطه، والمحظور فاقتحمه اجتراء على الله واستخفافاً بحدوده، وتلاعباًبدينه..» انظر (نوازل ابن رشد، ص ٥٦؛ سعد غراب، نفس المرجع، ص ٩٦ - ٩٧).

وعندما عرضت تلك القضية على ابن رشد أفتى بإقامة الحد على من تزوج زواج متعة، لأن الرجل، تزوج بغير وليّ للمرأة، وعُقد النكاح بشهادة غير العدول (١) .

وهناك أيضاً مشكلة الطلاق ، التي كان من أهم أسبابها في الأندلس الضرر الذي يلحق بالزوجة من زوجها ، وكان لهذا الضرر صور شتى منها: سوء معاملة الزوج لزوجته، وكثرة مشاجراته معها (٢)،أوغياب الزوج عن زوجته فترة طويلة بسبب الجهاد ضد النصارى أو فقدان الزوج أثناء الحروب والفتن الداخلية بحيث لا تدري الزوجة حياته من مماته (٣) .

وألمحت إحدى النوازل إلى مشكلة أسرية أخرى، وهي مشكلة حضانة الأطفال ، ومدى أحقية كل من الزوجين في تلك الحضانة، فتفيد النازلة بأن رجلاً طلق امرأته وله منها ابنة تركها عند والدتها (مطلقته) التي تزوجت من آخر، ومكثت الإبنة معها حوالي خمسة أعوام، وعندئذ أراد الأب أخذ ابنته من والدتها

---

(١) نوازل بن رشد، ص ٥٦. وجدير بالذكر أن كتب الحسبة الأندلسية تعرضت أيضاً لزواج المتعة وحذرت منه، فيقول ابن عبد الرءوف : «ويُمنع الناس والموثقون من عقد نكاح المتعة فهو حرام، لأنه لا ميراث فيه ولا عدة .. ويفسخ ويعاقبون عقوبة موجعة .. وهذه العقوبة على الزوجين والولي والشهود». انظر (رسالة أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، نشر ليفي بروفنسال، ص ٨١) .

(٢) الونشريسي، المعيار، ج٤، ص ٥. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الزوجة عندما يصيبها الضرر من زوجها ويسيئ عشرتها ، كانت تتفق معه على الطلاق مقابل أن تتنازل عن حقها في المهر أو الصداق وترد إليه جميع ما ساقه إليها في كتاب صداقها من دور، وجنّات، وأراض، وما إلى ذلك، ومن جهة أخرى تفيدنا نازلة وقعت ببطليوس خلال العصر المرابطي بأن المرأة إذ طلقها زوجها تقضي العدة في دارها التي طلقها فيها زوجها ، أما إذا كانت حاملاً فلا تخرج من دار مطلقها إلا بعد الوضع. أنظر (الونشريسي، نفسه، ج٤، ص ٥، ٩٧، ٤٨٢).

(٣) ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج٢، نشر المكتبة التجارية بمصر، بدون تاريخ ، ص ٤٥، الونشريسي نفسه، ج٤، ص ٤٨٣. وقد أوضح ابن رشد بأن المرأة التي تشكو فقدان زوجها يلزمها«من يوم يرفع أمرها سنة كاملة يبحث فيها من أمره، فإن لم يوقع له على خبر اعتدّت امرأته ، وتزوجت إن شاءت ...» انظر (ابن رشد ، بداية المجتهد، ج٢، ص ٤٥؛ الونشريسي، المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٣٨، ج٤، ص ٤٨٣) .

التي رفضت ذلك، ولجأ الأب إلى القضاة وأهل الفتوى ، فأفتى ابن رشد - آنذاك - بأنه لا يحق للأب أخذها إلا أن يثبت عدم أمانة الأم على حضانة ابنتها [١].

وتشير نازلة أخرى إلى أن الزوجة بعد طلاقها كانت تترك ابنها أو ابنتها - غالباً - عند أمها، خاصة في حالة زواجها مرة أخرى، وهنا كان على الأب إجراء النفقة على إبنه أو إبنته [٢]

ويتضح من النوازل كثرة الهبات والصدقات والأحباس داخل نطاق الأسرة، فهناك ما يشير إلى أن رجلاً وهب ابنته - في صحته وجواز أمره - رباعاً [٣] مكونة من دارين وثلاثة حوانيت،كذلك تصدقت الأم على ابنتها المذكورة بمائة مثقال (أي دينار من الذهب) ، كما وهب الأب ابنته قبل وفاته حلياً وثياباً [٤]

وتضيف نازلة أخرى أن رجلاً بإشبيلية - في عصر المرابطين - يسمى أيوب وهب لإبنته - وتدعى عائشة - بعض الأموال والأملاك ببلده إشبيليه، واشترط الأب في عقد الهبة أنه في حالة وفاة إبنته عائشة الموهوب لها من غير ولد فإن الهبة المذكورة ترجع إلى حفيدته أمة الرحمن المدعوة بقنة ابنة أحمد، إن لم تكن قنة على قيد الحياة عند موت عائشة، فإن الهبة تورث عن عائشة لمن يحق له ذلك من ورثتها [٢] كذلك هناك ما يفيد بقيام رجل من أهل أشبونه [٤] بشراء دار ، وهبها لزوجته، كما تصدق رجل أندلسي على ابنته بتابوت في بيته يحوى حلياً وثياباً، وكتب بذلك عقداً أشهد عليه بعض الشهود العدول في بلدته [٥].

ومن الملاحظ أيضاً أهل الأندلس وجهوا عنايتهم إلى حبس - أي وقف -

---

(١) انظر، الونشريسي، المعيار، ج٤، ص ٥١٧ .

(٢) نفس المصدر السابق، ج٤، ص ٥١٧ .

(٣) الرباع: جمع ربع، وتُطلق على الدار وما حولها ،وهي العقار من الدور والحوانيت ونحو ذلك، أنظر (ابن الرامي، الإعلام بأحكام البنيان، تحقيق محمد عبد الستار، الاسكندرية ١٩٨٩، ص ١٧٠).

(٤) الونشريسي، المصدر نفسه، ج٩، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٥) المعيار، ج٩، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

بعض الأملاك والعقارات على أبنائهم وأفراد أسرتهم وأقربائهم، ومن ذلك قيام الفقيد محمد بن زهر [١] في سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ - ١٠٢٤ م بحبس فندق وضياع ببلده إشبيلية على ذريته وأعقابهم ما تناسلوا [٢]، كذلك قام رجل يدعى ابن أبي عبده في سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ ع ١٠٣٨م بحبس دار قرب مسجد طرفه بقرطبة على ابنه وابنته [٣].

ومن جهة أخرى ألمحت النوازل إلى بعض العادات والتقاليد داخل الأسر الأندلسية، فمن ذلك الاحتفال بختان الطفل (ويسمى حفل الإعذار) الذي كان يتم غالباً في العام السابع من عمره، حيث جرت العادة أن يقوم رب الأسرة بدعوة أقربائه وأصدقائه إلى الحضور وليمة في داره للاحتفال بذلك الحَدَث السعيد [٤]. ومن أمثلة تلك الاحتفالات - والتي ورد ذكرها في إحدى النوازل - حفل إعذار أقيم بقرطبة في سنة ٤٩٩ هـ / ١١٠٥ - ١١٠٦ م حضرة فقيه قرطبي في دار أحد رجال الحاشية في بلاط ابن الحاج أمير قرطبة المرابطي آنذاك [٥]

---

(١) أشبونه (Lisbonne) : إحدى مدن منطقة غرب الأندس، وتقع على البحر المحيط (المحيط الأطلسي) شمال نهر تاجة قرب مدينة شنترين، ويصفها الإدريسي بأنها مدينة حسنة ممتدة مع النهر، ولها سور وقصبة منيعة، واشتهرت بكثرة الثمار وامكان ضروب الصيد من بر وبحر ومعدن من التبر الخالص. انظر (الإدريسي، صفة المغرب و بلاد السودان ومصر والأندلس، ص ١٨٣ - ١٨٤؛ ابن غالب، فرحة الأنفس، تحقيق لطفي عبد البديع،مجلة معهد المخطوطات العربية، ج٢، القاهرة ١٩٥٥، ص ٢٩١؛ عبد العزيز سالم، في تاريخ حضارة الإسلام في الأندلس، ص ١٠٧؛ ومحمد الفاسي، المصدر نفسه، ص ٢٠ - ٢١).

(٢) نوازل ابن رشد ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٣) نفس المصدرالسابق، ص ٢٨ - ٢٩. وجدير بالإشارة هنا أنه علاوة على حرص رب الأسرة في الأندلس على توفير الحياة الكريمة لزوجته وذريته - سواء بالحبس أو الهبة ، فإنه وجدت مظاهر عديدة للرعاية الاجتماعية والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الأندلسي، فهناك إشارة إلى قيام رجل بإحدى مدن الأندلس بالتطوع بالنفقة على رجل آخر مدة حياته، كذلك قام أحد الأثرياء بتزويج عبده ، والتزم طائعاً متبرعاً بالإنفاق على زوجته ما استمرت الحياة الزوجية بينهما. راجع التفاصيل في : (المعيار ، ج٣، ص ١٩، ٤٠٠؛ ج٩، ص ٤٠٨، ٤٥٥).

(٤) انظر سعيد عاشور . الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، مجلد ١١، الكويت ١٩٨٠م ، ص ١٠٤؛ Levi-Provencal, Histoire, t. III,P. 406

(٥) المعيار ، ج٤، ص ٤٤٧ .

كذلك هناك إشارة إلى عادة أندلسية كانت تتبعها الأسرة في الجنائز،وهي قيام المرأة بالخروج وراء جنازة زوجها عند وفاته، فتذكر إحدى النوازل أن الحرة حواء بنت تاشفين (إبنة أخي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين)،خرجت تتبع نعش زوجها الأمير سير بن أبي بكر[١] - وإلى إشبيلية، وتضيف نازلة أخرى بأن المرأة كانت تقف أحياناً علي شفير قبر زوجها عند دفنه[٢] .

ومن العادات الأندلسية أيضاً، والتي وُجدت في كثير من المدن مثل قرطبة ومرسية، أن الإمام الذي يصلى بالناس صلاة عيد الأضحى لا يخرج أضحيته إلى المصلى (الشريعة) لذبحها عند انصرافة من خطبة العيد، بمعنى أنه لا يقوم بذبح أضحية العيد إلا بعد الوصول إلى داره [٣].

وفيما يتعلق بمكانة المرأة العامة ودورها في المجتمع خلال عصري الطوائف والمرابطين، فقد أمدتنا النوازل بمعلومات قيمة تفيد بأن الأميرات من أسرة بني تاشفين - حكام الدولة المرابطية - كن يتمتعن بثراء واسع، وكثرت صدقاتهن

---

(١) هو أبو محمد سير بن أبي بكر بن تاشفين اللمتوني، ابن أخي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين المرابطي، ومن أكبر قادته، فقد قام بخلع المعتمد بن عباد بإشبيلية سنة ٤٨٤ هـ ، وتولى إمارتها حوالي سبع وعشرين سنة، كما قام بمحاصرة بطليوس ودخولها عنوة في سنة ٤٨٧ هـ والقضاء على حكم بني الأفطس بها، وتوفي الأمير سير بإشبيلية في سنة ٥٠٧ هـ / ١١١٣ - ١١١٤م ودفن بها. انظر (ابن أبي زراع، وروض القرطاس، طبعة أوبسالة، ١٨٤٣م، ص ١٠٥؛ ابن عذاري، نفسه، ج٤، ص ٥٦، ص ٥٧؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ص ٦٤٥؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٤٢٣ وراجع أيضاً التفاصيل حول أسرة بني تاشفين في: Codera,La Familia real de los Beni Texufin, Madrid, 1971 pp. 75, 899

(٢) انظر نوازل ابن رشد، ص ٢٢؛ الجرسيفي، رسالة أندلسية في الحسبة ، نشر ليفي بروفنسال، ص ١٢١.

(٣) انظر . المعيار، ج٢، ص ٣٢ - ٣٣. ومن الملاحظ في هذا الصدد أن تأخر الإمام في ذبح أضحيته يؤدى إلى قيام بعض الناس بالذبح قبل إمامهم، وأوضح ابن رشد أن الذبح يوم عيد النحر للضحايا مرتبط بذبح الإمام أضحيته وذلك وفق مذهب الإمام مالك، ويضيف بأنه يجب على أهل كل بلد تُصلى فيها صلاة العيد جماعة ألا يذبحوا أضحياتهم حتى يذبح إمامه الذي صلى بهم صلاة ا لعيد.ويذكر الونشريسي أن بلدان إفريقية على خلاف الأندلس في تلك العادة، فهم لا يذبحون أضحياتهم إلا بعد قيام السلطان أو الأمير الذي تؤدي إليه الطاعة بالذبح. راجع : (المعيار ، ج٢ ص ٣٢ - ٣٣، ٣٥) .

على الفقراء والمساكين واليتامى بالأندلس، ومن أمثلة ذلك: قيام الحرة حواء - عقب وفاة زوجها سير - بالتصدق بثلث مالها على المساكين في مدينة إشبيلية كما أعتقت ما لديها من رقيق لوجه الله تعالى (١).

وكان للحرة حواء دور بارز في الحياة الأدبية سواء في مراكش - حاضرة المرابطين - أو في إشبيلية التي سكنتها بعد ذلك، فتذكر المصادر أنها كانت تحضر مجالس الشعراء والأدباء والكُتاب ، وتشارك في تلك المجالس الأدبية بالشعر، حيث كانت أديبة شاعرة ذات نباهة، واختصت الشعراء والأدباء برعايتها وأعطياتها، وامتدحها الشاعر الوشاح الأندلسي الأعمى التطيلي بعدة قصائد (٢).

ونستنتج من النوازل أيضاً أن المرأة - خلال عصري الطوائف والمرابطين - كانت تتمتع بالحرية الاقتصادية، وخصوصاً التصرف بالعقود والوصايا ، وتمكنها من إدارة تجارتها، والسيطرة المستقلة على شئونها المالية، وكذلك هناك ما يشير إلى قيام المرأة بإقراض زوجها واشتراكها مع قوم في استثمار أراض زراعية (٣) .

---

(١) نوازل ابن رشد ، ص ٢٢ .

(٢) راجع : ابن عذارى، البيان المغرب، ج٤، ص ٧٥؛ وابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الثامن، تحقيق محمد بن شريفة، المغرب، بدون تاريخ، ص ٤٩٧، هـ ١١٢٤، حسن أحمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص ٤١٦؛ حمدي عبد المنعم؛ نفس المرجع السابق؛ ص ٣٣٤؛ سلامة الهرفي ، دولة المرابطين، ص ٢٩٦ - ٢٩٦. ومن أمثلة شعر التطيلي في مدح الحرة حواء قوله:

أمـا رأيت ندى حـواء كـيف دنا ... بالغـوث إذ كـان ياتي دونه العطب

دنيـا ولا ترف دين ولا قـشف ... ملك ولا سرف درك ولا طلب

(أنظر: ابن عبد الملك المراكشي، نفسه، السفر الثامن، ص ٤٩٧).

(٣) نوازل ابن رشد، ص ١٣ - ١٤، ٥٣ - ٥٥؛ الونشريسي،المعيار ج٩، ص ١٥١، ٣٨٣ .

(٣)

العلاقات بين الجيران

أشارت نوازل ابن رشد إلى العلاقات بين الجيران داخل المدن الأندلسية، وحقوق ارتفاق الجوار، أي إمكانية انتفاع الجار بما توجب الحاجة إليه من المبنى المجاور بدون إضرار بحق جاره، ويتضح من تلك النوازل أن كسب حق الارتفاق كان مقراً به في حالة وجود ضرورة ملجئه إلى تقريره، ولكن يشترط الاتفاق بين الجيران على هذا المبدأ والتراضي بينهم ، مع الحرص على عدم إلحاق ضرر بأحد منهم، مما يدل على مدى التعاون بين الجيران داخل المجتمع، والاهتمام بتطبيق المبدأ الإسلامي بأنه «لا ضرر ولا ضرار»، وأن دفع الضرر مُقدم على جلب المنافع غير أن ذلك لم يمنع من نشوب بعض المنازعات أو الخلافات أحياناً بين الجيران، والتي كانت تحسم سريعاً عن طريق القضاة وأهل الفتوى [١] .

وقد أوردت النوازل العديد من الأمثلة التي توضح العلاقة بين الجيران، والالتزام بعدم الإضرار بالجار، ومن ذلك نازلة عرضت على ابن رشد، ومَفادها أن رجلاً له غرفة وبابها يقابل سطح بيت جاره، ولا يرى منه غيرالسطح الذي يتصل بالغرفة، وظل الحال هكذا فترة طويلة من الزمن إلى أن باع صاحب البيت داره،وأراد المشتري رفع بنيان البيت ليعلو كالغرفة، فيسد بذلك على جاره باب غرفته، غير أن الجار (صاحب الغرفة) منعه من ذلك، وعندما احتكما إلى الفقيه القاضي ابن رشد، قضى بأن لصاحب البيت أن يرفع بنيانه ما شاء، شرط ألا يسد باب غرفة جاره، وعليه أن يستتر على أهله إن شاء، أما إذا كان باب الغرفة ينتفع به فقط في التطلع على جاره ، فمن حقه أن يسد باب الغرفة لقول رسول الله «لا ضرر ولا ضرار» [٢] .

كذلك تشير نازلة – سُئل عنها ابن رشد – إلى وجود بابين متقابلين لجارين، وبينهما زقاق [٣] نافذ، فعمد أحدهما إلى فتح باب وحانوتين في داره، مما أدى إلى

(١) انظر ابن سهل الأندلسي، وثائق في شئون العمران في الأندلس مستخرجة من الأحكام الكبرى، تحقيق محمد خلاف الكويت ١٩٨٣، ص ٤١ ؛ محمد عبد الستار عثمان ، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٨م، ص ٣٣٠ .

(٢) انظر. المعيار، ج٩، ص ١٩؛ محمد عبد الستارعثمان، المدينة الإسلامية، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣.

(٣) اصطلح أهل المغرب والأندلس على إطلاق كلمة «زقاق» على الطريق الضيق، سواء كان نافذاً أو غير نافذ، والزقاق دون السكة. (ابن الرامي، الإعلام بأحكام البنيان، تحقيق محمد عبد الستار ، ص ١٧٨).

إيقاع الضرر بجاره ، فلم يعد يمكن لأحد الدخول أو الخروج من باب دار جاره إلا ويراه من هو بالحانوتين من الناس ، ولذلك حكم ابن رشد بأنه إذا ثبت ما ذكر، فإنه يُؤْمَرُ صاحب الحانوتين بتحويل اتجاه بابيهما ليكونا بعيدين عن مواجهة باب دار جاره [١] .

وكان النزاع ينشب - أحياناً - بين الجيران بسبب عين الماء التي تنبع فجأة في إحدى الدور ، ممايحدث ضرراً بسكانها ، فتذكر إحدى القضايا أن عيناً نبعت في وسط دار قديمة ، وأضر الماء بها ، فضاقت السكنى فيها ، وكانت بإزاء الدار المذكورة عَرَصه (أي أرض فضاء ملاصقة للدار) ، لرجل ثان، فهوى هذا الماء عليها ، ورأى صاحب الدار أن يخرج الماء إلى هذه العرصة، بعمل سرب تحت الأرض، فيكون ذلك صلاحاً بين الجارين، إذ ليس في ذلك إضرار بالعرصة، وقد أفتى ابن رشد في تلك القضية بأنه إذا كانت العين قد نبعث في داره دون أن يستنبطها ، فمن حقه أن يرسل الماء إلى تلك العرصة إن كانت تقع في الجهة التي إليها انصباب الماء ، وليس أن يحفر للماء تحتها سرباً إلا بإذن صاحب العرصة وموافقته تطبيقاً للمبدأ الإسلامي «لا ضرر ولا ضرار ... » [٢].

ومن الملاحظ في المدن الأندلسية كثرة تضرر أصحاب الدور المجاورة للمساجد، حيث يسهل إطلاع ضعاف النفوس من المؤذنين على ما يدور داخل تلك الدور، ويكشفون من المآذن المرتفعة عورات البيوت المجاورة، وقد عرضت علي ابن رشد العديد من تلك النوازل، ومنها أن صومعة (مئذنة) أحدثت في مسجد بإحدى مدن الأندلس، فاشتكى منها بعض الجيران لأنها أدت إلى كشف عورات بيوتهم فأوضح ابن رشد أنه إذا كان المؤذن يَطّلع من المئذنة عل الدور من

---

(١) المعيار، ج٩، ص ١٩. وراجع أيضاً: ابن سهل ، وثائق في شئون العمران في الأندلس، تحقيق محمد خلاف، ص ٩٤ ، ٩٨ - ١٠٢ ؛ محمد عبد الستار ، المدينة الإسلامية ، ص ٣٣٨ - ٣٤١ .

(٢) المعيار، ج ٨، ص ٤٠٣ .

بعض نواحيها دون بعض ، فيمنع من الوصول منها إلى الجهة التي يطلع منها بإقامة حاجز أو ساتر يبنى بين تلك الجهة وغيرها من الجهات، ويضيف ابن رشد بأن هذا بقرطبة في كثير من صوامعها ، ولعل ذلك دفع أهل الفتوى إلى القول بأن «يُؤمر المؤذن بأن يسد عينيه عند الصعود ، ويُوكل ذلك إلى إمانته ، فإنه قل من يصعد إلى المنار إلا أهل الصلاح في غالب الأمر...» (١).

(٤)

مظاهر الحياة الدينية

ألمحت النوازل إلى بعض مظاهر الحياة الدينية في المجتمع الأندلسي خلال عصري الطوائف والمرابطين ، فيتضح من إحدى المسائل الفقهية - التي أوردها ابن رشد - أن القرى المتجاورة كان يتم الإتفاق بين سكانها على اختيار أحد مساجدها الكبيرة إلى حد ما ليكون جامعاً يؤدي فيه جميع أهل تلك القرى صلاة الجمعة. غير أنه كانت تحدث - أحياناً - منازعات بين الأهالي عند اختيار أي المساجد أكثر صلاحية لإقامة صلاة الجمعة فيه، وتذكر النازلة - التي ترجع إلى عصر الطوائف - أن هناك قرية ضمن أربع عشرة قرية بمنطقة بشرق الأندلس كان بها جامع قديم، اتفق أهل القرى المتجاورة على إصلاحه وتعميره والصلاة فيه يوم الجمعة، لما في ذلك من المنفعة لأهل القرى المذكورة، لأنه يقع في مركز وسط منها، وصلوا فيه إلى نشوب الفتنة القرطبية (أوائل القرن ٥ هـ / ١١ م)، حيث اضطروا للانتقال إلى حصن آمن على مقربة من القرى المذكورة، أدوا الصلاة في جامعة وبعد أن وضعت الفتنة والحروب الداخلية أوزارها أصبحوا يصلون الجمعة

---

(١) نفس المصدر السابق، ج٨، ص ٤٨٧، ج٨، ص ٢٣. وقد ذكرت كتب الحسبة الأندلسية أمثلة توضح إمكانية إطلاع المؤذن على البيوت المجاورة للمسجد، وما ينجم عن ذلك من أضرار ومشكلات ، ومن ذلك أن دهّاناً كان مؤذناً بمدينة غرناطة في شبابه، «وكان يشرف من موضع أذانه على دار فيها جارية حسناء أعجبه حالها... فعرضت له يوماً وهو في أثناء الأذان وشغلته حتى زاد أو نقص، وسمعه الناس، فأجفلوا إليه، وشاع أمره إلى أن فر عن ذلك الموضع واستوطن غيره...» انظر : (السقطي المالقي، آداب الحسبة، نشر كولان وليفي بروفنسال، باريس ١٩٣١م، ص ٧ - ٨ ؛ محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، ص ٣٣٣ - ٣٣٤).

في مسجد إحدى القرى المجاورة للحصن، إلى أن استقرت الأوضاع واستتب الأمن والهدوء، فانصرف الناس إلى قراهم المذكورة، وثار النزاع بينهم، وانقسموا إلى طائفتين: إحداهما تصلي في الجامع القديم، والأخرى تصلي في المسجد الحديث الكائن بالقرية المتاخمة للحصن، واحتج أهل القرية الأخيرة بأن قريتهم أكثر دوراً وسكاناً من القرية الواقع بها الجامع القديم. أما سكان القرى الأخرى فقد تعللوا بأن الجامع القديم يقع في قرية تتوسط بقية القرى، وأضافوا بأن الصلاة في جامع غيره يسبب لهم الضرر لبعد المسافة، وعلى هذا فمن منطلق الرفق بهم يطالبون بالصلاة في الجامع القديم حسبما تم الاتفاق من قبل، وجرى عليه العمل منذ القديم [1].

وعندما عرضت تلك المشكلة على الفقيه ابن رشد أوضح لأصحاب النزاع أنه ينبغي ألا يراعي قدم الجامع القديم، إذ لم تتصل إقامة الجمعة فيه لانتقال أهله عنه بالفتنة إلى جامع الحصن، والواجب أن تقر الجمعة في القرية التي انتقلوا إليها من الحصن في أول الهدنة، وأقاموا فيها صلاة الجمعة ولا تنقل عنها إلى الجامع القديم ... » [2].

ونستنتج من إحدى الفتاوى أنه إذا ضاق المسجد الجامع بأهل الموضع، واحتيج إلى الزيادة فيه، ولم يكن حوله إلا الحوانيت التي يرفض أصحابها بيعها، كان الجاري في ذلك أن تُؤخذ منهم بالقيمة، ويحكم عليهم بذلك، سواء وافقوا أو رفضوا، لمنفعة الناس وضرورتهم إليه [3].

ومن جهة أخرى تمدنا النوازل بإشارات قيمة حول بعض المذاهب الدينية في الأندلس، فتذكر أن قِلّة من علماء الأندلس اعتنقوا مذاهب دينية غريبة على أهل الأندلس، الذين يعتنقون المذهب المالكي، (وهو المذهب السائد في بلاد المغرب

---

(١) انظر نوازل ابن رشد، ص ٣٢
(٢) نوازل ابن رشد، ص ٣٢.
(٣) نفس المصدر السابق، ص ٣٣.

والأندلس) . وتضيف النازلة أن أناساً من أهل المرية اعتنقوا المذهب الظاهري، الذي ينفي القياس في أحكام شرائع الدين، وكان أصحابه يأخذون بظاهر النص دون التأويل فيه، وقد أجاب ابن رشد على تلك المسألة الفقهية بأن من يعتنق هذا المذهب يعتبر من أهل البدع لأن ذلك خلاف ما دل عليه القرآن الكريم وأجمع عليه الصحابة، وانعقد به الإجماع، ويتضح من تلك النازلة أن الفقهاء وأهل الفتوى المالكية في الأندلس كانوا ينظرون بعين القلق لمثل تلك المذاهب الغريبة، ودفعهم ذلك إلى القول بعدم الأخذ بشهادة أصحاب المذهب الظاهري لأن أتباعهم مثل هذا المذهب يعتبر جرحة في عدالتهم وشهادتهم[١].

ومن المعروف أن الفقيه ابن حزم القرطبي [٢] يعتبر من أشد دعاة المذهب الظاهري في الأندلس، فتذكر المصادر أن «فقهه مستنبط للأحكام من الكتاب والسنة بعد أن كان شافعي المذهب، فانتقل إلى مذهب أهل الظاهر»، وأصبح حجة هذا المذهب وإمامه في عصره (أي خلال القرن ٥ هـ / ١١م)، حيث طبقه فيما ألفه من كتب فقهية [٣] .

---

(١) نوازل ابن رشد، ص ٣٢ .

(٢) هو الفقيه الفيلسوف أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الظاهري، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ ، وهو فارسي الأصل من موالي بني أمية، كان حافظاً عالماً بعلوم الحديث، وصاحب فقه وجدل، وله كتب عديدة في الفلسفة والمنطق، ويميل إلى المناظرة، وأدى اعتناقه للمذهب الظاهري إلى إثارة الانتقاد عليه والطعن فيه، واتهمه البعض بالزندقة. وله مؤلفات كثيرة، منها كتاب في مراتب العلوم، والفضل في الملل والأهواء والنحل ، وجمهرة أنساب العرب، وجوامع السيرة، وغيرها ، وكان ابن حزم بعد اعتناقه المذهب الظاهري لا يأخذ في تفسير الأحكام إلا بظاهرة القول وينفي القياس، وقد توفي بقرية منت ليشم - من أعمال لبلة - موطن أسرته في سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م. انظر (الحميدي ، جذوة المقتبس، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٣٠٨ - ٣٠٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، مجلد ٣ ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٧٠، ص ٣٢٥ - ٣٣٠؛ المقري، نفح الطيب ، ج٢، ص ٢٨٧ - ٢٩٢، عبد الله عنان، دول الطوائف، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٤٣١ - ٤٣٣؛ ابن حزم الظاهري في خلال ألف عام،جمع وتحقيق ابن عقيل الظاهري، بيروت ١٩٨٢، ص ٢٧، ٣١، ٣٥ هـ ؛ ٢ الطاهر مكي، دراسات عن ابن حزم ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٧٧، ص ٥٩).

(٣) انظر. الحميدي، نفسه، ص ٢٠٨ - ٣٠٩، المقري، نفسه، ج٢، ص ٢٨٧؛ وراجع أيضاً: لطفي عبد البديع، الإسلام في أسبانيا ، ص ٤٢؛ Hussain Mones, Clasificacion de Las Ciencias segun Ibn Hazm. Revista del instituto egipcio. Madrid , 1963, P.7

وتدل نازلة أخرى على وجود فئة من علماء الأندلس - خلال عصري الطوائف والمرابطين على المذهب الأشعري (١)، ومن أبرزهم القاضي أبو الوليد الباجي (٢)، وهم يتكلمون مثل أصحاب مذاهب أهل السنة في الأصول، وتضيف النازلة أنهم «يختصون بالمعرفة بها عن مذاهب الفقهاء في الأحكام والشرعيات التي تجب معرفتها فيما تعبد الله به عباده من العبادات ...»، وأوضح ابن رشد أن العالم - سواء كان مالكياً أم أشعرياً هو «العالم بالأصول والفروع، لا من عنى بحفظ الفروع، ولم يتحقق بمعرفة الأصول (٣).

وقد تعرضت بعض النوازل لقضيتي الجهاد والحج، وهما من القضايا التي كانت تشغل تفكير أمير المسلمين علي بن يوسف المرابطي، ويدل على ذلك

(١) المذهب الأشعري: ينسب إلى الفقيه أبي الحسن علي بن اسماعيل الأشعري، الذي ينتسب إلى أبي موسى الأشعري أحد صحابة رسول الله، وكان أبو الحسن الأشعري يقول بخلق القرآن ونفي الصفات ن الله تعالى ويميل في بعض آرائه إلى المعتزلة، ثم أعلن توبته فوق منبر جامع البصرة، وأظهر فضائح المعتزلة، وعاد إلى مذهب أهل السُنة، وصنف العديد من المؤلفات، منها كتاب الإبانة، والمقالات التي رد فيها على الملاحدة والخوارج والرافضة وغيرهم من أهل البدع، وتوفي الأشعري في سنة ٣٢٤ وقيل سنة ٣٣٠ هـ. وانظر (الشهرستاني، الملل والنحل، على هامش كتاب الفصل لابن حزم، بيروت ١٩٨٦، ج١، ص ١١٩ - ١٢٦؛ المقري، نفح الطيب ج٢، ص ٢٨٠، صالح البليهي، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين، ج٢، الرياض ١٤٠٤ هـ، ص ٣٣٠ - ٣٣٤).

(٣) هو الفقيه القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف التجيبي الباجي، أصله من مدينة باجه بغرب الأندلس، وهو أحد أقطاب المذهب المالكي في الأندلس خلال القرن ٥ هـ / ١١ م، ولد بباجه في عام ٤٠٣ هـ، وسمع بالبعراق ودرس علم الكلام، وكان فقيهاً أديباً شاعراً، وارتحل إلى المشرق في ٤٢٦ هـ، حيث زار العراق والشام والتقى بعلمائها، ولم يحل ببلد إلا وجده مليئاً بذكره، ثم عاد إلى بلده الأندلس، وتولى القضاء بعدة مواضع، وطاف ببلاد الأندلس يحث حكامها على جمع الشمل وتوحيد الصفوف لمواجهة خطر النصارى الأسبان، وكانت له تواليف عديدة منها: المنتقى وكتاب شرح الموطأ، وإحكام الفصول في أحكام الأصول، وغيرها، وقد توفي الباجي في المرية سنة ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ - ١٠٨٢م. انظر: (ابن بسام، نفسه، ق٢، مجلد ١، ص ٤٩ - ٩٦؛ ابن بشكوال، نفسه، ق ١ ص ٢٠٠ - ٢٠٢؛ النباهي، نفسه، ص ٩٥؛ التجيبي السبتي، برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس، ١٩٨١، ص ٢٥٢ هـ ٣؛ المقري، نفح، ج٢، ص ٢٧٦ - ٢٨٦).

(٣) نوازل ابن رشد، ص ١٠ - ١١، ٢٠.

إرساله إلى الفقيه ابن رشد يسأل : أيهما أفضل، الحج أم الجهاد بالنسبة لأهل الأندلس؟ ويتضح من تلك النازلة مدى اهتمام دولة المرابطين بالجهاد ، والذَبّ عن ثغور المسلمين المواجهة للممالك المسيحية، وكذلك الخطر الذي كان يحدق ببلاد الأندلس وثغورها من قبل النصارى الأسبان، كما نستنتج أن الحج من بلاد الأندلس والمغرب إلى الأراضي المقدسة بالحجاز كان محفوفاً بالمخاطر، ويتميز بالصعوبة والمشقة في ظل المسافة بينهما وانعدام الشعور بالأمن على النفس والمال أثناء رحلة الحج التي غالباً ما تتم عن طريق البحر، ولعل هذا دفع بعض الفقهاء إلى التركيز على شرط الاستطاعة على أداء فريضة الحج ، لأن تلك العصور افتقرت إلى الأمن وانعدم فيها الشعور بالطمأنينة مما ينتفي معه شرط الاستطاعة، وبالتالي تسقط فريضة الحج لصعوبة أدائها (١).

(٥)

بعض ملامح الريف الأندلسي

أمدتنا نوازل ابن رشد بإشارت تتسم بالجدة والأصالة حول الريف الأندلسي، والتي لا نجد لها نظير في المصادر التاريخية والجغرافية.

فيتضح لنا من إحدى النوازل أن القرية الأندلسية كانت - غالباً - صغيرة المساحة، فهي تشتمل على عدد محدود من الدور، يتراوح ما بين اثنتى عشرة وثلاثين داراً، وبالتالي كان عدد السكان بها قليلاً (٢) .

وتضيف نازلة أخرى أن القرية كانت تحتوى على حارات كثيرة، وكل حارة منها منسوبة إلى قوم ، معروفة لهم ولآبائهم. ولعل قلة عدد السكان والدور بالقرية كان عاملاً مساعداً على زيادة الترابط والتعاون داخل القرية سواء بين أفراد الأسرة الواحدة أم بين سكان القرية بصفة عامة (٣) .

---

(١) انظر.نوازل ابن رشد، ص ١٠، ١٨؛ سعد غراب،كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية،ص٩٢ - ٩٣.

(٢) نوازل ابن رشد، ص ٣٢ .

(٣) المعيار، ج ١٠ ، ص ٣٣١ .

ونستنتج مما ذكره ابن رشد وجود قلة من الأفراد - من ذوي الثراء - كانوا يمتلكون الضياع الواسعة في الريف الأندلس، فهناك إشارة إلى أن رجلاً من أهل بطليوس امتلك وحدة قرية بكاملها حول المتجيل (من أعمال بطليوس بغرب الأندلس) ، وتذكر النازلة أن تلك القرية كانت تشتمل على أرحاء، ويشقها جدول صغير أو نهير يستفاد منه في أعمال الري [١].

وتشير بعض المسائل الفقهية إلى وجود منازعات في بعض الأحيان بين سكان الريف حول الري والأراضي الفضاء التي ليست ملكاً لأحد، فبالنسبة للمنازعات حول مياه الري ألمحت نازلة إلى أن رجلاً باع حقلاً لآخر على أن يشاركه المشترى في الاستفادة من البئر الكائنة على مقربة من الحقل، فيروي منها أرضه كل ثلاثين يوماً، غير أنه في أحد الأعوام عجز المشتري عن زراعة الحقل المذكور، وأراد ألا يترك نصيبه في مياه الري، واحتكم المتنازعان إلى الفقيه ابن رشد، فقضى بأن له (أي للمشتري) الحق في الاستفادة من مياه البئر، إن كان له في ذلك منفعة ، أما إذا أراد أن يحفر بركة لنفسه يحبس فيها الماء، ولا يتركه لمن يشاركه فيه، فليس له ذلك [٢] .

كذلك هناك إشارات إلى مشكلات كانت تثار من آن لآخر بين أصحاب البساتين المتجاورة حول مياه الآبار، خاصة عندما يكون لصاحب أحد البساتين بئر وفير المياه، في الوقت الذي كانت فيه مياه آبار أصحاب البساتين المجاورة شحيحة لا تفي بمتطلبات السقيا والري [٣] .

وكانت المنازعات بين سكان الريف الأندلسي حول الأراضي الفضاء عديدة أيضاً، فمن ذلك أن أهل قرية تنازعوا فيما ينهم حول أملاك بعض حاراتها ، إذ

---

(١) المعيار، ج ١٠ ، ص ١٩.

(٢) نفس المصدر السابق ، ج٨، ص ٤٠٣ - ٤٠٤ .

(٣) نفس المصدر السابق، ج٨، ص ٤٠٤ - ٤٠٥ .

أن القرية بها حارات عديدة، وكل حارة منسوبة إلى قوم منهم، فثار أهل إحدى الحارات على جيرانهم في حارة أخرى، وادعوا أن عندهم أملاكاً لهم، ورفعوا شكواهم إلى القضاء ، ووكّل كل فريق منهما وكيلاً مفوضاً، وانتهى النزاع بالصلح بين الفريقين أمام القاضي، حيث تنازل المدعى عليهم عن الأملاك التي كان يطالب بها المدعون [١].

كذلك وجدت بإحدى القرى سبخة (أي أرض ملحية كثيرة المياه) بين أراضي قوم محدقة بها، ولم يدعها أحد، بمعنى أن الأرض مشاعة ليست ملكاً لأحد، ثم ادعى رجل ملكيته لها، وأتى بشهود غرباء ليسوا من أهل الموضع، يشهدون بامتلاكه لها، وأنكر جيرانه ذلك، مدعين أنها مشاعة ومنفعة عامة لجميعهم، وذلك لقربها من أراضيهم ،وعندما عرضت تلك المشكلة على ابن رشد حسمها بقوله بأنه «إذا كان في البلد من العدول جماعة من أهله لا يدعون في السبخة حقاً، ولا يعرفون للقائم فيها ملكاً، فشهادة الغرباء له بها غير جائزة، والواجب أن تبقى على حالها مسرحاً لجميعهم ومنفعة لعامتهم...»[٢].

وهناك ما يشير أيضاً إلى اعتداء بعض الأفراد بالقرى على الطرق أو المرافق العامة، ومن أمثلة ذلك أن رجلاً بإحدى القرى الأندلسية أدخل طريقاً من طرق المسلمين في بستانه، وحازها، وغرسها، وقطع المرور فيها، واغتلّها مدة، ثم بعد ذلك ثبت أنها ليست من أملاكه، وأنها من المرافق العامة للمسلمين، ولذلك حكم القاضي بتأديبه على اعتدائه على الطريق العام، ولكن يأخذ غلة ما اغترسه من زرع، على أن تعود الأرض التي اغتصبها للمصلحة العامة للمسلمين [٣] .

---

(١) المعيار، ج ١٠ ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ج.١٠، ص ٨٠ .

(٣) المعيار، ج٩، ص ١٦ - ١٧ .

ومن ناحيــة أخرى يلاحظ في الريف الأندلسي كثرة وجود نظام المزارعة والمغارسة [١] وتكوين الشركات الزراعية [٢]، مما يدل على مدى اهتمام الأندلسيين بالزراعة، وبراعتهم في فنون الفلاحة وغرس الحدائق والبساتين [٣].

وكذلك يتضح من النوازل كثرة الأرحاء الطاحنة في قرى الأندلس خلال العصر المرابطي فتذكر إحدى النوازل أن ضفة وادي بلون قرب جيان [٤]، كانت تكثر بها الأرحاء التي تدور بقوة جريان المياه، كما شاع في تلك المنطقة نظام اكتراء الأرحاء من أصحابها الذين كانوا يشترطون في العقد - أحياناً - على المستأجرين أن يسمحوا لهم بطحن كمية محددة من القمح كل شهر بدون أجر طوال مدة الكراء، وأن يترك المستأجرون - بعد انتهاء مدة الكراء - الأحجار الطاحنة وأية أدوات وآلات أخرى أصلحوا بها بيت الرحى [٥].

---

(١) حول نظام الزراعة والمغارسة راجع التفاصيل في بحثي: جوانب من الحياة الاجتماعية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي، ص ٦٥، هـ ٦ ص ٦٥ .

(٢) انظر نوازل ابن رشد، ص ٣٠ - ٣١ ؛ وابن العطار، الوثائق والسجلات، نشر شالميتا وكورينطي، مدريد ١٩٨٣، ص٨٢؛ J. Vallve, La agricultura en Al - Andalus, Al - Qantara, Vol, III, Madrid , 1982, P. 30 .

وحول تلك النظم الزراعية راجع التفاصيل أيضاً في : كمال أبو مصطفى ، مصادر الثروة الاقتصادية في الأندلس، رسالة دكتوراه غير منشورة، نوقشت بآداب الاسكندرية ١٩٨٥، ص ١٦٠ ١٦٢

(٣) انظر نوازل ابن رشد، ص ١٢، ٣٠ - ٣١؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٤٤١ .

(٤) جيان (بالأسبانية Jaen) : كانت في العصر الإسلامي قاعدة كورة تعرف بنفس الاسم، وهي تتصل بأحواز كورة البيرة (غرناطة) ، وتقع على مسافة ٩٧ كيلو متراً من غرناطة، ويذكر الإدريسي أنها مدينة حسنة كثيرة الخصب ، وبها بساتين ومزارع وعيون جارية، وعلى ميل منها يقع نهر بلون، وهو نهر كبير عليه أرحاء كثيرة. (الإدريسي ،صفة المغرب وبلاد السودان ومصر والأندلس، ص ٢٠٢؛ ابن غالب نفسه، ص ٢٨٤؛ محمد الفاسي، الأعلام الجغرافية، ص ٢٦).

(٥) نوازل ابن رشد، ص ٣٥ .

وسنستنتج من النازلة أن الأندلسيين اهتموا اهتماماً كبيراً ببناء بيت الرحى [١]. واستخدموا في ذلك الأحجار الغليظة، وأخشاب البلوط الجيدة والحديد والقراميد [٢].

(٦)

العملة

ألمحت نوازل وفتاوى ابن رشد إلى بعض العملات الأندلسية التي كان يتعامل بها أفراد المجتمع خلال عصري الطوائف والمرابطين، ومنها ما يلي:

١ - الدينار العبادي :

ويسمى أيضاً بالمثقال الذهبي العبادي [٣]، وهو الذي ضرب بمدينة إشبيلية في عهد دولة بني عباد، حيث قام المعتضد بن عباد بسك عملة خلال فترة حكمه (٤٣٣ - ٤٦١ هـ / ١٠٤٢ - ١٠٦٩م)، ونقش عليها : «الإمام هشام أمير المؤمنين، المؤيد بالله». وبعد وفاة المعتضد خلفه ابنه المعتمد بن عباد في سنة

---

(١) أمدتنا نازلة بوصف دقيق ونادر لبيت الرحى - في إحدى قرى جيان - فتذكر أنه يتكون من ثمانية أحجار غليظة، كل حجر شبر وثلث وسعته أربعة أشبار ونصف، ودواليها من البلوط بأعمدة الحديد، ومنصب الهيت أربعة من الألواح، وكان سُد الرحى يرفع بالحجارة والأوتاد، وماؤه يخرج في ساقية الرحى، وفي جوف بيت الرحى كان يوجد اصطبل للدواب، سعته مثل سعة بيت الرحى، متصل بالهيت وأساسه من الحجر والطين، أما غطاؤه وبيت الرحى فكان بالقراميد، انظر (نوازل ابن رشد، ص ٣٥؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب، ص ٢٣٨).

(٢) نوازل ابن رشد، ص ٣٥ .

(٣) نفس المصدر السابق، ص ٤١، ٥٣ .

(٤) David wasserstein, The rise and Fall of the party -kings, New Jersey1983, pp 155 - 160

وجدير بالملاحظة أن عبارة «الإمام عبد الله أمير المؤمنين» المذكور بالمتن، هي إشارة إلى الخليفة العباسي ببغداد، حيث أن الخلفاء العباسيين كانوا يكتنون عن أنفسهم بلقب عبد الله في النقوش ولم يذكروا أسماءهم المجردة، أما لقب المؤيد بنصر الله، فهو لقب المعتمد بن عباد، راجع (مختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١٠٠، حسن محمود، نفسه، ص ٣٣٥ - ٣٣٦)

٤٦١ هـ / ١٠٦٩ م ، الذي اتبع سياسة مغايرة في نقوشه على عملاته التي قام بسكها فنقش عليها عبارة : الإمام عبد الله أمير المؤمنين، المؤيد بنصر الله » [٤]. ويتضح لنا من إحدى الفتاوى أن الدينار الذهبي العبادي لم يكن من الذهب الخالص، وإنما كان مشوباً بالفضة [١]

٢ - الدينار الشرقي أو المشرقي :

وهو الذي ضرب بشرق الأندلس إبان عصر دويلات الطوائف(القرن ٥هـ / ١١ م)، ويتضح من إحدى فتاوى ابن رشد أن الدينار الذهبي الشرقي كان مشوباً بالنحاس، وعلى هذا كان الدينار العبادي يفوق الدينار الشرقي وزناً وعياراً [٢].

٣ - الدينار المرابطي :

وكان يسمى بالمثقال المرابطي، وهو تقريباً من الذهب الخالص، ويوصف هذا المثقال المرابطي - عادة - في النوازل بأنه من «الذهب الوازنة». ويتضح مما ذكره ابن رشد أن الدينار الذهبي المرابطي كان يفوق الدينار العبادي والشرقي من ناحيتي الوزن والعيار، وتفيد إحدى النوازل بأن هناك ديناراً مرابطياً سك بغرناطة كان صرفه أحياناً بستة عشر درهماً فضة وأحياناً أخرى كان يرتفع صرفه إلى عشرين درهماً وذلك تبعاً لقيمة الصرف من وقت لآخر في ذلك العصر [٣].

---

(١) نوازل ابن رشد، ص ١٣ ، ٤١ . وعن عملة بني عباد بإشبيلية راجع التفاصيل في : Prieto y vives, Los reyes de Taifas, Madrid , 1926, pp. 227 - 234 .

(٢)نوازل ابن رشد ، ص ١٣ ، ١٤ .

(٣) نفس المصدر السابق ص ١٣ ، ٣٥، ٣٩، ٤١. وجدير بالذكر أن الدينار المرابطي حافظ على قوته وارتفاع عياره، حيث بلغت نسبة الذهب فيه حوالي ٩٦٪، كما اكتسب بما له من جودة وارتفاع وزن سمعة عالية في بلدان أوروبا في العصور الوسطى. راجع التفاصيل عن العملة المرابطية في : (صالح بن قربة، المسكوكات المغربية، الجزائر، ١٩٨٦م، ص ٥٤٩، ٥٨٩. Codera, Decadencia Y desa paracion de Los Almoravides, zaragoza, 1899, pp. 382 383

٤ - الدنانير الثلثية :

أشارت النوازل إلى وجود دنانير بجيان خلال عصر الطوائف، عرفت بالدنانير الثلثية ، وكانت مشوبة بالنحاس مثل الدنانير الشرقية التي سكت بمنطقة شرق الأندلس خلال نفس ذلك العصر. ولا شك أن هذه الدنانير الثلثية كانت أقل قيمة من الدنانير المرابطية والعبادية (١).

٥ - القراريط اليوسفية :

وتنسب إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين المرابطي، وكان القيراط يساوي نصف درهم من الفضة وقد ساعد سك تلك القراريط على تسهيل التعامل بين الأفراد. وجدير بالملاحظة أن قراريط يوسف بن تاشفين التي ضُربت في دور السكة المغربية أوالأندلسية جاءت على غرار قراريط سلفة الأمير أبي بكر بن عمر، وبنفس العبارات الدينية التي نُقشت عليها، وكانت تلك القراريط اليوسفية تتميز بأنها غير مستقرة الوزن ، وبعدم ذكر تاريخ الضرب (٢) .

(٧)

الحروب والفتن وتأثيرها على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

من الثابت أن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية تتأثر تأثراً بالغاً بحالة الأمن والاستقرار في المجتمع، فالأندلس تعرض خلال فترة الانتقال من حكم الطوائف إلى حكم دولة المرابطين لحالة من الاضطراب واختلال الأمن وانعدام الطمأنينة، حيث كثرت - في تلك الفترة المذكورة - حالات الغصب ، والإكراه، ومصادرة الأموال، وإنهاك الرعية بالضرائب والمغارم.

---

(١) نوازل ابن رشد، ص ١٣ ، ١٤ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٣ ، ٤١ ، ٥٦ ؛ صالح بن قربة، المسكوكات المغربية، ص ٥٩٩ - ٦٠٠؛ وراجع أيضاً : Codera, op. cit, pp. 380 - 381

فتذكر إحدى النوازل التي تؤرخ بعام ٤٩٢ هـ / ١٠٩٨ - ١٠٩٩ م أن أحد الثوار في أواخر عصر دويلات الطوائف، ويدعى سعيد بن ريفل، ثار بحصن شقورة [١] واستولى عليه وعلى جميع جهاته عدة أعوام، وخلال ذلك اصطنع كل مظاهر العسف والظلم مع الرعية، وأنهك كاهلهم بالمكوس والضرائب الباهظة، واستولى على غلات تلك المنطقة أعواماً، كما اغتصب أموال بيت مال المسلمين وأملاكه بها، وأثرى من وراء ذلك ثراءً فاحشاً، فاشترى الضياع الواسعة والعقارات والرباع بجيان وغيرها [٢]، وانعكس هذا الوضع السيئ على مستوى معيشة الأفراد في تلك المنطقة وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية بصفة عامة.

كذلك هناك ما يدل على اتجاه بعض ملوك الطوائف إلى الاستيلاء على أموال الناس بالباطل ومصادرة ممتلكاتهم، مستغلين في ذلك سطوتهم وجبروتهم، وعدم وجود من يردعهم من القضاة والعلماء وأهل الفتوى الذين لا يخشون في الحق لومة لائم، ومن أمثلة ذلك قيام المعتضد بن عباد - صاحب إشبيلية - بغصب مجشر (ضيعة) لابن زهر، ونجم عن ذلك مشكلة فقهية فيما بعد، وذلك أن رجلاً يدعى ابن عاصم اشترى المجشر المذكور من ابن عباد، وبعد عدة أعوام قام ابن موسى وكيل ابن زهر، بالمطالبة بالمجشر الذي كان لسلف موكله ابن زهر، وأنه من جملة ما غصبه ابن عباد، وعندما عرضت القضية على أهل الفتوى

---

(١) شقورة (بالأسبانية Sagura de la sierra) : حصن منيع من أعمال جيان، ويصفه الإدريسي بأنه حصن المدينة، عامر بأهله، وهو في رأس جبل عظيم متصل، منيع الجهة، واشتهر هذا الجبل بأشجار الطخش والأعشاب العطرية. انظر (الإدريسي، نفسه، ص ١٩٥؛ الحميري، صفة جزير الأندلس في كتاب الروض المعطار، نشر ليفي بروفنسال، القاهرة ١٩٣٧م، ص ١٠٥)

(٣) نوازل ابن رشد، ص ١٦؛ المعيار، ج ٩ ص ٥٣٨ - ٥٤٠. ويلاحظ أن ابن رشد أفتى في تلك النازلة بأن ما وجد من رباع وأصول وعقارات في يد ورثة الثائر ابن ريفل وجب أن يضم إلى بيت مال المسلمين، أما الذي بيع منها فلا سبيل إلى المشتري في شئ من ذلك. انظر (نوازل ابن رشد، ص ١٦).

(١) الونشريسي، المعيار، ج ١٠، ص ٥٥ - ٥٦. وراجع أيضاً عن نوازل الغصب والإكراه في قرطبة =

والقضاة بإشبيلية حكموا بإعادة المجشر المذكور إلى ورثة ابن زهر [١].

ومن جهة أخرى كان للغارات النصرانية، والحروب بين المسلمين والنصارى الأسبان انعكاساتها على الأوضاع الاقتصادية في المدن والقرى الأندلسية، فلا شك أن تلك الغارات النصرانية على الثغور والحصون المتاخمة لحدود الممالك الإسبانية المسيحية كانت تؤثر على النشاط التجاري وحركة البيع والشراء وحرية الانتقال من موضع إلى آخر، وغير ذلك من مظاهر الحياة الاقتصادية، فتذكر إحدى النوازل أن متقبلي الفنادق والأرحاء والحوانيت وما شابههم تعرضوا للكثير من الأضرار الاقتصادية والمالية نتيجة للحروب والفتن وانعدام الأمن، لأن تلك الحالة أدت إلى انعدام الإقبال على سكني الفنادق وقلة العملاء الذين يأتون بالحبوب لطحنها في الأرحاء، مما دفع المتقبلين إلى مطالبة ملاك الفنادق والأرحاء باعتبار ذلك جائحة يجب بسببها تخفيض قيمة الكراء عنهم [٢] .

وتضيف نازلة أخرى أن نصارى طليطلة كانوا يشنون غارات على أحواز قرطبة وقراها ويعيشون في تلك المناطق نهباً وسلباً، غير أن هذا لم يمنع تجار طليطلة النصارى من الوفود على قرطبة في أوقات الصلح أو الهدنة من أجل التبادل التجاري، وقد حدث أن قام أهالي قرطبة بأسر بعض التجار النصارى وأخذ أموالهم رهينة لحين رد ما نهبه إخوانهم المغيرون من أموال مسلمي قرطبة، وما أسروه من أهلها [٣] .

= خلال عصر الطوائف في : (نفس المصدر السابق، ج ٩ ، ص ٦١١ - ٦٢١).

(٢) نوازل ابن رشد، ص ٣٧ .

(٣) نفس المصدر السابق، ص ١٩ .

كذلك كان لسقوط بعض المدن والثغور الأندلسية في أيدي النصارى الإسبان تأثير على العلاقة بين المالك (أو صاحب العمل) والأجير، فتذكر إحدى النوازل أن رجلاً من أثرياء مجريط (مدريد Madrid حالياً) استأجر آخر مقابل كمية محددة من القمح، ثم اضطر للخروج منها إثر سقوطها في أيدي النصارى، واجتمعا بقرطبة، حيث طلب الأجير حقه من القمح، ولكن صاحب العمل رفض إعطاءه القمح بقرطبة بحجة أن ثمنه بها مضاعف، وأصر على أن يعطيه قيمة ما كان يساوية بمجريط آنذاك (١).

وقد تأثرت الحياة الاجتماعية والدينية في المجتمع أيضاً بالفتن والحروب، فنستنتج من إحدى النوازل أن الخطر الإسباني المسيحي كان له تأثيره على اختيار المسجد الجامع لأهل القرى المتجاورة الواقعة على مقربة من حدود الممالك الإسبانية المسيحية، فالحروب قد تضطر أهالي القرى إلى اختيار مسجد الحصون ليكون جامعاً لهم تُقام فيه صلاة الجمعة لحين زوال الأخطار (٢) .

كذلك كان للحروب الداخلية في الأندلسي والتي اندلعت عند قيام المرابطين بخلع بعض ملوك الطوائف تأثيراتها على الأوضاع الاجتماعية،حيث يتضح من إحدى القضايا الفقهية أن بعض الجواري - بمدينة إشبيلية سقطن في أيدي الجند المرابطين بطريق الغصب ، إثر دخول قوات المرابطين المدينة وخلع المعتمد بن عباد في سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩١م ، مما نتج عنه نوازل فقهية، فقد طالب أسيادهن بهن، وأثبتوا أحقيتهم فيهن ، واضطر المرابطون إلى إعادتهن إليهم (٣) .

ومن الثابت أيضاً أن إندلاع الفتن والثورات الداخلية، واضطراب حالة الأمن في المجتمع، خصوصاً في أوقات ضعف سلطة الدولة، يؤدي غالباً - إلى انتشار حوادث السرقة والنهب والقتل والمشاجرات الدامية، وتشير النوازل إلى

---

(١) نوازل ابن رشد ، ص ٣٨ .

(٢) نوازل ابن رشد ، ص ٣٢

(٣) المعيار، ج٩، ص ٣ ٢

حوادث عديدة تسمى «بالتدمية»، وقعت ببجان ومربيطر وإشبيلية وقرطبة، نجم عنها سقوط قتلى وجَرْحَ، ومطالبة أوليائهم بالقصاص من القتلة، ويلاحظ أن أغلب تلك الحوادث سببها محاولة السطو وسرقة أموال من أشْتُهر بالثراء في تلك المدن (١) .

(١) نوازل ابن رشد، ص ٤٨ - ٤٩، ٥٠ - ٥٢؛ المعيار، ج٢، ص ٣٠٣ - ٣٠٤، ٣٠٧، ٣١٣. وراجع أيضاً ابن سهل ، وثائق في القضاء الجنائي في الأندلس، تحقيق محمد خلاف، الكويت ١٩٨٣، ص ٦٣ - ٦٨ وتجدر الإشارة هنا إلى أنه في حالة ثبوت اتهام بالقتل على متهم ما ، وعجزه عن الدفاع فإنه يجب بعد ذلك أن يقوم والد القتيل وأخوه بالقسم خمسين يميناً بأن المدعى عليه (القاتل) هوالذي قتله، حيث يقول الأب في يمينه وهو مستقبل القبلة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة على ما يمضي عليه عمل القضاة: «بالله الذي لا إله إلا هو ،عالم الغيب والشهادة ، لقد قتل هذا - ويشير إلى القاتل - ابني فلاناً بالجرح الذي أصابه ومات منه على سبيل العمد بغير حق، وكذلك يقسم الأخ، فإذا استكملا خمسين يميناً على هذه الصفة فإنهما يقومان بالإجهاز على القاتل بالسيف على ما أحكمه الشرع من القصاص في القتل . انظر (نوازل ابن رشد، ص ٤٨ - ٤٩ .)

الملاحق

ملحق رقم (١)

«عقد طلاق ومباراة بأشبونه في سنة ٥١٢ هـ / ١١١٩ م.

(أي في العصر المرابطي)

«باري عبيد الله بن محمد الأزدي راقي بنت الفقيه أبي الوليد يونس بعد بنائه بها، إذ تفاقمت أمورهما واختلفت أهواؤهما على أن أسقطت جميع ما كان أمهره لها من كالئ[1] بعد معرفتهما بعدده، وعلى أن صرفت جميع ما كان أمهره لها في كتاب صداقها معه من دور بالوط الغربي الذي من قصبة أشبونه الوالد المباري المذكور، وجنات بنواحي الجهة المذكورة وأرضين بقرى مدينة الأشبونة ... طائعة بذلك كله، وأمضى ذلك كله من فعلها والدها الفقيه أبو الوليد المذكور ... وعل هذا الإسقاط المذكور الموصوف ملّكها عبيد الله المذكور أمر نفسها، ولم يبق بين راقي المذكورة وعبيد الله المذكور شئ من الأشياء من جميع الدعاوى والتباعات، وانفردت راقي المذكورة بجميع الثياب المقبوضة منه المكتوبة ... في كتاب صداقها معه، ولا حقٌ لعبيد الله في جميع الثياب المقبوضة منه كذلك، وكذلك لا حق لعبيد الله المذكور فيما قبل راقي المذكورة ولا قبل أبيها المذكور في شئ من الأشياء من صداق أو تجارة ولا شئ من الأشياء. شهدعلى إشاد عبيد الله بن محمد والفقيه يونس على أنفسهما بجميع ما في الكتاب عنهما من سمعه منهما وعرفهما وهما بحال الصحة والجواز، لأربع بقين من شهر شعبان من سنة اثنى عشرة وخمسمائة» [2].

---

(١) كالئ : متأخر.

(٢) نقلاً عن : الونشريسي، المعيار، ج٤ ، ص ٥ - ٦ .

ملحق رقم (٢)

«عقد استئجار بيت رحى بإحدى قرى جيان في سنة ٥٠٩ هـ / ١١١٦ م،»

«بسم الله الرحمن الرحيم: اكترى محمد بن عبد الرحمن بن طارق الأنصاري وبعد الصمد بن علي الأموي، ومحمد و علي ابنا عبد الله بن حرب اللخمي، بينهم على السواء والاعتدال ، من أحمد بن جزى التجيبي،ومن عبد الله بن دلول الناظرين للقريش بقرطبة جميع بيت الرحى الدائرة المعروفة ببيت السانية بقرب الخرب على ضفة وادي بلون من جيان لمدة سبعة أعوام متصلة، أولها منتصف ذي الحجة الأدنى إلى تاريخ هذا الكتاب بمائة مثقال واحدة، وأربعين مثقالاً من الذهب المرابطية الوازنة،يدفع منها محمد بن عبد الرحمن ، وعبد الصمد، ومحمد وعلي ابنا عبد الله المذكورين، لأحمد وعبد الله المذكورين، أو إلى ما يجب له ذلك بسبب القريش المذكورين أرباب القرية وبيت الرحى المذكورين عند انقضاء كل شهر من أول الأمد المذكور مثقالاً واحداً وثلثي مثقال أداء متوالياً إلى تمام العدد وانصرام الأمد، وعلى أن يطلق محمد ابن عبد الرحمن ، وعبد الرحمن وعبد الصمد الأخوان ومحمد وعلي المذكورين في البيت المذكور أربعة أحجار طاحنة... وتكون دواليبهما من البلوط بأعمدة الحديد ... ومنصف البيت أربعة من الألواح ويرفعون سد الرحى المذكورة بالحجارة والسلك و الأوتاد، ويخرج ماؤه في ساقيه الرحى ، وعلى أن يقيموا في جوفي بيت الرحى اصطبلاً للدواب، سعته مثل بيت الرحى ومتصل بالبيت ... وغطاؤه وغطاء بيت الرحى بالقراميد، ويشوكون البرج المتصل ببيت الرحى المذكورة من ناحية الغرب بالجص، وتواصفوا ذلك كله صفة أقاموها مقام العيان، فإذا انقضت المدة المذكورة ترك محمد بن عبد الرحمن وعبد الصمد، والأخوان محمد وعي المذكورون الأربعة الأحجار المذكورة طاحنة بآلاتها كلها مستقيمة في جريتها في البيت المذكور للقريش

المذكورين أرباب القرية المذكورة، وطاع محمد وعبد الصمد والأخوان محمد وعلي المذكورون بعد تمام الكراء المذكور طوعاً صحيحاً دون شرط، أن يطحن عبد الله وأحمد بن جزي المذكوران في الرحى المذكورة في كل شهر من أشهر الأعوام المذكورة قفيزين من القمح بكيل جيان دون أجر، وعرفوا قدر ذلك ، شهد عليهم بذلك من أشهدوه به في صحتهم وجواز أمورهم في شعبان من سنة تسع وخمسمائة» [1] .

(١) نقلاً عن : نوازل ابن رشد ، ص ٣٥ - ٣٦ .

مصادر ومراجع البحث

اولا - مصادر عربية قديمة :

١ - ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة، طبعة عزت العطار الحسيني، القاهرة، ١٩٥٦م.

٢ - الإدريسي : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس من كتاب نزهة المشتاق ، طبعة ليدن ١٨٩٤ م .

٣ - ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٩م .

٤ - ابن بشكوال : الصلة، نشر الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

٥ - ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، المجلد الأول، تحقيق عبد الله عنان، القاهرة ، ١٩٧٣ .

٦ - ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس ، بيروت . ١٩٧٠.

٧ - ابن رشد القرطبي : بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، نشر المكتبة التجارية بمصر، بدون تاريخ.

٨ - ابن رشد القرطبي : نوازل ابن رشد ، نشر إحسان عباس، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية ببيروت مجلد ٢٢، ج٣ - ٤ سنة ١٩٦٩م.

٩ - ابن عبدون : رسالة أندلسية في القضاء والحسبة، نشر ليفي بروفنسال، نشر المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة ، ١٩٥٥م .

١٠ - ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ٤ تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٧.

١١ - ابن العطار، الوثائق والسجلات، نشر بدروشالميتا، وكورينطي ، مدريد ١٩٨٣م.

١٢ - ابن غالب : قطعة من فرحة الأنفس ، تحقيق لطفي عبد البديع، مجلة

معهد المخطوطات العربية ج ٢ ، القاهرة، ١٩٥٥م .

١٣ - الحميدي : جذوة المقتبس ، مجموعة تراثنا ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

١٤ - الحميري : صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض العطار، نشر ليفي بروفنسال، القاهرة ١٩٣٧ .

١٥ - السقطي المالقي : آداب الحسبة، نشر كولان وليفي بروفنسال ، باريس ١٩٣١ م .

١٦ - المقري : أزهار الرياض في أخبار عياض، ج٣ ، الرباط ، ١٩٧٨ م.

١٧ - المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق يوسف البقاعي، بيروت، ١٩٨٦ م .

١٨ - النباهي المالقي : تاريخ قضاة الأندلس المعروف بكتاب المرقبة العليا، بيروت، ١٩٨٣ .

١٩ - الونشريسي: المعيار المعرب، نشر وزارة الأوقاف المغربية ، الرباط، ١٩٨١م .

ثانيا- مراجع عربية حديثة ومعربة :

١ - أحمد مختار العبادي (دكتور) : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الطبعة الأولى ، الأسكندرية ١٩٨٦ م .

١ م - أحمد مختار العبادي (دكتور) : الإسلام في أرض الأندلس ، عالم الفكر، المجلد العاشر، العدد الثاني ، الكويت ١٩٧٩م.

١ م - حسن أحمد محمود (دكتور) : قيام دولة المرابطين. القاهرة، ١٩٥٧م .

٢ - حمدي عبد المنعم محمد (دكتور) : تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين - دولة علي بن يوسف بن تاشفين - الاسكندرية ، ١٩٨٦ م .

٣ - سحر سالم (دكتورة) : تاريخ بطليوس الإسلامية: ج١ ، الإسكندرية، ١٩٨٩.

٤ - سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) : الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، مجلد ١١ ، الكويت ١٩٨٠ م .

٥ - السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الاسكندرية ، بدون تاريخ.

٦ - السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، الاسكندرية ، ١٩٨٥ م .

٧ - السيد عبد العزيز سالم (دكتور): قرطبة حاضرة الخلافة، بيروت، ١٩٧٢م .

٨ - صالح بن قربة : المسكوكات المغربية، الجزائر ١٩٨٦ م.

٩ - صلاح خالص : إشبيلية في القرن الخامس الهجري، بيروت ١٩٨١ م .

١٠ - عبد الرحمن الحجي (دكتور) : التاريخ الأندلسي ، نشر دار القلم، دمشق ، ط ٣ ، ١٩٨٧ م .

١١ - عز الدين موسى (دكتور) : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

١٢ - كمال أبو مصطفى (دكتور) : جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب من خلال نوازل المعيار، الاسكندرية، ١٩٩١م.

١٣ - ليفي بروفنسال : سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها ، ترجمة عبد الهادي شعيرة الأسكندرية ١٩٥١ م.

١٣ - لطفي عبد البديع (دكتور) : الإسلام في إسبانيا ، المكتبة التاريخية ، عدد ٢ ، نشر مكتبة النهضة المصرية، ط ٢، سنة ١٩٦٩م .

١٤ - محمد توفيق بلبع (دكتور) : المسجد والحياة الدينية في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، مجلد ١١، الكويت ١٩٨٠ م.

١٥ - محمد عبد الستار عثمان (دكتور) : المدينة الإسلامية ، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٨.

١٦ - محمد عبد الله عنان : دول الطوائف ، القاهرة، ١٩٦٠م .

١٧ - محمد الفاسي : الأعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البينة ، عدد ٣،الرباط ١٩٦٢م

ثالثا - مراجع اجنبية حديثة :

1 - Aguado Bleye, Manual de historia de Espana, Madrid, 1947.

2 - Codera, Decadencia Y desaparacion de Los Beni texufin, Madrid, 1917.

4 - David Wassserstein, The rise and Fall of the party-kings' New Jersey, 1983.

6 - Levi-Provencal, Histoire de L'Espagne Musulmane,t,III, Parid, 1967.

7 - Mones, Clasificacion de las ciencias segun Ibn Hazm, Revista del instituto egipcio, Madrid, 1965 - 1966.

8 - Simonet, Historia de Los Mozarabes de Espana, Madrid, 1987.

9 - Valle, La agricultura en al - Andalus, al Qantara, Madrid, Vol. III, 1982.

10 - Vives, Los reyes de taifas, Madrid, 1926 .

البحث الثاني

شخصيات مغمورة من البيت الأموي في الأندلس
في عصر الدولة الأموية
(١٣٨ - ٤٢٢ هـ / ٧٥٦ - ١٠٣١م)

المبحث الثاني

شخصيات مغمورة من البيت الأموي في الأندلس في عصر الدولة الأموية (١٣٨ - ٤٢٢ هـ / ٧٥٦ - ١٠٣١م)

تمهيد :

كان من الطبيعي أن تسهم العناصر البارزة في الأسرات الحاكمة بنصيب وافر في التاريخ السياسي والحضاري للأندلس بوجه عام، وفي عصر الدولة الأموية على وجه الخصوص . فالمصادر العربية تشير إلى أن أفراداً من هذه البيوتات المتميزة كانوا يشغلون مناصب مهمة في الدولة طوال هذا العصر، وأن بعضهم تألق ولمع نجمه في سماء الحاضرة الأموية قرطبة ، وأسهموا إسهامات عظيمة في المجال السياسي والحربي والحضاري.

ويتضح من المصادر الأندلسية أن عدداً في تلك البيوت كان يحتكر - آنذاك - الخطط الإدارية ، ويتوارث أفرادها الوظائف المرموقة في الحكومة المركزية بقرطبة (Cordoba) واعتمد عليهم الأمويون كثيراً في تذليل العقبات التي كانت تواجههم ، وكان هؤلاء الأفراد ينتمون إما إلى العرب الشاميين أو إلى موالي بني أمية، الذين أظهروا الولاء والإخلاص ، وربطوا مصيرهم منذ أمد بعيد بمصير تلك الأسرة الأموية الحاكمة في الأندلس ، ومن هذه البيوتات أو الأسر: بنو أبي عبدة وبنو

فطيس وبنو حُدير وبنو عبد الرؤوف وبنو شُهيد[١] .

ولم تقتصر البيوتات الأندلسية الشهيرة على الحاضرة قرطبة ، بل نلاحظ أيضاً دورها المؤثر في مدن أندلسية أخرى ذات أهمية ، ومن ذلك بنو خطاب بمرسية [٢] Murcia (تدمير)، وبنو حجاج بإشبيلية [٣] Sevilla ، وبنو قسي بالثغر الأعلى [٤] وغيرهم كثير.

ويعتبر البيت المرواني (الأموي) الذي حكم الأندلسي طيلة ما يقرب من ثلاثة قرون أهم البيوتات العربية جميعاً ، فهو يأتي على قمة الخاصة في الأندلس، وقد تمتع أفراده - خلال العصر الأموي - بالجاه والنفوذ والسلطان، وكان لذلك أثره الكبير في اهتمام مؤرخي الأندلسي بتقصي أخبار من تبوأ منهم دست الإمارة أو الخلافة ، فوجهوا جل عناياتهم نحو أمراء وخلفاء بني أمية الذين تعاقبوا على حكم الأندلسي، فأسهبوا في الحديث عن فترة حكم كل منهم، وما وقع فيها من وقائع تاريخية، وما تم خلالها من إنجازات حضارية.

ومن الملاحظ أنه بالإضافة إلى الشخصيات الحاكمة التي أشرنا إليها، كانت هناك شخصيات أخرى مغمورة من البيت الأموي لم تسلط عليه أضواء التاريخ ،

---

(١) انظر. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، نشر دار الكتاب المصري واللبناني ، بدون تاريخ ، ص ٧٨ ، ٨٨ ، ٩٥، ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج٢، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ، طبعة بيروت، سنة ١٩٨٠، ص ١٥٨ - ١٥٩ ،

Levi - Provencal, Histore de L'Espagne musulmane,t, III Paris, 1950, P. 192

وراجع أيضاً : عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ١٢٦؛ مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الاسكندرية سنة ١٩٦٨، ص ١٤٧، حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس، القاهرة، سنة ١٩٨٠، ص ٣١١، ٣٢٩ .

(٢) حول بني خطاب راجع: سحر عبد العزيز سالم، بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري (أسرة من المولدين بمرسية)، الاسككندرية ١٩٨٩.

(٣) عن بني حجاج اللخميين أنظر: حمد عبد المنعم محمد، التاريخ السياسي لمدينة إشبيلية في العصر الأموي، الاسكندرية سنة ١٩٨٧.

(٤) حول بني قسي المولدين راجع: كمال أبو مصطفى، المولدون في منطقة الثغر الأعلى ، مجلة كلية التربية ، جامعة الاسكندرية، العدد الأول ١٩٨٨.

فلم يرد لها ذكر في المصادر إلاّ عرضاً وباقتضاب شديد ، وبالتالي لم يهتم بدراستها الباحثون الحديثون، على الرغم من أنها أدت دوراً مؤثراً في حوادث العصر ، وقدمت خدمات جليلة للدولة الأموية آنذاك.

كان ذلك من الأسباب التي دفعتني لاختيار هذه الشخصيات الأموية المغمورة موضوعاً لبحثي ، مستهدفاً إبراز دورها السياسي والحربي والعلمي والعمراني، وقد حددت الفترة الزمنية للبحث بعصر الدولة الأموية، لأنه العصر الذي شهد حكم الأسرة التي تنتسب إليها تلك الشخصيات ، كما إنه من جهة أخرى يعتبر أزهى عصور الحكم الإسلامي في الأندلس، وكذلك لأن دور تلك الشخصيات سواء السياسي أو الحضاري تلاشى تماماً عقب سقوط الخلافة الأموية بالأندلس في سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣١ م

ومن الصعوبات التي يواجهها الباحث في مثل تلك الموضوعات قلة المادة العلمية التي يمكن أن تتوفر له من خلال التنقيب في بطون المصادر التاريخية وكتب التراجم والأنساب والطبقات، بسبب تركيزها على شخصيات الحكام من الأمراء والخلفاء، واغفالها لذكر ذرياتهم وذوي قرابتهم من نفس البيت الحاكم، الذين انقطعت أخبارهم في خضم الحوادث التاريخية أو طمست صورهم التي طوتها ظلال الغفلة والنسيان ، وكان جلُ اعتمادي على كتب التراجم التي اهتمت بأخبار العلماء والفقهاء والأدباء، علني أقف على ترجمة من اختار لنفسه هذا المجال من الدراسات عملاً يتعيش به، كماحرصت في نفس الوقت على الرجوع إلى الأبحاث الإسبانية الحديثة التي تعرضت للأنساب العربية في الأندلس أو لإحدى تلك الأسر المروانية (١) .

---

(١) من أهم تلك الأبحاث:

Elias Teres, Linajes arabes en Al - Andalus, Revista de Al - Andalus, XXII, Madrid , 1957 & Teres, Dos Familias Marwanies de Al - Andalus, Revista de Al - Andalus, XXXV, Madrid, 1970 .

(١)

الدور السياسي والإداري :

نتج عن هزيمة الأمويين في موقعة الزاب وسقوط دولتهم بالشام على أيدي العباسيين في سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م ، أن اندلعت في الشرق موجة عباسية عارمة للانتقام من بني أمية ، بسبب ما تعرض له آل البيت من قتل وتعذيب وتنكيل خلال فترة الحكم الأموي ، وعلى هذا دبر العباسيون مذبحة نهر أبي فطرس التي قتل فيها العديد من أفراد الأسرة الأموية بعد أن أعطاهم عبد الله ابن علي العباسي والي الشام الأمان، كذلك قام داود بن علي العباسي والي الحجاز بقتل من ظفر بهم من الأمويين هناك [(١)].

وكان أول من لجأ إلى المغرب عقب مقتل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بالشام - كلاً من : جزي بن عبد العزيز بن مروان، وعبد الملك بن عمر ابن مروان بن الحكم، ولم تمض فترة قصيرة حتى لحق بهما بإفريقية: السفياني الثائر، والعاصي وموسى إبنا الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وحبيب بن عبد الملك ابن عمر بن الوليد بن عبد الملك ، وعقب ذلك انضم إليهم عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)، ويؤكد ذلك قول صاحب أخبار مجموعة: «ومضى (أي عبد الرحمن الداخل) حتى أتي إفريقية، وقد توافى بها جماعة من أهل بيته» [(٢)] .

وأحدث انتصار الأمير عبد الرحمن الداخل على يوسف الفهري والصميل ابن حاتم في موقعة المصارة [(٣)]، وتأسيسه الدول الأموية في الأندلس في سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م، أصداء بعيدة المدى شجعت أعداداً كبيرة من الأمويين على الوفود

---

(١) انظر : الطبري، تاريخ الأمم والرسل والملوك، ج٧ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دارالمعارف ، ج ٤١، بدون تاريخ ص ٤٤٣؛ مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق إبراهيم الابياري، نشر دار الكتاب المصري واللبناني سنة ١٩٨١، ص ٥١ - ٥٢؛ عبد العزيز سالم، العصر العباسي الأول ، الاسكندرية، بدون تاريخ ص ١٠١ - ١٠٣ ؛ مختار العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي، الاسكندرية، سنة ١٩٨٧، ص ٤٣؛ عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١ ؛ ط ٣ القاهرة ١٩٨٨ ص ١٤٨ .

(٢) أخبار مجموعة، ص ٥٢؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٧٥.

(٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ، ص ٥٢ ، ٥٦، عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ١٧٥ .

إلى الأندلس، والتدفق على قرطبة الحاضرة ،حيث استقبلهم الأمير عبد الرحمن بالحفاوة والإكرام، وقربهم إليه وأدناهم منه، فحظوا في عهده بمكانة رفيعة، ونعموا بعديد من الامتيازات [1] .

ويتضح من المصادر أن معظم الهجرة الأموية إلى الأندلس حدثت في عهد الأمير عبد الرحمن الداخل، الذي كان يرحب بوفود أهل بيته من المروانيين عليه بالأندلس، وحتى يشاهدوا ما أنعم الله تعالى عليه ، وتظهر يده عليهم .. ، فوفد عليه أخوه الوليد بن معاوية بن هشام بن عبد الملك وولده المغيرة، وابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام ، وعبد الملك بن عبد الملك بن بشر بن مروان بن الحكم ، وحبيب بن عبد الملك (من أحفاد الخليفة الوليد بن عبد الملك)، وكذلك عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم ، وجزى بن بشر بن عبد العزيز بن مروان ومعهما أولادهما وبناتهما.[2]

واستمرت موجهة الوافدين من بني أمية المشارقة تتدفق علي الأندلس فى عهود خلفاء الأمير عبد الرحمن الداخل، فدخلها عدد كبير من بنى أمية خاصة فى فترات الازدهار التى شهدتها الأندلس فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢-٨٥٢م)، حيث قدم عليه جماعة من وجوه المروانيين منهم: بكار بن عبد الرحمن بن دواد بن سليمان بن عبد الملك وابن أخيه مسلمة بن عبد الملك بن عبد الواحد المروانى وأخوه مسلمة وأصبغ بن محمد (من نسل

(١) ابن عذارى نفسه، ج٢، ص ٤٩ ، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق ٢؛ تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط سنة ١٩٣٤، ص ٨؛ ابن خلدون ، العبر،ج٤، طبعة بيروت، ص ١٩٧١، ص ١٢٢، مؤلف مجهول بلاد الأندلس، ج١، تحقيق لويس مولينا، مدريد سنة ١٩٨٣، ص ١١٤، Levi Provencal, Histoire,t 1, P. 106 ص ١٩٤؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس ، جده سنة ١٩٨٥، ص ١٨٩، حمدي عبد المنعم، مجتمع قرطبة في عصر الدولة الأموية، رسالة دكتوراه غير منشورة، نوقشت بآداب الأسكندرية سنة ١٩٨٤، ص ٧٥ .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ٨٧؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، بيروت سنة ١٩٨٣ ص ٨٩ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، تحقيق مؤنس ، القاهرة، سنة ١٩٦٣ ، ص ٥٨؛ المقري، نفح الطيب، ج٤ تحقيق يوسف البقاعي بيرتت سنة ١٩٨٦ ، ص ٤٧ ؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص ١٩٤؛ Elias Teres, Linajes arabes, P. 68 & Teres, Dos familias Marwanies, P. 96.

الخليفة عبد الملك بن مروان)(١).

وفي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م)، دخل الى الأندلس جماعة من قومه المراونيين منهم: عبد العزيز بن عبد السلام بن عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وابن عمه محمد بن عبد السلام بن إسماعيل بن سليمان بن عبد الملك، فأحسن الناصر اليهما، ووصلهما، وأغدق عليهما الأعطيات (٢).

١- دورهم السياسي والاداري في عصر الامارة الأموية :

نستدل من المصادر العربية أن أفرادا من الأسرة الأموية (المروانية) كانوا يحظون بمكانة مرموقة طوال الدولة الأموية فى الأندلس ، حيث ترددت أسماؤهم فى مواضع مختلفة من هذه المصادر، وسلطت عليهم الأضواء ربما لمنازلهم الرفيعة التى كانوا ينعمون بها ، أو لخدمات جليلة قدموها للأمراء، غير أن بعض أفراد آخرين من نفس البيت الأموى لم تسلط عليهم الأضواء من جانب المؤرخين، رغم مشاركتهم فى الحياةالسياسية وتوليهم الخطط الأدارية الكبرى منذ تأسيس الدولة الأموية فى الأندلس.

ومن أبرز تلك الشخصيات : حبيب بن عبد الملك المروانى (من نسل الخليفة الوليد بن عبد الملك) الذى ولى طليطلة وأعمالها فى عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ/٧٥٦-٧٨٨م)، وكان ممن يشاورهم الأمير فى رأيه،ويدنى مجالسهم، كما ضمه الى خاصته ضمن نقباء دولته (٣)

ومنهم أيضاً عبد الملك بن بشر بن عبد الملك بن بشر المروانى المعروف

---

(١) ابن حيان، قطعة من المقتبس (خاصة بعهد الأمير عبد الرحمن الأوسط والأمير محمد)، تحقيق محمود مكي، بيروت سنة ١٩٧٣، ص ٩٦ - ٩٧؛
Levi-Provencal, Histoir, T , III, P. 190 .

(٢) ابن حيان ، قطعة من المقتبس (اصة بعهد الخليفة الناصر)، ج٥ ، تحقيق بدرو وشالميتا ، مدريد سنة ١٩٧٩، ص ٤٠. Levi - Provencal, op. cit, t, III, p. 190 .

(٣) انظر: ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص ٥٩ - ٦٠، ابن سعيد ، المغرب في حلي المغرب ج١ تحقيق شوقي ضيف، طبعة دار المعارف، بدون تاريخ، ص ٦٢ ترجمة رقم ١٢، ج٢،ص ١٠ ترجمة ٣٢٤. Elias Teres, Dos familias Marwanies, PP. 96 - 97.

بالبشرى (ينتسب الى الخليفة مروان بن الحكم)، وكان من المقربين للأمير عبد الرحمن الداخل، ومن أفراد حاشتية، ومن المشاورين عليه فى أمور دولته، فهو الذى أوصاه باصطناع البربر، واتخاذ العبيد ليستعين بهم على العرب [١]، وذلك بسبب أزدياء نفوذ العصبية العربية، واستفحال سطوة العرب، بحيث أصبحوا يشكلون خطرا جاثما على وحدة الدولة وأصبح لزاما على الأمير أن يتخذ إزاءهم إجراءً حاسماً لكسر شوكتهم.

وهناك شخصية أخرى بارزة - لا مجال لإغفالها - ساندت الأمير عبد الرحمن الداخل في بناء دولته في بداية تأسيسها ، وأعنى بها : شخصية عبد الملك بن عمر المرواني ،الذي كان من خواص الأمير عبد الرحمن ، ومن أشد المخلصين له، ولذلك أسند إليه ولاية إشبيلية، بينما ولي إبنه عبد الله على مورور [٢] ، ثم استوزره هو وأولاده بعد ذلك [٣]، وأخذ الأمير برأيه في قطع الخطبة للخليفة العباسي المنصور بعد أن استمرت عدة أشهر [٤] وفي التخلص من أبي الصباح بن يحيى اليحصبي زعيم اليمنية بإشبيلية في سنة ١٤٩ هـ / ٧٦٦م

---

(١) ابن الأبار، نفس المصدر السابق، ج١، ص ٨٥، ابن سعيد ، نفسه، ج١، ص ٦٠ ترجمة رقم ١٠ وجدير بالملاحظة أن ابن سعيد ذكر في ترجمته أن اسمه بشر بن عبد الملك، بينما الصواب أنه عبد الملك بن بشر بن عبد الملك وهو ما أثبتناه بالمتن نقلاً عن ابن الأبار وغيره من مؤرخي الأندلس، أنظر أيضاً: (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٠٦).

(٢) مورور (بالأسبانية Moron de la frontera) : مدينة صغيرة تقع على مقربة من قرمونة ، إلى الجنوب الغربي من قرطبة ، وجنوب شرق إشبيلية، على بعد نحو ستين كيلو متراً منها، ويذكر الحميري أن مدينة قلب كانت قاعدة كورة مورور، ودار الولاة بها، انظر (قطعة من المقتبس تحقيق محمود مكي، ص ٥٨٤ ، ٤٧٣؛ الحميري ، الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت سنة ١٩٨٤، ص ٥٦٤).

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج٥، طبعة بيروت سنة ١٩٨٧، ص ٢٠٩؛ ابن الأبار نفسه، ج١، ٥٧؛ ابن خلدون، نفسه، ج٤، ص ١٢٣، المقري؛ نفح الطيب، ج٤، ص ٦٠ - ٦١، ؛ Levi - Prvencal, Histoire, T, I, P. 132, N1:.

وانظر أيضاً : عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ١٩٥

(٤) المقري، نفسه، ج٤، ص ٦٠؛ مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ١٠٢.

٧٦٦م ، لخطورته على الدولة الأموية الناشئة [١].

وإذا كانت هاتان الشخصيتان قد تميزتا بالإخلاص للأمير عبد الرحمن الداخل، وموالاتهما له، فهناك أفراد آخرون من أقربائه تآمروا عليه في الاستيلاء على الحكم، فتذكر المصادر أنه في سنة ١٦٣ هـ / ٧٧٩ - ٧٨١٠م دبر عبد السلام بن يزيد بن هشام بن عبد الملك (ابن عم الأمير عبد الرحمن) مؤامرة يستهدف بها خلع الأمير ، اشترك معه فيها أحد أقربائه ويدعى عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام (ابن أخي الأمير عبد الرحمن) ، كما ساعدهما بعض الحاقدين على الأمير عبد الرحمن الداخل ، غير أن تفاصيل المؤامرة بلغت الأمير عبد الرحمن الداخل ، عن طريق مولى لعبيد الله بن أبان، وشى بهما فأمر الداخل بالقبض عليهما وقتلهما[٢] .

ولم تكد تمضي خمس سنوات على تلك المؤامرة حتى كشف الأمير مؤامرة جديدة دبرها هذه المرة المغيرة بن الوليد بن معاوية (إبن أخيه)، الذي حاول خلع عمه عبد الرحمن والاستيلاء على الإمارة في سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٥ - ٧٨٦م ، وشاركه في هذه المؤامرة هذيل بن الصميل بن حاتم أخذاً بثأر أبيه، ولم يتردد الأمير بعد أن كشف المؤامرة ، أن أصدر أمره بقتل جميع المشتركين فيها، كما أمر بنفي أخيه الوليد بن معاوية (والد المغيرة) وأهله إلى العدوة المغربية. [٣]

---

(١) أخبار مجموعة، ص ٩٧. وحول مقتل أبي الصباح اليحصبي راجع التفاصيل في : (ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص ٥٣ - ٥٤، عبد العزيز سالم، نفس المرجع السابق، ص ٢٠٠،عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ق١، ص ١٦٤).

(٢) أخبار مجموعة ، ص ٩٩ - ١٠٠؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٩٣، ٩٤؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص ٤٧.

Levi - Provencal Histoire, t.I,P. 114 & Elias Teres, Linajes arabes P. 69 .

(٣) أخبار مجموعة، ص ١٠٥؛ ابن حزم ، نقط العروس، تحقيق شوقي ضيف،مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة سنة ١٩٥١، ص ٦٠؛ جمهرة أنساب العرب، ص ٩٤؛ المقري، نفسه، ج٤، ص ٤٧؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ٢٠٥؛ مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ١١٠؛ حمدي عبد المنعم، مجتمع قرطبة، ص ٧٧ .

وظهر في عهد الأمير هشام الرضا (١٧٢ - ١٨٠ هـ) وابنه الحكم الأولى الربضي (١٨٠ - ٢٠٦ هـ) عدد من الشخصيات المروانية ينتسبون إلى عبد الملك بن عمر المرواني - سالف الذكر - ومنهم : العباس بن عبد الله المرواني القرشي [١] (جد بني العباس القرشيين بقرطبة)، الذي تقلد عدة مناصب كبرى في الدولة ، منهاولاية باجة (Beja) (بغرب الأندلس) في عهد الأمير هشام، ثم تولى الوزارة والقيادة للأمير الحكم الربضي ، الذي رفع منزلته وقربه إليه وجعله من أخص خاصته، ولم يدانه أحد في زمانه، وظل يحتفظ بمكانته حتى توفي في سنة ٢١٩ هـ / ٨٣٤م. [٢]

ويبدو أن بعض المغمورين من البيت المرواني اشتغلوا بالفقه وغيره من العلوم الدينية منذ عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط (٢٠٦ - ٢٣٨هـ) ، فلأول مرة في تاريخ الدولة الأموية في الأندلس تسند خطة قضاء الجماعة [٣] في عهد هذا الأمير لواحد من المروانية هو إبراهيم بن العباس القرشي [٤]، الذي تولى القضاء

(١) هو العباس بن عبد الله بن عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، وجده عبد الملك هو الداخل إلى الأندلس في عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) كما سبقت الإشارة ، انظر (جمهرة أنساب العرب، ص ١٠٧، قطعة من المقتبس ، تحقيق محمود مكي ص ٤٥٠ هـ ٩١،). Teres, Dos familias Marwanies, P. 109.

(٢) ابن القوطية، نفسه، ص ٦٤، أخبار مجموعة ، ص ١٦، ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، تحقيق عبد الله عنان، القاهرة سنة ١٩٧٣، ص ٤٨٠. Elias Teres, Dos familias, P. 109.

(٣) حول قاضي الجماعة (أو قاضي القضاة كما في المشرق) واختصاصاته راجع التفاصيل في النباهي المالقي، تاريخ قضاة الأندلس، طبعة بيروت ، بدون تاريخ، ص ٢١؛ حسين مؤنس، شيوخ العصر في الأندلس، القاهرة سنة ١٩٦٥، ص ٧٢ - ٧٣؛ مختار العبادي، نظم الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية، ضمن دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الكيوت سنة ١٩٨٥، ص ١٦٢ - ١٦٣؛ عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ط٣، القاهرة سنة ١٩٧٣، ص ٤٦ - ٤٧؛ محمد أبو الفضل ، قضاة الجماعة في الأندلس، مجلة كلية الآداب - جامعة الإمارات، العدد الخامس سنة ١٩٨٩، ص ١٧٤ - ١٧٦.
Rachel Arié, España musulmana, Madrid , 1984, P. 90

(٤) هو إبراهيم بن العباس بن عيسى بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي القرشي، انظر

مـرتين ، الأولى في سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م، والثـانيـة في سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٨)، بتوجيه من الفقيه المالكي الشهير يحيى بن يحيى الليثي،الذي أشار على الأمير بإسناد قضاء الجماعة بالحاضرة قرطبة وقد وصفه الخشني بأنه كان محموداً في قضائه عـادلاً في حكمه متواضعاً في أموره، غير متصنع ولا متهيب..، ورغم ذلك عزله الأمير عبد الرحمن عن القضاء في سنة ٢٢٧ هـ قيل بسعاية الفقيه عبد الملك بن حبيب الذي نصح الأمير بألا ينبغي له أن يشركه في عدله من يشركه في نسبه، وقيل لأن الأمير علم بأن القاضي يخاطب في مجلس قضائه بابن الخلائف ، فكان ذلك سبباً لعزله [١] .

وقد نكب الأمير عبد الرحمن الأوسط أفراداً من قرابته وزج بهم في السجن، بسبب الوشايات التي كان لها أثرها - أحياناً - في الإطاحة ببعض الشخصيات المرموقة في قرطبة، ومن الأمثلة الدالة على ذلك، أن القاسم وعبد الملك وعبد العزيز أبناء العباس بن عبد الله المرواني (حفيد عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم) سجنوا بالدويرة بالحاضرة قرطبة وظلوا في سجنهم هذا حتى وفاة الأمير عبد الرحمن الأوسط واستخلاف ولده محمد في سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٢م. الذي بادر بإطلاق سراحهم، وأكرمهم ، وخلع عليهم، وجعلهم ضمن حاشيته، وأسند إليهم الوزارة والقيادة [٢] كماقام بتولية أحد أخوتهم ويدعى سعيد بن العباس القرشي [٣] على ماردة Merida (بغرب الأندلس) بعد أن أخمد ثورة أهلها في سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨م[٤] .

(جمهرة أنساب العرب، ص ٩٠، قطعة من المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٩).

(١) الخشني، قضاة قرطبة، القاهرة ، سنة ١٩٦٦، ص ٥١ - ٥٤؛ النباهي، نفسه، ص ١٥؛ ابن سعيد ، نفسه، ج١، ص ١٤٨؛ محمد أبو الفضل ؛ نفسه، ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) انظر ، ابن حزم، جمهرة ، ص ١٠٨؛ ابن حيان، نفسه، تحقيق محمود مكي، ص ١٢٠، ص ٥٠٩ - ٥١٠، ٢٧٥ هـ

(٣) هو سعيد بن العباس بن عبد الله بن عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموي، انظر (المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٦٠٧ هـ ٥٢٥).

(٤) انظر : المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٣٢٢ .

وفي عهد الأمير المنذر بن محمد (٢٧٣ - ٢٧٥ هـ / ٨٨٦ - ٨٨٨م) أسندت ولاية سرقسطة (Zaragoza) وثغرها إلى أحمد بن البراء بن مالك القرشي (من نسل عبد الملك بن عمر المرواني)، كما قلد والده البراء الوزارة بقرطبة، وظلا ينعمان بالنفوذ والجاه إلى أن تولى الأمير عبد الله بن محمد سنة ٢٧٥ هـ ، الذي انقلب عليهما ونكبهما [١]، فقد تآمر مع عرب تجيب (من زعماء الثغر الأوسط) على قتل أحمد بن البراء بسرقسطة في سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ - ٨٩٠ م، كما أمر بعزل والده عن الوزارة في نفس السنة [٢].

ويشير ابن الأبار إلى أن أحد أعقاب عبد الملك بن عمر المرواني ويدعى مالك بن محمد [٣] ، كان من المقربين للأمير عبد الله (٢٧٥ - ٣٠٠ هـ / ٨٨٨ - ٩١٢م)، وولي في عهده الولايات ، ويصفه ابن حيان بأنه كان من أجّل رجال قريش وأحد المتصرفين في أعمال السلطان الرفيعة [٤].

ب - دورهم السياسي والإداري في عصر الخلافة :

تألقت في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) بعض الشخصيات المروانية من أبرزهم : إسحاق بن محمد القرشي (من نسل عبد الملك بن عمر المرواني)، الذي ولي الوزارة في سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ - ٩١٦م) وكان موصوفاً بسداد الرأي ، وأمية بن إسحاق القرشي الذي ولي كورة الجزيرة الخضراء (Algeciras) في سنة ٣١٨ هـ ، بينما ولي محمد بن مالك القرشي حاضرة

---

(١) ألمع ابن القوطية إلى سبب نكبة البراء وزيراً بقرطبة في جملة وزراء البيت ، فنقل عنه إلى الأمير عبد الله كلام لم يوافقه، وتخوف منه، مما أدى إلى سخطه عليه، وجر الاتهام إلى ابنه أحمد بن البراء انظر (تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٢٣. ابن حيان، قطعة من المقتبس، تحقيق إسماعيل العربي، المغرب سنة ١٩٩٠، ص ١٠٨ - ١٠٩).

(٢) ابن القوطية ، نفسه، ص ١٢٣ - ١٢٤، المقتبس ، تحقيق إسماعيل العربي، ص ١٠٨ - ١٠٩).

(٣) هو أبو القاسم مالك بن محمد بن مالك بن عبد الله بن عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، انظر : (ابن الأبار، الحلة السراء، ج٢، ص ٣٧٠).

(٤) انظر : المقتبس، تحقيق اسماعيل العربي، ص ٦٧؛ ابن الأبار ، نفسه، ج٢، ص ٣٧٠.

جيان Jaen وإقليمها في نفس العام، ومطرف بين المنذر القرشي الذي أسند إليه حكم قلعة أيوب [١] في سنة ٣١٨ هـ . [٢] كما تقلد الوزارة في عهد الناصر أحد المروانيين وهو يحيي بن إسحاق، وكان قبل ذلك يتولى خطة الشرطة الصغرى [٣]، كذلك استوزر الناصر بعض أقربائه (سنة ٣٢٢هـ)وهم : أحمد بن إسحاق القرشي، وسعيد بن المنذر القرشي المعروف بابن السليم[٤] وأحمد بن محمد بن إسحاق القرشي

وظل المرانيون يحتفظون بمكانتهم السامية والنفوذ في عهد الخليفة الحكم المستنصر بن الناصر (٣٥٠ - ٣٦٦ هـ) والأمثلة على ذلك كثيرة، فمن برز منهم في عهد الحكم المستنصر:

أحمد بن محمد بن العباس القرشي الذي تولى على سرقسطة وتطيلة (Tudela) وأعمالها في سنة ٣٦١ هـ (٩٧١ - ٩٧٢م)، وعباس بن محمد بن

---

(١) قلعة أيوب (بالإسبانية Calatayud): تقع قرب مدينة سالم ، إلى الشمال الشرقي من طليطلة، وهي تنسب إلى مؤسسها أيوب بن حبيب اللخمي الذي تولى حكم الأندلس عقب مقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير في سنة ٩٧ هـ ، ويذكر الإدريسي أن مدينة قلعة أيوب تتصف بالحصانة والمنعة، وهي كثيرة الأشجار والثمار وعيون المياه، وتشتهر بصناعة الغضار المذهب (الخزف) الذي يتجهز به إلى كل الجهات. (أنظر الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة بدون تاريخ، ص ٥٥٣ - ٥٥٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦٩؛ محمد الفاسي، الأعلام الجغرافية الأندلسية، ضمن دراسات مغربية، الدار البيضاء سنة ١٩٩٠، ص ١١٩).

(٢) ابن حيان ، نفسه، ج ٥ تحقيق بدروشالميتا، مدريد سنة ١٩٧٩، ص ١١ - ١١ ، ٢٨٥.

(٣) ابن عذارى نفسه، ج٢، ص ١٨٣. أما خطة الشرطة الصغرى - الواردة بالمتن، - فكان صاحبها ينظر في الجرائم التي يرتكبها العامة. أنظر : (مقدمة ابن خلدون، ج٢، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط٣، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٦٨٨؛ مختار العبادي،نظم الحكم والإدارة، ضمن دراسات في تاريخ الحضارة ص ١٦٦، Rchel Arie, Espana musumana, P.107

(٤) هو سعيد بن المنذر بن معاوية بن أبان بن يحيى بن عبيد الله بن أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي، كان يتولى إشبيلية في بداية عهد الخليفة الناصر، ثم قلده الوزارة بعد ذلك وكان من قادة الجيوش المشهورين، أنظر (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٩٤؛ ابن عذارى، نفسه، ج،ص ١٦٣-١٦٤؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص ٢٨٢).

العباس القرشي ، الذي أسندت إليه ولاية لاردة Lerida وأعمالها[١] وحسين بن محمد المرواني القرشي (من نسل الخليفة مروان بن الحكم الذي ولي قضاء بجانة Pechina [٢] (بجنوب شرق الأندلس).

وفي عهد الخليفة هشام المؤيد بن الحكم (بويع سنة ٣٦٦هـ) وحاجبه المنصور بن أبي عامر ، أسندت خطة أحكام الشرطة إلى أمية بن أحمد بن حمزة الأموي القرشي (ت سنة ٣٩٣هـ)، - وهو من نسل الأمير هشام الرضا - وعرف بالورع والتفقه في الدين، وكان يشاركه في أحكامه محمد بن يبقى بن زرب قاضي قرطبة، [٣]، كذلك برز في عهدهما عبد الله بن عبد العزيز المرواني (الملقب بالبطرشك أو بطره شقه - Piedra Seca أي الحجر اليابس)، وهو من نسل الأمير الحكم الربضي)، وقد تولى حكم طليطلة ، وأظهر كفاءة في ذلك ، غير أن الحاجب المنصور تخوف منه، فاتهمه بالتآمر عليه بالاشتراك مع عبد الله أحد أبناء المنصور العامري، مما اضطر عبد الله المرواني إلى الفرار ، واللجوء إلى برموده (أو برمند الثاني) Bermudo II ملك ليون Leon ، ثم ظفر به المنصور في سنة ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ - ٩٩٦م فسجنه بالمطبق بعد أن طيف به على جمل وهو مقيد، وظل في سجنه حتى توفي المنصور وتولى ابنه الحاجب المظفرعبد الملك فأطلق سراحه سنة ٣٩٢/ ١٠٠٢ م ورفع منزلته [٤] .

وعمد المنصور بن أبي عامر بعد استبداده بالخليفة هشام المؤيد والحجر عليه، إلى الإيقاع بزعماء المروانيين الذين يصلحون للخلافة ، بحجة أنهم يمثلون

---

(١) المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي بيروت سنة ١٩٨٣، ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، القاهرة سنة ١٩٦٦، ص ١١٥ ترجمة رقم ٣٥٧.

(٣) ابن الفرضي ، نفسه، ص ٨٥ ترجمة ٢٢٦؛ جمهرة أنساب العرب ، ص ٩٦ .
Elias Teres, Linajes arabes, P. 72.

(٤) جمهرة أنساب العرب، ص ٩٨؛ ديوان ابن دراج القسطي، تحقيق محمود مكي ط٢ نشر المكتب الإسلامي ، سنة ١٣٨٩ هـ ، ص ٣٤٦ هـ ١، الحلة السيراء،ج١ ص ٢١٥ - ٢١٩؛ ابن سعيد ، المغرب، ج٢، ص ١٠ ترجمة رقم ٣٢٥.

خطراً على الخليفة هشام ، ربما لأنه رأى أنهم يزاحمونه في السلطان، ولهذا تعرض الكثير منهم للتنكيل والقتل، وآثر بعضهم الهرب إلى المغرب، ومنهم الوليد بن هشام الملقب بأبي ركوة (من أحفاد الخليفة الناصر لدين الله) ، الذي التجأ إلى برقة، وثار بمساعدة البربر على الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله في سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ - ١٠٠٥م ، وانتهى الأمر بمصرعه في سنة ٣٩٧ هـ / ١٠٠٧م [١].

وفي عهد المظفر عبد الملك العامري دبر وزيره عيسى بن القطاع مؤامرة ، من أهدافها الإطاحة بالخليفة هشام المؤيد بالله، وتنصيب هشام بن عبد الجبار بن الناصر لدين الله على دست الخلافة، وبالتالي إسقاط الاستبداد العامري، ولكن أنباء تلك المؤامرة تسربت إلى الحاجب المظفر، فأمر بالقبض على هشام بن عبد الجبار الأموي والوزير ابن القطاع، وأمر بقتلهما في سنة ٣٩٧/ أواخر ١٠٠٦م [٢].

كذلك كان للفقيه الأموي عبد الله المعيطي [٣] دور سياسي إبان الفتنة القرطبية واضمحلال الخلافة الأموية بقرطبة، فتذكر المصادر أنه في أوائل الفتنة غادر الحاضرة قرطبة وبصحبته خلق كثير، ولجأ إلى مجاهد العامري صاحب دانية، حيث بايعه خليفة هناك ولقبه بالمنتصر بالله أمير المؤمنين في سنة ٤٠٥ هـ

---

(١) انظر ابن الأثير، نفسه، ج٩، ص ٤٢ - ٤٦ ؛ النويري ، نهاية الأرب، ج٢٣، تحقيق أحمد كمال زكي، الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٠، ص ٤٠٦؛ المقريزي، إتعاظ الحنفا، ح٢، تحقيق محمد حلمي أحمد ، القاهرة سنة ١٩٧١، ص ٦٠ - ٦٥؛ المقري، نفح، ج٣، ص ٤١٠ - ٤١١؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٥٨،

Jorge Aguado, Abu Rakwa, en Actas de Iv, Coloquio Hisp. Tunecino, Madrid, 1983, PP. 10 - 19 .

(٢) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠١؛ ديوان ابن دراج القسطلي، مقدمة المحقق، ص ٦٠، ابن عذارى ، نفسه، ج٣، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، ص ٣٠ - ٣٢؛ النويري، نفسه، ج٢٣ ص ٤١٠ ، Elias Teres, Linajes arabes, P. 80

(٣) هو عبد الله بن عبيد بن الوليد بن محمد بن يوسف الأموي (من نسل عقبة بن أبي معيط بن عمرو بن أمية ، أنظر (ابن حزم؛ نفسه، ص ١١٥، . Teres, Linajes. P 85

/ ١٠١٤م ، ليسبغ شرعية على حكمه، وظل المعيطي الأموي مدة في كنف مجاهد العامري ، الذي لم يلبث أن ضاق به وخلعه وطرده من إمارته، واستقر المعيطي في أواخر حياته بأرض كتامة، وقيل ببجاية في المغرب الأوسط حيث توفي في سنة ٤٣٢هـ / ١٠٤٠ - ١٠٤١م(١).

وقبيل سقوط الخلافة الأموية بقرطبة قامت ثورة بزعامة رجل من المروانيين يدعى أمية بن عبد الرحمن المعروف بالعراقي (ينتسب إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر)، وتمكن أمية بمساعدة الجند والعامة بقرطبة من قتل حكم بن سعيد وزير الخليفة هشام الثالث المعتد بالله في ذي القعدة سنة ٤٢٢ هـ / نوفمبر ١٠٣١م، ثم أقدم على خلع الخليفة المعتد (آخر خلفاء المروانيين)، واستولى هو وأعوانه على قصر الخلافة ، وترتب على ذلك مزيد من المعاناة والمحن التي تعرض لها أهل قرطبة، مما أدى إلى اجتماع أهل الرأي والمشورة وعلى رأسهم الوزير ابن جهور (شيخ الجماعة القرطبية) وهتفوا بإبطال الخلافة جملة .. وأجمعوا على خلع بني أمية، وألا يبقى أحد من المروانيين بالحاضرة قرطبة وذلك في ذي الحجة سنة ٤٢٢ هـ / أواخر ١٠٣١م (٢).

ومن الثابت أن دور المروانيين السياسي تلاشى تماماً عقب سقوط الخلافة

---

(١) ابن حزم نفسه، ص ١١٥، ابن بشكوال، الصلة، ق١، القاهرة سنة ١٩٦٦، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ ترجمة ٥٩٣؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام ق٢، ص ٦٣؛ مختار العبادي ، دراسات ، ص ٩٣ - ٩٤، كليليا سارنللي، مجاهد العامري، القاهرة سنة ١٩٦١، ص ١٤٩، Teres, Linajes, P. 164 - 65.

(٢) انظر ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٣ مجلد ١ ، تحقيق إحسان عباس،بيروت، سنة ١٩٧٩، ص ٢٥٢ - ٢٥٩؛ ابن عذارى نفسه، ج٣، ص ١٤٩ - ١٥١؛ وراجع أيضاً : عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص ٣٦٣؛ عبد الله عنان، نفسه، العصر الأول، ق ٢، ص ٦٦٨ - ٦٦٩؛ إبراهيم عبد المنعم سلامة ، الأندلس بين سقوط الدولة العامرية ونهاية الخلافة الأموية، رسالة ماجستيرغير منشورة، نوقشت بآداب الاسكندرية سنة ١٩٩٣، ص ٣٩٨ - ٤٠٣،

Aguado Bleye, Manual de historia de España, t. 1, P. 444.

الأموية، فهاجروا من قرطبة، واستقروا في عديد من مدن الأندلس الأخرى حيث آثروا الابتعاد عن مجال الحياة السياسية والإدارية، ودخلوا في غمار عامة الناس.

٢ - الدور الحربي

برز بعض المروانيين المغمورين في مجال القيادات العسكرية، فأسهم بعضهم في إخماد الفتن والثورات الداخلية التي نشبت في الأندلس إبان عصر الدولة الأموية، وساعدوا بالتالي على تدعيم أركان دولتهم، وتوطيد سلطانها في مختلف أنحاء الأندلس، وشارك آخرون في الجهاد ضد الممالك الأسبانية المسيحية في الشمال، وقادوا العديد من الحملات ، مما ساعد على تأمين الثغور الأندلسية، وإقرار الأمن في ربوع البلاد والإحساس بالطمأنينة في نفوس سكان تلك الثغور الإسلامية.

ومن الثابت أن موقعة المصارة (١١ ذي الحجة سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٦م) تسجل بداية الدورالحربي الذي مارسه بنو مروان في الأندلس ، أي أنهم بدأوا يزاولون نشاطهم الحربي والجهاد قبيل دخول الأمير عبد الرحمن بن معاوية قرطبة، ومبايعته بالإمارة ، فتذكر المصادر أن الأمير عبد الرحمن الداخل أسند إلى حبيب بن عبد الملك المرواني القرشي قيادة فرسان بني أمية في موقعة المصارة التي انتهت بانتصار الأميرعبد الرحمن ، واستيلائه على قرطبه وفرار يوسف الفهري والي الأندلس آنذاك وحليفة الصميل بن حاتم (١).

ويشير صاحب أخبار مجموعة إلى أن القائد حبيب القرشي تولى أيضاً القضاء على الثائر المسلمي الذي فر من قرطبة ، وتحصن بشرق الأندلس، معلناً

---

(١) انظر ، مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، ص ٨١ - ٨٣؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ١٨٩ - ١٩٠. Elias Teres, Dos familias Marwanics,. P 96 .

التمرد على الأمير عبد الرحمن الداخل وانتهى الأمر بمقتله على يد أحد أعوان القائد حبيب في سنة ١٦٢ هـ / ٧٧٩ - ٧٨٠م (١) .

ومن أبرز القادة العسكريين الذين حققوا شهرة في المعارك التي خاضها الأمير عبد الرحمن الداخل: عبد الملك بن عمر الرواني - سالف الذكر - الذي امتدحته المصادر العربية، ووصفته بالشجاعة والاستبسال في المعارك ، وكان له دوره الفعال في القضاء على ثورة يوسف الفهري بماردة سنة ١٤١ هـ ، وتمكن بمساعدة ابنه عبد الله من إنزال الهزيمة به على مقربة من إشبيلية والقضاء على معظم أتباعه ، بينما فر الفهري نحو طليطلة حيث لقي مصرعه في طريقه إليها في سنة ١٤٢ هـ / ٧٥٩ - ٧٦٠م (٢) .

وإليه أيضاً يرجع الفضل الأعظم في إخماد فتنة اليمنية بإشبيلية في سنة ١٥٦ هـ / ٧٧٣م ، وهي حركة تمرد قام بها اليمنية من أهل إشبيلية في تلك السنة، وطالبوا بثأر زعيمهم أبي الصباح بن يحيى اليحصبي، وزحفوا نحو قرطبة في قوى كثيفة بهدف إسقاط دولة الأمير عبد الرحمن الداخل، فلتلقاهم عبد الملك المرواني، ودرات بين الفريقين معركة ضارية أبلى فيها عبد الملك بلاءً حسناً، وتمكن من التغلب على قوى اليمنية، وأوقع بهم هزيمة نكراء، قُتلت فيها أعداد كبيرة منهم، الأمر الذي رفع من شأنه في نظر الأمير، فخصه بمحبته،

---

(١) أخبار مجموعة، ص ١٠٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج ٢٣، ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

(٢) انظر : مؤلف مجهول، أخبار مجموعة ، ص ٨٨ - ٩٠ ؛ ابن الأثير، الكامل ج٥، ص ١٢٦ - ١٢٧؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص ٥٦ - ٧٥؛ ابن عذارى ،البيان المغرب، ج٢، ص ٤٩؛ النويري نفسه، ٢٣، ص ٣٣٩؛ ابن خلدون ، نفسه، ج٤، ص ١٢١،

Levi - Provencal, Histoire, t, 1,p. 108 & Elias Teres, Dos familias Marwanies, PP. 106 - 107 .

وراجع أيضاً : عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم ، ص ١٩٥ - ١٩٦؛ حسين مؤنس ، فجر الأندلس، ص ٦٨٩؛ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول ق ١، ص ١٥٨ - ١٥٩؛ حمدي عبد المنعم، مجتمع قرطبة، ص ٨٥ - ٨٦ .

وأدناه. ووصله بالصهر ، بأن زوج إبنه وولي عهده هشام من كنزة بنت عبد الملك المرواني [١] وينتسب إلى عبد الملك المرواني بعض القادة العسكريين الأكفاء من ذراريه ، منهم : قاسم بن العباس المرواني القرشي [٢] الذي كان من بين من اصطفاهم الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط لقيادة جيوشه، فقد اشترك مع القائد تمام بن أحمد بن أبي العطاف قائد الفرسان في محاربة ثوار طليطلة في سنة ٢٣٩ هـ / ٨٥٣ - ٨٥٤م [٣].

كما شارك أخوه عبد الملك بن العباس المرواني في الجهاد ضد قوى النصرانية في إسبانيا ، وتشير المصادر إلى أنه قاد الصائفة مع عبد الرحمن بن الأمر محمد في سنة ٢٤٩ هـ / ٩٦٠ - ٩٦١م، واتجه الجيش الأموي إلى منطقة ألبه والقلاع، وتوغل في أراضي النصارى بقشتالة (Castilla) فخرب عمرانها وانتسف زروعها ، كما تمكن المسلمون من اقتحام بعض حصون تلك المنطقة، إثر انتصارهم على النصارى ، ثم عادوا ظافرين إلى العاصمة قرطبة [٣] .

ومن أقربائهم الوزير القائد البراء بن مالك القرشي، الذي كان أحد كبار قادة الأمير محمد ، واشترك مع المنذر ابن الأمير محمد في قيادة الجيش الأموي الذي سيره الأمير لمحاربة عبد الرحمن بن مروان الجليقي الثائر بماردة وبطليوس (Badajoz) (بغرب الأندلس) [١]. كذلك عهد إلى البراء بقيادة الجيش الأموي

---

(١) ابن الأثير ، نفسه، ج٥، ص ٢٠٩؛ ابن الأبار، نفسه، ج١، ص ٥٦ - ٥٧؛ ابن خلدون ، نفسه، ج٤ ص ١٢٣ وجدير بالذكر أن القائد عبد الملك المرواني أقدم على قتل ولده أمية في بداية المعركة لإسراعه بالانسحاب من ميدان القتال عند بداية اصطدامه بقوات اليمنية وأهل أشبيلية، وقال له عبارته المشهورة إن كنت فررت من الموت ، فقد جئت إليه، ثم أمر بضرب عنقه، أنظر (المقري ،نفح الطيب، ج٤، ص ٦).

(٢) هو قاسم (أو القاسم) بن العباس بن عبد الله بن عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، انظر ، (ابن حيان ، قطعة من المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٥٩١هـ ٤٨٥)

(٣) ابن حيان ، نفسه، تحقيق محمود مكي، ص ٢٩٤، ابن عذاري ، نفسه، ج٢، ص ٩٤ .

لغزو مملكة جليقية (Galicia) المسيحية في سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ - ٨٧٨م، فاتجه إلى هناك ومعه حشود غرب الأندلس، فأثخن في نصارى جليقية، وخرب مزارعهم [٢].

كما استعان الأمير المنذر بن محمد بخدمات أحمد بن البراء بن مالك القرشي، تقديراً منه لكفاءته الحربية فبعثه إلى سرقسطة (قاعدة الثغر الأعلى)، لمحاربة بني قسي المولدين الذين ثاروا بالثغر الأعلى واستقلوا به عن الحكومة المركزية بقرطبة منذ عهد الأمير محمد[٣].

وفي عهد الأمير عبد الله بن محمد برزت شخصية مروانية مغمورة حملت راية الجهاد ضد إسبانيا المسيحية هي شخصية الداعي أحمد بن معاوية القرشي (المرواني) المعروف بابن القط، (وهو من نسل الأمير هشام الرضا)، وتفيد المصادر بأن ابن القط كان من أهل العناية بالعلم، وخرج في سنة ٢٨٨هـ عند اشتعال نار الفتن في معظم جهات الأندلس في عهد الأميرعبد الله، وأظهر عجز الأمير عن حماية ثغور المسلمين، ودعا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله (٤) وساعد على نجاح دعوة ابن القط المرواني أنه كان يتكهن ويموه ويبشر أتباعه بالنصر، وقهر أعداء الإسلام مدعياً أنه المهدي، فلقي

---

(١) المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٣٧٣. وراجع أيضاً: سحر عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة بطليوس الإسلامية، ج١، الأسكندرية، سنة ١٩٨٩، ص ٢٤٣ وما يليها.

(٢)انظر : المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٣٨٥؛ ابن عذارى ، نفسه، ج٢، ص ١٠٣ ، Levi - Provencal Histoire de L'esp. , Musul. , t, 1,p. 321.

(٣) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ١٢٣؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب، ص ١٠٨، ابن حيان ، قطعة من المقتبس، تحقيق إسماعيل العربي، المغرب، سنة ١٩٩٠، ص ١٠٨، Elias Teres, Linajes arabes, PP. 83 - 84 & Teres, Dos Familias Marwanies, P. 111

(٤) ابن حزم، نفسه، ص ٩٧؛ ابن حيان ، نفسه، تحقيق إسماعيل العربي، ص ١٥٥؛ ابن الأبار،الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٦٨ .

استجابة كبيرة لدى بربر غرب الأندلس ووسطها، وانتشرت دعوته بينهم، فانضموا إليه بأعداد كبيرة، ثم زحف بحشوده نحو مدينة سمورة (Zamora)، التي اتخذها أذفنش (ألفونسو الثالث) ملك جليقية أوليون Leon (٨٨٦ - ٩٠٩م) مقراً لحكمه ومركزاً لتوجيه الغزوات إلى أراضي المسلمين، وأقدم أثناء زحفه على تهديد الفونسو الثالث فكتب إليه يدعوه وقومه إلى الإسلام، وينذرهم بحرب لا قبل لهم بها إذا رفضوا[1].

ولم يتردد الفونسوا أمام هذا التهديد في التحرك سريعاً، فزحف بقواته نحو قوات ابن القط واشتبك الجيشان في معركة دارت أمام سمورة قرب نهر دويرة (Rio Duero)، انتصر ابن القط في بدايتها ثم خذله زعماء البربر، وانسحبوا فجأة من المعركة، بينما ثبت هو وقلة من أتباعه المخلصين، وقتل في اليوم الرابع للمعركة (٢٠ رجب سنة ٢٨٨هـ/ يوليو ٩٠١م)، كما قتل معظم جنده، واحتزوا رأسه، فنصب على باب مدينة سمورة، وتعرف تلك الموقعة عند أهل الثغر بيوم سمورة.[1] وممن تولى القيادة أيضا« في عهد الأميرعبد الله وحفيده الخليفة عبد الرحمن الناصر: عباس بن عبد العزيز بن العباس المرواني (القرشي)، وهو من نسل عبد الملك بن عمر المرواني ،ومن أعظم انجازاته العسكرية قيادته للحملة التي خرجت من قرطبة في سنة ٢٨٥هـ / ٨٩٨م، لمحاربة البربر بحصن كركي وجبل البرانس الواقع في شمالي قرطبة، وتمكن خلالها من الانتصار على العصاة البربر، وقتل بعض زعمائهم، واستولى على حصونهم[2].

---

(١) ابن حيان، نفسه، تحقيق إسماعيل اعربي، ص ١٥٦؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٦٩؛ محمد عبد الله عنان، نفسه، ق١، ص ٣٤٥؛ سحر عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس١، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب، ص ٩٧، ابن حيان ،نفسه، تحقيق إسماعيل العربي، ص ١٥٧ - ١٦١، ابن الأبار، نفسه، ج٢، ص ٣٦٩،

Aguado Bleye, Manual de historia de España, t. 1,P.P. 383 - 385.

وراجع أيضاً محمد عبد الله عنان، نفسه، ق١، ص ٣٤٥؛ سحر سالم، نفسه، ج١، ص ٣٠٣.

كما أسند إليه الخليفة الناصر العديد من المهام الحربية ومنها إسناده إليه قيادة الحملة التي وجهها عقب توليه الإمارة في سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢م لإخضاع بني ذي النون البربر الذين خرجوا عن الطاعة، وقد تمكن القائد عباس المرواني من إنزال الهزيمة بالثائر فتح بن موسى بن ذي النون وحليفه محمد بن إدريس الرباحي المعروف بابن أرذبلش عند قلعة رباح (Calatrava) (١) ، وقتل الكثير من أتباعهما ، كما أثخن في البربر بحصن كركي وجبل البرانس (٢) .

وينتسب إلى البيت المرواني أيضاً الوزير القائد سعيد بن المنذر المرواني القرشي المعروف بابن السليم، وكان مشهوداً له بحسن القيادة والكفاية العسكرية، فاستعان به الأمير عبد الرحمن بن محمد (الذي عرف فيما بعد بالناصر لدين الله) في إخماد الفتن والثورات الداخلية التي كانت مشتعلة في معظم أنحاء الأندلس عند توليه الحكم، فتذكرت المصادر العربية أنه اشترك مع الأمير عبد الرحمن في غزوة طرش سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ - ٩٢٢م التي غزا فيها العصاة بكورة رية (مالقة Malaga) وحصن طرش Torrox (بجنوبي الأندلس) (٣).

كما عهد إليه الأمير بإخضاع الثائر محمد بن عبد الرحمن المعروف بالشيخ

---

(١) حصن كركي (بالإسبانية Caracuel) يتضح مما أورده الحميري أن هذا الحصن كان يقع في شمالي قرطبة وجنوبي طليطلة،على مقربة من قلعة رباح وأوريط، انظر (الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، ص ٦٦، حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٠٨) .

(٢) ابن حيان نفسه، تحقيق إسماعيل العربي، ص ١٤٩ - ١٥٠، ابن عذاري، نفسه، ج٢، ص ١٣٨.

(٣) قلعة رباح: كانت في العصر الإسلامي من أعمال كورة جيان، وتقع على الطريق بين قرطبة وطليطلة وهي من المدن الإسلامية المحدثة في الأندلس، فقد أسسها القائد علي بن رباح أحد القادة في جيوش موسى بن نصير (الحميري، نفسه ٤٦٩؛ محمود مكي، مدريد العربية ، ص ١٦)

الخزاعي الأسلمي الذي أعلن التمرد بقليوشة [١] في سنة ٣١٢ هـ / ٩٢٤ - ٩٢٥ م ، غير أن ابن المنذر لم يوفق في القضاء على ثورته، مما حمل الأمير على إرسال قائد آخر لأداء تلك المهمة [٢] .

ومع إخفاقه في مهمته - سالفة الذكر - كان حظياً لدى الأمير، ولم ينقصه إخفاقه من قدره ومنزلته عنده، فقد اشترك ابن المنذر معه في غزوة اشتبين سنة ٣١٣ هـ ،التي هاجم فيها الأمير بقايا حصون أهل الخلاف بكورة إلبيرة (Elvira) (غرناطة - Granada) ، وتمكن خلال تلك الغزوة من إخضاع حصون جيان Jaen وإلبيرة [٣] . واتجه ابن المنذر بعد ذلك إلى حصن ببشتر Bobastro معقل الثوار من بني عمر بن حفصون، ويذكر ابن القوطية بأن القائد ابن المنذر كان آخر من تولوا محاربة الثائر حفص بن عمر بن حفصون، فحاصره حصاراً شديداً دام عدة أشهر في أواخر سنة ٣١٤ هـ ، حتى أرغمه على الاستسلام للأمير، والدخول في طاعته في سنة ٣١٥هـ / ٩٢٧ -٩٢٨م وأسدل بذلك الستار على ثورة بني حفصون التي أعيت أمراء بني أمية واستمرت فترة طويلة [٤]. ولم يكتف ابن المنذر بما حققه من انتصارات بل قاد حملة موجهة إلى الحصون المجاورة لببشتر ، وكان أهلها من أكثر المتعصبين الموالين لبني حفصون المتمردين على حكومة قرطبة، ونجح في مهمته، وتم إقرار الأوضاع في جميع حصون كورة رية [٥].

---

(١) قليوشة : بالإسبانية Callosa de Segura ؛ من أعمال كورة تدمير بشرق الأندلس، وهي على مسافة ستة أميال من مدينة أو ريولة. انظر (العذري، ترصيع الأخبار، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد سنة ١٩٦٥، ص ١٣ ، ١٤؛ ياقوت، معجم البلدان، ج٤، طبعة بيروت ، بدون تاريخ، ص ٣٩٦)

(٢) العذري، ترصيع الأخبار، ص ١٣ .

(٣) ابن حيان، نفسه، ج٥، ص ١٩٩ .

(٤) انظر ابن حيان ، نفسه، ج٥، ص ١٢٧ - ١٢٨ ،مؤلف مجهول، مدونة الخليفة عبد الرحمن الناصر، نشر ليفي بروفنسال وغرسيه غومث،مدريد سنة ١٩٥٠، ص ٥٣، عنان، نفسه، ق٢، ص ٣٧٩.

(٥) ابن حيان، المصدر السابق،ج٥،ص ٢٨١ - ٢٨٣ ؛ ابن عذارى ، نفسه،ج٢، ص ٢٠٢- ٢٠٣.

ولم يلبث الأمير عبد الرحمن بعد أن تلقب بألقاب الخلافة أن عهد إلى القائد سعيد بن المنذر وإبنه محمد بقيادة حملة لإخضاع ثوار طليطلة (Toledo في سنة ٣١٨ هـ ، فحاصرا طليطلة، وأرهقا أهلها، الذين ساءت أحوالهم ، ثم انضم إليهما الخليفة (عبد الرحمن الناصر) بقواته ، مما عجل باستسلام كثير من أصحاب الحصون الثائرة، ودخولهم في الطاعة [١] ومضى القائد محمد بن سعيد بن المنذر عقب ذلك (٣٢٣ هـ) إلى منطقة الثغر الأعلى حيث بذلك جهوداً خارقة لإخضاع بعض حصون سرقسطة الخاضعة لنفوذ الثائر محمد بن هاشم التجيبي صاحب سرقسطة والثغر الأعلى [٢].

ومن الأسرات الأموية المغمورة التي أسهمت أيضاً في إخماد الفتن والثورات الداخلية وإعادة الوحدة السياسية للأندلس في عهد الخليفة الناصر: بنو إسحاق المروانيون (القرشيون) الذين ينتسبون إلى إسحاق بن الوليد (من نسل عبد الملك بن عمر المرواني) [٣].

ومن بين بني إسحاق الذين برزوا في المجال العسكري القائد إسحاق بن محمد بن إسحاق المرواني القرشي الذي اشترك مع الأمير عبد الرحمن بن محمد في العديد من الحملات التي وجهها لاستنزال الثوار منها: الصائفة التي بعثه بها الأمير في سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ - ٩١٧م إلى أهل الخلاف بكورتي تدمير وبلنسيه، وتمكن خلالها من توطيد نفوذ الأمويين هناك، وأخضع الثوار وفتح

---

(١) ابن حيان ، نفس المصدر السابق ، ج٥، ص ٤٢٨ .

(٢) ابن حيان ، نفسه، ج٥، ص ٣٦٠، ٣٦١ ، ٣٦٤ .

(٣) جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠٧ - ١٠٨ ، Teres, Dos familias, P. 109 وتجدر الإشارة إلى أن ابن خلدون أمدنا بمعلومات قيمة حول بني إسحاق القرشيين، فأوضح أن الرياسة ، استقرت في إسحاق الذي سكن إشبيلية أيام الفتنة (في عهد الأمير عبد الله) ،حيث استقل بها ابن حجاج ثم ابن مسلمة، وعندما تولى الناصر الحكم انتزع إشبيلية من يد ابن مسلمة، ورجع إسحاق وأولاده إلى قرطبة، فاستوزره الخليفة الناصر كما استوزر بنيه من بعده، أنظر (العبر ، ج٤، ص ١٣٩ - ١٤٠).

حصن أوريولة Orihuela (بشرق الأندلس) (١) ثم اتجه عقب ذلك إلى قرمونة Carmona لإخضاع واليها الثائر حبيب بن عمر بن سواده فحاصره، ولكن المدينة اسعتصت عليه، فأمده الناصر بالحاجب بدر بن أحمد على رأس جيش كبير ، وانتهى الأمر بفتح قرمونة والقبض على الثائر ابن سواده وابنه الأكبر وإرسالهما إلى الحاضرة قرطبة (٢).

وبالإضافة إلى ذلك لعب القائد إسحاق بن محمد القرشي دوراً مهماً في تأمين ثغور المسلمين المواجهة لمملكة جليقية المسيحيية ، فيذكر ابن حيان أن الأمير عبد الرحمن أرسله في سنة ٣٠٧ هـ على رأس جيش لدعم قوى المسلمين في منطقة الثغر الجوفي (٣). عندما اشتد عيث نصارى جليقية بتلك الناحية مما كان له أثره في إبعاد خطر النصارى الإسبان، وإجبارهم علي الانسحاب، إلى داخل حدودهم(٤) .

وحذا أبناء إسحاق بن محمد حذوه وانتهجوا نهجه في قيادة الجيوش واحتراف الحرب والقتال، وبرز من أبنائه : القائد أحمد بن إسحاق المعروف

(١) انظر ابن حيان، نفسه، ج٥، ص ١٢٧ - ١٢٨، مؤلف مجهول ، مدونة الخليفة عبد الرحمن الناصر، نشر ليفي بروفنسال وغرسيه غومث، مدريد سنة ١٩٥٠،ص ٥٣، عنان، نفسه،ق٢،ص ٣٧٩.

(٢) ابن حيان ،نفسه، ج٥، ص ١٣٦ - ١٣٧، مدونة الخليفة الناصر، ص ٥٥، عنان، نفسه،ق٢، ص ٣٨١.

(٣) الثغر الجوفي: يتضح من بعض المصادر أن الثغر الجوفي كان يقصد به في عصر الخلافة الأموية تلك المنطقة الواقعة في شمالي الأندلس أي طليطلة وما يحيط بها من حصون ومدن ثغرية مثل طلبيرة وسكتان، وهي منطقة تقع في مواجهة أراضي مملكة ليون (جليقية) الإسبانية المسيحية، أنظر (ابن حيان ،المقتبس،ج٥،ص ٤٥٦، وقطعة من المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٦١٣ - ٦١٤ هـ ٥٤٢) وبعد سقوط طليطلة في يد الفونسو السادس ملك قشتالة سنة ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م أصبح يقصد بالشغر الجوفي المدن الواقعة بغرب الأندلس مثل بطليوس وأشبونه وشنترين وماردة؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢،ص ٢١١؛ ابن خلدون العبر، ج٤، ص ١٤١)

(٤) انظر: المقتبس، ج٥، تحقق بدرو شالميتا، ص ١٥٥ - ١٥٦.

بصاحب الصوائف، الذي أخضع لقنت (Alicant) وقليوشة (Callosa) في سنة ٣١٦ هـ ، ثم هاجم بطليوس في سنة ٣١٧هـ ، معقل الثائر عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن مروان الجليقي ،الذي لم يتمكن من الصمود طويلاً ، فاضطر إلى الاستسلام والدخول في طاعة الخليفة الناصر لقاء ظفره بالأمان في سنة ٣١٨ هـ / ٩٣٠م [١].

ولقد أثبت أحمد بن إسحاق بهذا الإنجاز الكبير مقدرته العسكرية العالية وكفاءته في القيادة، فحظى بتقدير الخليفة له، فلم يتردد في تقليده القيادة بالثغر الأعلى في سنة ٣٢٣هـ (٩٣٤ - ٩٣٥م)، وعهد إليه بمحاربة الثائر محمد ابن هاشم التجيبي الذي استقل بسرقسطة (قاعدة الثغر الأعلى) عن الحكومة المركزية بقرطبة [٢] ، كما أسند الخليفة للقائد أمية بن إسحاق القرشي قيادة مقدمة جيشه أثناء غزوته لمحاربة بني شبريط (بني الطويل) المولدين الثوار بوشقة وبربشتر (بالثغرالأعلى)، وأسفرت تلك الغزوة عن استعادة تلك المناطق الثغرية، ودخولها في طاعة الخليفة الناصر في سنة ٣٢٣هـ [٣].

ورغم تلك الخدمات الجليلة التي قدمها بنو إسحاق المروانيين للخليفة الناصر، إلا أنه انقلب عليهم بسبب تهاون أحمد بن إسحاق (قائد الثغر الأعلى في محاربة الثوار التجيبيين ،مما أدى إلى عزله، فأثار ذلك سخط أمية بن إسحاق وإلى شنترين Santarem (بغرب الأندلس) فأعلن العصيان سنة ٣٢٧هـ ، وكثرت السعايات ضد بني إسحاق بأنهم يتآمرون على الدولة وعندئذ أمر الخليفة الناصر بتغريبهم في نواحي الأندلس وأنهى بذلك نفوذهم ودورهم السياسي والحربي في الأندلس [١] .



(١) ابن حزم، جمهرة ص ١٠٨ ؛ المقتبس، ج٥، ص ٢٤٧، ٢٤٩؛ سحر سالم، تاريخ بطليوس، ج١، ص ٣٣٣- ٣٣٥

(٢) أخبار مجموعة ، ص ١٣٨؛ العذري، نفسه، ص ٤٥، ج٢، ص ١٩٧ Teres, Dos familias, P.112 .

(٣) ابن حزم، نفسه، ص ١٠٨؛ العذري ، نفسه، ص ٦٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ١٤٥ ؛ ابن خلدون ، نفسه، ج٤، ص ١٣٩؛ عنان، نفسه، ق٢، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ؛ Teres, op. Cit, P. 112.

٣ - إسهامهم في العلوم والآداب والفنون

أسهم أفراد من المروانية المغمورين في الحركة العلمية والأدبية والفنية التي ازدهرت في الأندلس في عصر الدولة الأموية، فمنهم من برز في العلوم الدينية، ومنهم من برع في الأدب والشعر وعلم اللغة والنحو، وبعضهم اهتم بعلم التاريخ والأخبار، وفئة أخرى شغفت بفن الغناء والموسيقى.

أولاً: في العلوم الدينية (الشرعية):

أ - علم القراءات والتجويد:

برز عدد من المروانيين في علم القراءات ومن أمثلة ذلك: أحمد بن هشام بن أمية بن بكير القرطبي الأموي (ت سنة ٣٩٨هـ)[١]، وأحمد بن محمد بن سعيد الأموي المعروف بابن الفراء (ت أوائل القرن ٥ هـ/ ١١م)، وأصله من قرطبة، واستوطن إشبيلية ، ثم رحل إلى المشرق في رحلة علمية أدى خلالها فريضة الحج، ثم توفي في بيت المقدس [٢]، ومنهم أيضاً أحمد بن عبد القادر بن سعيد الأموي الإشبيلي (ت سنة ٤٢٠هـ)، وكان من جلة علماء الأندلس في علم القراءات ، وصنف في هذا العلم كتاباً في القراءات السبع سماه التحقيق يقع في سفرين. [٣] .

ب - التفسير:

وممن اشتهر من المروانية في علم التفسير : أحمد بن عبد الله بن أيوب الأموي القرطبي (عاش في القرن ٤ هـ/ ١٠ م) الذي درس في الأندلس على شيوخ قرطبة ثم رحل إلى المشرق حيث أدى فريضة الحج، وسمع بمكة على شيوخها كما سمع من علماء القيروان، وله مختصر حسن في تفسير القرآن للطبري، ومنهم أيضاً عثمان بن سعيد الأموي المعروف بابن الصيرفي (ت سنة

---

(١) ابن بشكول، الصلة، ق ١، ص ١٣ ترجمة رقم ٢٠ .
(٢) نفس المصدر السابق ، ق ١، ص ٤٦ ترجمة رقم ٩٤ .
(٣) نفس المصدر السابق، ق ١، ص ٣٩ - ٤٠ ترجمة رقم ٧٦ .

٤٤٤هـ)، أصله من قرطبة، واستقر بدانية وانتقل عقب ذلك إلى المشرق، وتلقى العلم بمكة ومصر والقيروان، وعاد عقب ذلك إلى بلده دانية ، فكان أحد الأئمة في علم القرآن وتفسيره ومعانيه، وجمع في هذا المجال عدة مؤلفات مفيدة [١] .

جـ - الفقه والحديث:

نبغ من بين الشخصيات المنسوبة للمروانية في علوم الفقه والحديث حبيب بن الوليد بن حبيب المعروف بدحون (من نسل عمر بن الوليد بن عبد الملك المرواني)، عاش في قرطبة ودرس على شيوخها، واستوسع في علوم الفقه حتى أصبح من أعلامها المبرزين، ثم رحل إلى المشرق في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط، وأدى في هذه الرحلة فريضة الحج، وسمع من علماء الفقه والحديث،ثم قدم الأندلس بعلم وافر، فجلس للتدريس بجامع قرطبة وتوافد الناس عليه بكثرة، فأوصاه الأمير بترك التحلق .. فترك ذلك.. وتوفي بعد سنة ٢١٨هـ[٢].

ومن أشهر فقهاء بني مروان بقرطبة أيضاً: عبد الله بن الخليفة عبد الرحمن الناصر، وكان من جلة فقهاء المذهب الشافعي، وتصفه المصادر بأنه من نجباء أولاد الخلفاء وكان محباً للعلم والعلماء، وصنف عدة مؤلفات تدل على سعة علمه منها: المسكتة في فضائل بقي من مخلد[٣]. ، ولقي مصرعه مقتولاً بيد أبيه في سنة ٣٣٨ أو سنة ٣٣٩ هـ،

---

(١) نفس المصدر السابق، ق ٢، ص ٤٠٥ ترجمة رقم ٨٧٦ .

(٢) انظر ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٩٤ - ٩٥؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٢٥٧ - ٢٥٨. Elias Teres, Dos familias Marwanies, PP. 99 - 100

(٣) هو أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد القرطبي، من حفاظ الحديث وأئمة الدين، رحل إلى المشرق في رحلة علمية طويلة، فروى عن الأئمة وأعلام الحديث والسنة منهم الإمام ابن حنبل وغيره، وصنف العديد من المصنفات ثم رجع إلى بلده الأندلس فملأها علماً، ومن مؤلفاته؛ كتاب تفسير القرآن وفي الحديث مصنفة الكبير الذين رتبه على أسماء الصحابة، ومنها مصنفة في فتاوى الصحابة، وتوفي بالأندلس سنة ٢٧٦ هـ . أنظر (الضبي) بغية الملتمس، القاهرة سنة ١٩٧٦م، ص ٢٤٥ - ٢٤٧ ترجمة ٤٨٥؛ ابن عذاري، نفسه، ج٢، ص ١٠٩ - ١١٠؛ المقري ، نفسه، ج٢ ،ص ٢٥٧.

بسبب إتهامه بالتآمر عليه (١).

ومن أبرزهم فى علم الحديث : محمد بن سليمان بن أحمد بن حبيب المعروف بالحبيبى (نسبة إلى حبيب بن عبد الملك المروانى سالف الذكر) وكان يروى عن أهل بلده وتوفى بالأندلس فى سنة ٣٢٧هـ أو سنة ٣٢٨هـ (٢). وأحمد بن عبد الله المروانى الحبيبى الذى روى عن بقى بن مخلد وغيره، وتوفى بالأندلس فى سنة ٣٢٣هـ (٣). وكذلك بشر بن حبيب (المعروف بدحون) بن الوليد الحبيبى، وكان من رواة الحديث، وروت عنه ابنته عبده وأمه عابده المدنية الرواية عن مالك بن أنس (٤). ومحمد بن معاوية الهشامي الأموى المعروف بابن الأحمر، (ينتسب إلى الخليفة هشام بن عبد الملك) ويعتبر راوية النسائى، وكان قد رحل إلى المشرق قبل سنة ٣٠٠هـ، وتتلمذ على أيدى علماء العراق ومصر وغيرهما من بلدان المشرق، ويذكر الحميدى أنه كان ثقة جليلا، وظل حيا إلى قريب من عهد الخليفة الحكم المستنصر(٥).

---

(١) ابن حزم، جمهرة ،ص ١٠٢، الضبي، نفسه، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ترجمة ٩٣٢؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١،٦٠٢ج؛ ابن سعيد ،المغرب، ج١، ص ١٨٧؛ المقري، نفسه، ج٥، ص ١٢١ - ١٣٢، Teres, Linajes, PP. 81 - 83 وجدير بالذكر أن المذهب الشافعي دخل الأندلس على يد الفقيه قاسم بن محمد بن سيار الذي يعتبر داعية هذا المذهب في الحاضرة قرطبة، وكان قاسم قد تتلمذ على يد جماعة من كبار شيوخ الشافعية بالفسطاط ، ثم عاد إلى الأندلس ودعا إلى ترك التقليد والأخذ بالحجة والنظر واستنباط الأحكام الفقهية من القرآن والسنة، واهتم بنشر المذهب الشافعي بين أهل بلدة قرطبة، عن طريق التدريس والتأليف، وشمله الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط برعايته إلى أن توفي في سنة ٢٧٦ أو سنة ٢٧٨ هـ

أنظر : ابن الفرضي ، نفسه، ص ٣٥٥ - ٣٥٧ ترجمة رقم ١٠٤٩؛ بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة سنة ١٩٥٥م ، ص ٤٣٤؛ ليفي بروفنسال ، الحضارة العربية في إسبانيا ترجمة الطاهر مكي، دار المعارف سنة ١٩٧٩، ص ١٦٤).

(٢) الضبي، نفسه، ص ٧٧ ترجمة ١٢٤ .

(٣) الحميدي، جذوة المقتبس، ص ١٢٨ ترجمة ٣٢١.

(٤) ابن الأبار التكملة،ج١، طبعة عزت العطار الحسيني، القاهرة سنة ١٩٥٦، ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ترجمة ٦٠١؛ المقريزي نفسه، ج٣، ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

التصوف:

اتجه بعض الأمويين إلى التصوف والزهد علاوة على مشاركتهم فى العلوم الدينية، فظهر منهم: قاسم بن حامد الأموي (عاش فى رية أواخر القرن ٤هـ/١٠م)، وكان فقيها زاهداً ناسكا، تولى الفتيا فى بلده، وقبل وفاته وقف كتبه لكي ينتفع بها طلاب العلم[١]. ومنهم أيضا سعيد بن محمد بن جعفر الأموى (ت سنة ٤٤٨هـ) وأصله من طليطلة، وكان من المتصوفة الذين نبذوا الدينا وعكفوا على العبادة [٢].

ولم يقتصر التصوف على الرجال، بل شاركت فيه بعض النساء الأمويات وأبرزهن البهاء بنت الأمير عبد الرحمن الأوسط (ت سنة ٣٠٥ هـ)، ويصفها ابن حياة بأنها كانت خيرة زاهدة عابدة - شديدة الرغبة فى الخير كما برعت فى كتابة المصاحف التى تقوم بحبسها على المساجد [٣].

ثانيا - فى الادب:

برع الكثير من الأمويين فى الأدب وظهر منهم فحول فى الشعر منهم: عبد الملك بن بشر بن عبد الملك المعروف بالبشرى (ينتسب إلى الخليفة مروان بن الحكم الأموي)، وكان قد دخل الأندلس فى بداية عهد الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) كما سبقت الأشارة، ويصفة ابن سعيد بأنه من فتيان قريش وأدبائها وشعرائها [٤].

---

(٥) الحميدي، نفسه، ص ٨٨ - ٩٠ ترجمة ١٤٠؛ ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب، ص ٩٣.

(١) ابن الفرضي،نفسه، ص ٣٦٠ ترجمة ١٠٦١.

(٢) ابن بشكوال، الصلة، ق١،ص ٢٢٢ ترجمة ٥٠٥.

(٣) المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٤٤٤ هـ ٨٠؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الثامن، ق٢، تحقيق محمد بن شريفة، المغرب، بدون تاريخ ، ص ٤٨٤؛ شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات - الأندلس) طبعة دار المعارف، بدون تاريخ، ص ٥٦ .

(٤) ابن الأبار، الحلة السيراء،ج١، ص ٨٥؛ ابن سعيد المغرب،ج١، ص ٦٠، ومن شعر عبد الملك بن بشر المرواني في مقتل والده على يد العباسيين:

لست أنسى مصرعاً من والد ... سيد ضخم وعم مفتقد

غادرته الخيل في معترك ... بين عم وأب زاك وجد

وممن اشتهر منهم فى القرنين الثالث وارابع الهجريين : محمد بن هشام المرواني القرشى (ينتسب إلى سعيد الخير بن الحكم الربضى)، وله مؤلف فى أخبار شعراء الأندلس [١]. وأحمد بن صفوان بن العباس القرشى، ومالك بن محمد (وهما من نسل عبد الملك بن عمر المروانى)، ويذكر ابن حيان بأن مالك بن محمد هذا كان من ملأ أهل الأدب فى زمانه ....، ومن الشعراء المفلقين المطبوعين.. [٢].

وبرز فى عهد الناصر وابنه المستنصر: الشاعر أحمد بن محمد بن مروان بن المنذر بن عبد الرحمن الأوسط وكان غرة فى بيت أهل الخلافة أدبا وشعرا وله قصيدة طويلة فى مدح الخليفة الناصر عقب عودته من بعض غزواته [٣]. والشاعر محمد بن يزيد الأموى المعروف بالحصنى (من نسل مسلمة بن عبد الملك بن مروان) دخل الأندلس فى سنة ٣٤٩ هـ فأكرمه الخليفة الحكم المستنصر،وكان أديبا شاعرا،

وممن ظهر منهم فى عهد المنصور بن أبي عامر: سعيد بن محمد المروانى المعروف بالبلينه (أى نحو البحر)، وينتسب إلى الوزير القائد عبد الملك ابن عمر المروانى، وكان من نبهاء بني مروان ومتقدمى شعرائهم [٤]،، وعبد الله بن عبد العزيز المرواني القرشي المعروف بالبطرشك [٥]، ومروان بن عبد الرحمن بن مروان بن الناصر لدين الله المعروف بالطليق [٦]، المرواني، وكان أكثر شعره في السجن،

أنظر : (الحلة السيراء،ج١، ص ٥٨).

(١) ابن الكتاني ، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس، بيروت سنة ١٩٨٦، ص ٢٧٨؛ الثعالبي، يتيمة الدهر، ج٢، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، بيروت سنة ١٩٧٣، ، ص ١٥، ٢٣؛ المقري، نفسه، ج٥، ص ١٣٣ - ١٤٤ .

(٢) المقتبس، تحقيق إسماعيل العربي، ص ٦٧.

(٣) المقتبس، ج٥، تحقيق بدروشالميتا، ص ٤٥ .

(٤) جمهرة أنساب العرب، ص ١٠٤؛ ابن الفرضي، نفسه، ق٢، ص ١١٥ - ١١٨ترجمة ١٤٠٥.

(٥) الحميدي نفسه، ص ٢٦٣ رقم ٥٥٦؛ الحلة السيراء،ج١،ص ٢١٥- ٢١٨؛ ابن سعيد،نفسه، ج٢، ص ١٠.

(٦) سمي بالطليق لأنه سجن في عهد المنصور بن أبي عامرة مدة طويلة لقتله والده، ثم أطلقه المنصور بعد ذلك فعرف بالطليق، وتوفي قريباً من سنة ٤٠٠ هـ. أنظر (الحلة

وتذكر المصادر بأنه كان في بني أمية كابن المعتز في بني العباس، ملاحة شعر، وحسن تشبيه ... (١).

ثالثاً: في علم اللغة والنحو:

اختص بعلم اللغة والنحو من الأمويين كل من : المنذر بن عبد الرحمن بن معاوية بن محمد عبد الله المرواني المعروف بالمذاكرة (٢).(من نسل المنذر بن الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)، عاش في القرن ٣ هـ/ ٩م، ومن ولده : محمد بن إبراهيم بن معاوية بن المنذر المعروف بالمصنوع (ت سنة ٣٧٣ هـ)، وكان من أضبط الناس للغة وأحفظهم لها (٣)، كما كان شاعراً، وكذلك عبد العزيز بن حكم بن أحمد بن الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وكان من أهل قرطبة، وأحد علماء النحو في زمانه (٤)، ومنهم أيضاً محمد بن مروان بن عيسى الأموي(ت سنة ٤٣٢ هـ)، وكان بارزاً في علوم عدة لاسيما علم اللغة (٥).

السراء،ج١،ص٢٢٠ - ٢٢١م.

(١) انظر : التفاصيل عن الشاعر الطليق المرواني ونماذج من شعره في :الحميدي، نفسه، ص ٣٤٢ ترجمة ج١، ص ١٩١ ترجمة ١٢٤؛ ابن دحية ، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإبياري وحامد نفسه، ص ٢٨٠؛ هنري بيريس ، الشعر الأندلسي، ترجمة الطاهر مكي، دار المعارف صنة ١٩٨٨، ص ٥٠ - ٦٠.

ومن أمثلة شعره في وصف السجن:

في منزل كالليل أسود فاحم ... دارجي النواحي مظلم الأثباج

يسودُ والزهراء تشرق حوله ... كالحبر أودع في دواة العاج

انظر: (الحلة السراء ، ج١، ص ٢٢٢).

(٢) يذكر ابن حزم أنه لقب بالمذاكرة لأنه كان مقدماً في علم اللغة والنحو، وكان متى لقى رجلاً من إخوانه قال له : هل لك في مذاكرة باب من العربية؟ انظر (جمهرة ، ص ٩٥).

(٣) ابن حزم، نفسه، ص٩٥، . Teres, Linajes arabes, PP 70 - 71

(٤) ابن الفرضي ، نفسه، ص ٢١٩ ترجمة ٨٣٦.

رابعاً- في علم التاريخ والاخبار:

اهتم نفر من الأمويين بعلم التاريخ والأخبار ومن أبرزهم : معاوية بن هشام المرواني القرشي المعروف بالشبانسي أو الشبنسي، (وينتسب للأمير هشام الرضا) ،وهو من أهل قرطبة ، عاش في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع الهجري،وله تأليف في نسب العلويين وغيرهم من قريش سماه التاج السني في نسب آل علي، وينسب إليه تاريخ في دولة قومه بني مروان بالأندلس، اعتمده عليه ابن حيان في كتابه المقتبس من أنباء أهل الأندلس حيث نقل عنه ابن حيان معلومات قيمة تتعلق بزيادة الأمير عبد الرحمن الأوسط في جامع قرطبة، وعدد بلاطات (أروقة) الجامع، ومن نبغ من أبناء الأمير عبد الرحمن الأوسط في العلوم والآداب المختلفة، ومن دخل إلى الأندلس في عهده من المروانيين [١] .

وقد امتدحت المصادر المؤرخ معاوية بن هشام فوصفه ابن حيان بنسابة أهل البيت الأموي، وأنه كان أثبت معرفة بأخبار قومه، ويضيف ابن الأبار بأنه كان أديباً إخبارياً، وتاريخياً فصيحاً [٢].

واعتمد معاوية الشبانسي ضمن مصادره على والده هشام الذي كان معاصراً لكثير من حوادث الأندلس فروى عنه بعض أخبار الأمير عبد الرحمن الأوسط وغزواته إلى الثوار والممالك الإسبانية المسيحية [٣].

---

(٥) ابن بشكوال، نفسه، ق٢، ص ٢٢٥ ترجمة ١١٤ .

(١) أنظر: جمهرة أنساب العرب، ص ٩٥؛ قطعة من المقتبس، تحقيق محمود مكي ص ٢٤، ٩٦ - ٩٧، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٤٤٣ هـ ٨٧؛ ابن الأبار ، التكملة ج٢، ص ٦٩٢ ترجمة ١٧٤١؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة، ج١، بيروت سنة ١٩٧١، ص ٢٩٢؛ جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس ، ص ٢١٠

Teres, Linajes arabes, p. 72.

(٢) المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٤؛ ابن الأبار، التكملة، ج٢، ص ٦٩٢ ترجمة ١٧٤١

ومن الإخباريين والمؤرخين من المروانيين أيضاً. عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله، الذي كان إخبارياً مشهوراً، ومن مؤلفاته: كتاب العليل والقتيل في أخبار ولد العباس ، وكان يقع في عدة أسفار، انتهى به خلافة الراضي بن المقتدر العباسي (ت سنة ٣٢٩ هـ) [١] .

ومنهم : أحمد بن عبد الله الحبيبي القرشي (ت سنة ٣٣٠ هـ) من نسل حبيب بن عبد الملك المرواني ، وكان راوية إخبارياً، وهو ممن اعتمد عليهم المؤرخ إسحاق بن سلمة القيني (من أهل رية) الذي ألف كتاباً في « أخبار رية وحصونها وحروبها » [٢]، والفقيه الإخباري عبد الله بن الوليد الأموي (ت سنة ٣٧٨ هـ)، الذي يصفه ابن الفرضي بأنه كان حافظاً للأخبار [٣] .

خامساً- في الفنون :

شغف جماعة من الأمويين بفن الغناء والموسيقى ، فكانوا إما من المشاركين فيه، أو ممن كانوا يشجعون أصحاب المواهب الفنية من المغنين والموسيقيين على إبراز مواهبهم ، ويغدقون عليهم الأموال والهبات.

ومن أمثلة هؤلاء : سعيد الخير بن الحكم الربضي (ت سنة ٢٤٠ هـ) ، وكان يميل إلى عقد مجالس الأنس والطرب في قصره، حيث كانت له ستارة[٤] شهيرة بقرطبة [٥] .

(١) الضبي، نفسه، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ ترجمة ٩٣٢؛ الحلة السيراء، ج١ ص ٢٠٦؛ ابن سعيد، نفسه، ج١، ص ١٨٧ ١٨٨

(٢) ابن الفرضي، نفسه، ص ٣٤رقم ١٠٦؛ المقتبس تحقيق محمود مكي، ص ٩٦، ص ٢ ٥ هـ ٢٥، ص ٣ ٥ هـ ٢٥٤

(٣) ابن الفرضي، نفسه، ص ٢٥٢ ترجمة رقم ٧٦٩

(٤) يطلق لفظ الستارة على المكا الذي تستتر فيه الجواري والقيان في قصور الأمراء والأثرياء، وكان يقصد به أيضاً الموضع المخصص لإقامة حفلات الغناء والموسيقى. انظر (المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٥ هـ ٢٤٣)

(٥) جمهرة أنساب العرب، ص ٩٩؛ المقتبس تحقيق محمود مكي ص ٩٢

كذلك كان المطرف بن الأمير محمد عالماً بالغناء ، فيذكر ابن حيان أنه «كان شغوفاً بالسماع مثمناً في محسنات القيان حتى لغا في الموسيقى ، فبلغ منه علماً، وضرب بالعود ضرباً حسناً، وصاغ عليه أصواتاً معجبة، وطرق لنفسه طريقة حسنة حملها المغنون عنه..»، وقد توفي المطرف معتبطاً في حياة أبيه [١].

واشتهر من أولاده: عثمان وإبراهيم إبنا المطرف بن الأمير محمد، وكانا من العارفين بفن ا لغناء [٢]، كما برز في فن الغناء والموسيقى من أبناء الخليفة عبد الرحمن الناصر: ابنه عبد العزيز الذي كان شاعراً مغرماً بالخمر والغناء [٣].

٤ - إسهامهم في البناء والعمارة:

أسهم الأمويون في ازدهار فن العمارة خاصة في الحاضرة قرطبة، فأقاموا الدور والقصور والمنيات والمساجد والمقابر وغير ذلك من المنشآت الدينية والمدنية.

أ - الدور:

تنسب العديد من الدور في قرطبة وغيرها من مدن الأندلس إلى شخصيات من المروانيين، ومن ذلك: دار المطرف بن الحكم الربضي بقرطبة، ودار عبد الله بن عبد الرحمن الأوسط، قرب باب القنطرة ، ودار محمد بن سعيد الأموي الواقعة بمنية عبد الله شرقي قرطبة، ودار مطرف بن الأمير عبد الله، على مقربة من قنطرة قرطبة [٤]. وعلاوة على ذلك قام محمد بن إسحاق القرشي (المرواني)

---

(١) المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٢٠٥ - ٢٠٦ ؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص ١٢٨.

(٢) جمهرة أنساب العرب ، ص ٩٩ .

(٣) ابن سعيد، المغرب، ج١، ص ١٨٩ ترجمة ١٢١، ويذكر ابن سعيد المغربي أن عبد العزيز بن الناصر ترك الخمر لبغض أخيه الحكم المستنصر فيها فقال المستنصر: لو ترك الغناء لكمل سروره، ورد عبد العزيز بقوله « والله لا تركته حتى تترك الطيور تغريدها، مما يدل على شدة تعلقه بفن الغناء والموسيقى، انظر (المغرب في حلي المغرب، ج١، ص ١٨٩).

(٤) انظر ابن القوطية، نفسه، ص ٩٣، ١١٧؛ المقتبس، ج٥ تحقيق شالميتا، ص ١٨، ١٩، ٢٠ قطعة من المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص ١٥٣؛ ابن عذارى نفسه، ج٢، ص ١٤٦؛ عبد العزيز سالم ، قرطبة، ج١، ص ٢٢ - ٢٢١، حمدي عبد المنعم ، مجتمع قرطبة، ص ٣٣٥ - ٣٥٧

ببناء دار فخمة له بمدينة سرقسطة، وهي التي وهبها الخليفة عبد الرحمن الناصر لحكم بن منذر التجيبي لدخوله في الطاعة (سنة ٣٢٦) ، عقب نكبة الخليفة لبني إسحاق القرشيين [١].

ب - المنيات :

اهتم الأمويون ببناء قصور خلوية لهم بين جنات وبساتين عرفت بالمنيات خارج الحاضرة قرطبة، وكانوا يقصدونها من أجل النزهة والراحة وعقد مجالس الأنس والطرب والتمتع بجمال الطبيعة بعيداً عن صخب العاصمة وضجيجها [٢].

ومن أمثلة ذلك : منية المغيرة، وهي تنسب إلى المغيرة بن الأمير الحكم الربضي، وكانت تقع بربض منية المغيرة في شرقي قرطبة (المدينة الشرقية) [٣]، ومنية أبي الحكم المنذر بن الناصر (المعروف بابن القرشية) ، وكانت تقع بموضع يسمى الشمامات (أو الشاعات) على نهر قرطبة [٤].

جـ - المساجد والمقابر :

من المساجد التي أمر الأمويون بإنشائها ونسبت إليهم: مسجد البهاء بنت الأمير عبد الرحمن الأوسط، وكان يقع بربض الرصافة بقرطبة [٥]، ومسجد أم

---

(١) العذري، ترصيع الأخبار،، ص ٥٢ .

(٢) Torres Balbas, Ciudades Hispano - Musulmanas, t.1, p. 138 & Rachiel Aric, España musulmana, p. 213.

(٣) ابن حزم ، جمهرة، ص ٩٨؛ أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، الإسكندرية سنة ١٩٨٣، ص ١٧١؛ عبد العزيز سالم، قرطبة، ج١، ص ١٦٨ ، ١٧٩؛ حسين مؤنس، وصف جديد لقرطبة، مجلة المعهد المصري بمدريد سنة ٦٥ - ١٩٦٦، ص ١٦٩ ، T. Balbas, op. cit, t. I,p. 1141.

(٤) المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ٤٣ ، ٢٢٨؛ عبد العزيز سالم، نفسه، ج١، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٥) ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، السفر الثامن، ق٢، تحقيق محمد بن شريفة، ص ٤٨٤.



سلمة بنت محمد بن الحكم الربضي (زوجة الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط) ، وكان يقع بالجهة الشمالية من قرطبة، كما تنسب إليها مقبرة واسعة بربض مسجد أم سلمة قرب مقبرة اليهود، خارج باب اليهود (باب ليون) من أبواب سور قرطبة الشمالي (١) .

وهناك أيضاً مقبرة ابن العباس أو بني العباس، والمرجح أنها تنسب لأبناء الوزير القائد العباس بن عبد الله بن عبد الملك بن عمر المرواني القرشي - سالف الذكر -، وكانت تقع قرب باب عباس خارج السور الشرقي لقرطبة (٢) .

د - منشآت أخرى :

من المنشآت الأخرى التي أسست بتوجيه من البيت المرواني : أصلاح قنطرة سرقسطة (٢٢٤هـ)، وبناء سور قلعة رباح (٣)، (سنة ٢٣٩هـ) على يد الحكم بن الأمير عبد الرحمن الأوسط (٤). وإنشاء القصر القديم بإشبيلية المعروف بدار الإمارة، الذي أمر الوزير القائد سعيد بن المنذر القرشي المعروف بابن السليم -سالف الذكر - ببنائه، وحصنه بسور من الحجر (٥) .

---

(١) جمهرة أنساب العرب، ص ٩٩؛ عبد العزيز سالم، قرطبة ج١، ص ١٨٠.

(٢) أحمد فكري، نفسه، ص ١٨٧؛ عبد العزيز سالم نفسه، ج١، ص ٢٢٦، T. Balbas, op. cit, t, 1. p. 260 .

(٣) يبدو أن مدينة قلعة رباح تعرضت للتخريب والإهمال، ولذا قام الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط بتعميرها وتحصينها، ونقل الناس إليها لسكناها، انظر (الحميري،نفسه، ص ٤٦٩؛ محمود مكي، مدريد العربية، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٦).

(٤) ابن عذارى ، نفسه، ص ٨٥ ، ٩٤ .

(٥) الحميري، نفسه، ص ٥٩ ؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس،ص ٢٨٢.

خـاتـمـة

ويجدر بناء في ختام البحث أن نشير إلى حقائق أمكن التوصل إليها من خلال تحليل ومناقشة النصوص التي وردت بالمصادر، ومن أهمها ما يلي:

أولاً: أن الحاضرة قرطبة كانت أهم مركز لتجمع تلك الشخصيات الأموية (المروانية) المغمورة، غير أن أعداداً منهم استقرت أيضاً في مدن مجاورة مثل بلكونة Porcuna (من أعمال قرطبة) وإشبيلية Sevilla وقبرة (Cabra) [١] .

ثانياً: أن تلك الشخصيات المغمورة من بني أمية التي تنتمي إلى الأسرة الأموية الحاكمة في الأندلس، تمتعت بصفة عامة بالثراء والنفوذ وبمركز مرموق في الدولة، فتشير المصادر إلى أنهم امتلكوا الضياع، « وكانت لهم وجاهة »، ورياسة وثروة [٢] .

ثالثاً: أن الأمويين في الأندلس كان يطلق علهم - غالباً - اسم المروانيين ،نسبة إلى الخيلفة الأموي مروان بن الحكم الذي ينتسب إليه خلفاء الفرع المرواني من بني أمية في الشام، كما ينتسب إليه أمراء وخلفاء الأندلس في عصر الدولة الأموية، ومن جهة أخرى كان يطلق عليهم أحياناً اسم القرشيين، وأحياناً أخرى اسم الأشراف أو الشرفاء [٣] .



(١) جمهرة، ص ٨٩، ٩١؛ المقتبس، تحقيق محمود مكي ، ص ٩٧؛ الضبي ، نفسه، ص ١٧؛ ابن سعيد ، المغرب، ج١، ص ٦٢.

(٢) ابن حزم، جمهرة، ص ٧٩، ١٠٤، ١٠٨ .

(٣) ابن الفرضي، نفسه، ق٢، ص ٧٨ ترجمة ١٣٢٠؛ أخبار مجموعة، ص ١٠٢؛ جمهرة ،ص ٩٦؛ ابن الأبار ، المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، القاهرة ، سنة ١٩٦٧، ص ١٥٨ ترجمة ١٣٤، . Teres, Dos familias, p. 94

رابعاً: أن هؤلاء المروانيين كان يجري عليهم العطاء مع القرشيين، حيث كان لهم ديوان سمي «ديوان قريش» ، ولذا تمتعوا بحياة رغدة باعتبارهم من نسل البيت الأموي العريق الذي ينتسب إلى أهم قبيلة عربية، وهي قبيلة قريش (قبيلة النبيﷺ)، ومن جهة أخرى كان لهؤلاء المروانيين (أوالقرشيين) نقيب يمثلهم أمام السلطة الحاكمة، ويدافع عن مصالحهم ، ويطلق عليه «نقيب القرشيين» (١).

خامساً: أنه نتيجة للفتنة القرطبية (أوائل القرن ٥هـ/ ١١م) تغير مركز تجمع الأمويين، ولم تعد قرطبة مكاناً آمناً لهم، فاضطروا إلى الرحيل عنها ، بحثاً عن مناطق آمنة نسبياً بشرق الأندلس مثل بلنسيه (Valencia) و ودانية (Denia) والمرية (Almeria) (٢).

سادساً: أن الفتنة القرطبية أثرت تأثيراً خطيراً على الأمويين - مثل غيرهم من طبقات المجتمع القرطبي - فاضطروا بعد زوال نفوذهم إلى الانزواء بعيداً عن حياة الترف والجاه واندرجوا ضمن طبقة العامة، وموهوا على الناس، فأصبحوا يلقبون فحسب بالقرشيين ،حتى لا يعرف نسبهم، كما اتجه بعضهم إلى العمل في حرف بسيطة من اختصاص طبقة العامة مثل تغسيل الموتى، وتأديب الصبيان بالكتاتيب، وكتابة الوثائق (٣).

---

(١) ابن الفرضي ، نفسه، ق١، ص ٧٥ ترجمة ٨٢٤ ، ق ٢ ص ١١٦ ترجمة ١٤٠٥، ابن حزم جمهرة، ص ، ٩٣، Teres, Linajes arabes, p. 69 & Levi-provencal, Histoire, t. III, p. 189.

(٢) ابن حزم، نفسه، ص ٩٥، ٩٧ ، ٩٩؛ ابن بشكوال، نفسه ص ٤٠ .

(٣) ابن بشكوال، نفسه، ق١، ص ٣٨، ٣٩ ترجمة ٧٥، ص ٤٦؛ ابن الأبار، التكملة،ج١،ص٣٨٩.

سابعاً: أن سقوط الخلافة الأموية بقرطبة، هز أعماق معظم الأمويين، وأثر ذلك عل حالتهم النفسية وسلوكهم في المجتمع، حيث اتجه بعضهم إلى حياة الزهد والتصوف والعكوف على العبادة وتولى الإمامة والصلاة بالمساجد[1]، ولعل الدافع إلى ذلك إحساسهم بتقلب الحياة الدنيا، وعدم استمرارها على حال واحدة، بعد أن تغير وضعهم عن عز وجاه إلى فقر وذل.

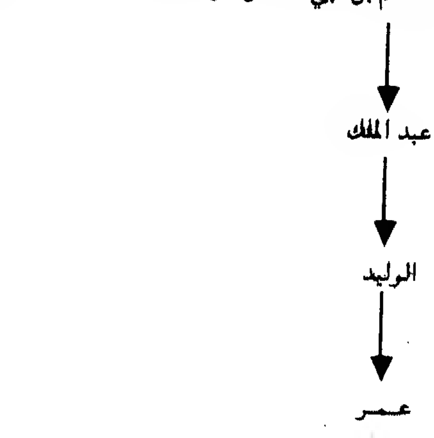
---

(١) ابن بشكوال، نفسه، ق١، ص ٣٨- ٣٩؛ ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة، بقية السفر الرابع، تحقيق إحسان عباس، ص ٤٢ - ٤٣ .

ملحق رقم (١)

شجرة نسب أسرة «حبيب بن عبد الملك المرواني»

الخليفة الأموي مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس القرشي



عيسى

العباس

إبراهيم (كان حياً سنة ٢٢٨ هـ)
(القاضي قرطبة في عهد الأمير
عبد الرحمن الأوسط)

عبد الملك

حبيب ← (الداخل إلى الأندلس في عهد
الأمير عبد الرحمن بن معاوية
وتوفي في عهد الأمير عبد
الرحمن الداخل)

سليمان

المبارك
محمد
عبد الله
أحمد (ت سنة ٣٣٠هـ)

عمر

أبان

الخيار

الوليد
كان حياً سنة ٣١٨
(المعروف بدون)

حبيب

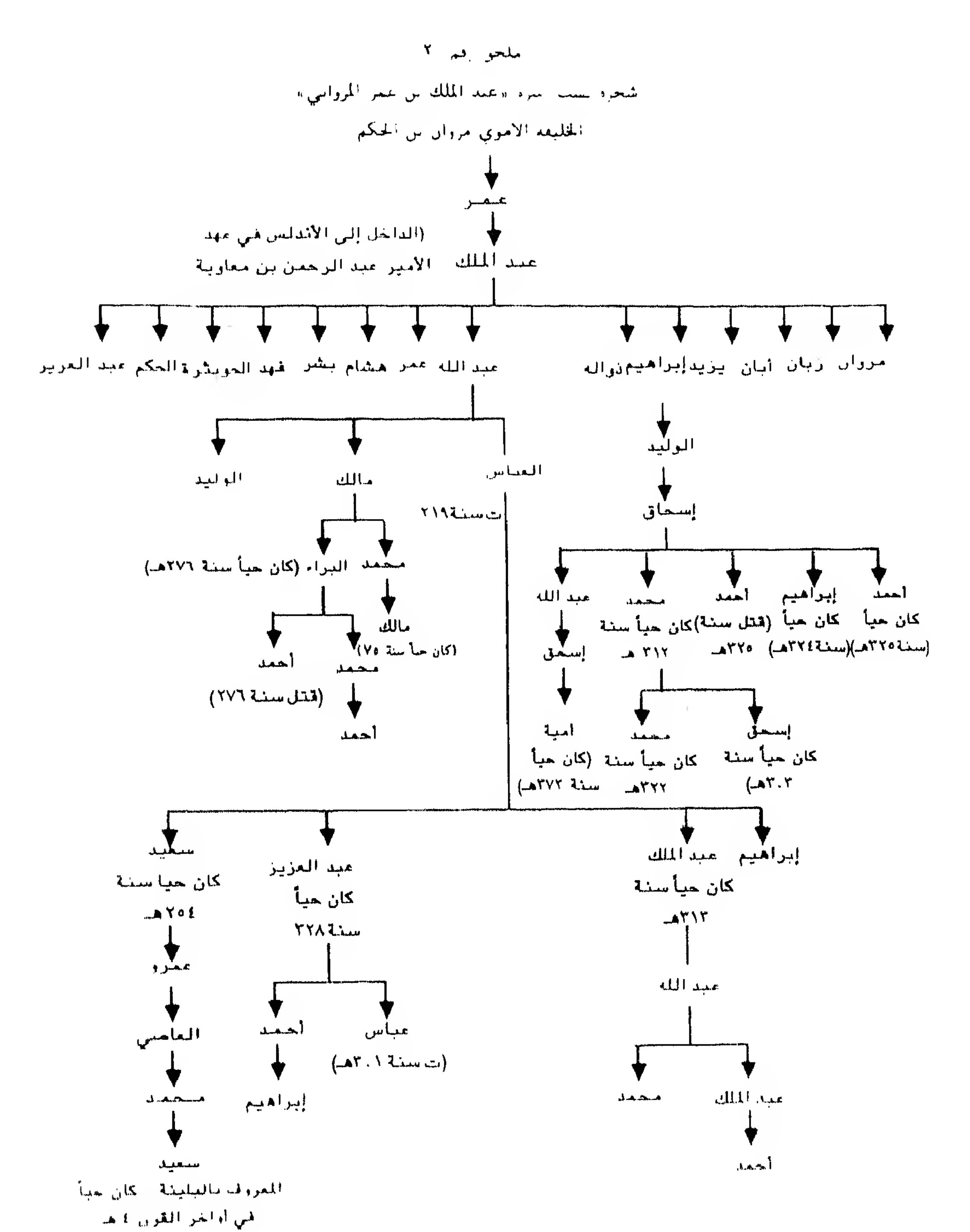
يحيى
عبد الله
(كان حياً سنة ٣١٦ هـ)

يسر
(عاش في القرن٣ هـ)

أحمد
سليمان
محمد
(ت سنة ٣٢٨ أو سنة ٣٢٩هـ)

ملحق رقم ٢

شجرة نسب أسرة «عبد الملك بن عمر المرواني»



مصادر ومراجع البحث

اولاً: المصادر العربية:

١ - ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، طبعة عزت العطار الحسيني، القاهرة، سنة ١٩٥٦م.

٢ - ابن الأبار: المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، القاهرة، سنة ١٩٦٧م.

٣ - ابن الأبار: الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة سنة ٩٦٣م.

٤ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج٥، طبعة بيروت سنة ١٩٨٧.

٥ - الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة بدون تاريخ.

٦ - ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، بيروت سنة ١٩٧٩ .

٧ - ابن بشكوال: الصلة، القاهرة، سنة ١٩٦٦.

٨ - ابن حزم: نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق شوقي ضيف، مجلة كلة الآداب - جامعة القاهرة سنة ١٩٥١ .

١٠ - ابن حيان: قطعة من المقتبس (خاصة بعهد الأمير عبد الرحمن الأوسط والأمير محمد)، تحقيق محمود مكي بيروت، ١٩٧٣.

١١ - ابن حيان: قطعة من المقتبس (خاصة بعهد الأمير عبد الله) تحقيق إسماعيل العربي، المغرب، سنة ١٩٩٠.

١٢ - ابن حيان: قطعة من المقتبس (خاصة بعصر الخليفة الناصر) تحقيق بدرو شالميتا، مدريد، سنة ١٩٧٩.

١٣ - ابن حيان: قطعة من المقتبس (خاصة بالخليفة الحكم المستنصر)، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، بيروت سنة ١٩٨٣.

١٤ - ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة سنة ١٩٧٣م.

١٥ - ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢ (الخاص بالأندلس) تحقيق ليفي بروفنسال ، الرباط سنة ١٩٣٤.

١٦ - ابن خلدون: العبر وديوانن المبتدأ والخبر، طبعة بيروت سنة ١٩٧١.

١٧ - ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف طبعة دار المعارف ، بدون تاريخ.

١٨ - ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإبياري، وحامد عبد الحميد وأحمد بدوي، القاهرة سنة ١٩٥٤.

١٩ - ابن دارج القسطلي: ديوان ابن دراج، تحقيق محمود مكي، ط٢، نشر المكتب الإسلامي سنة ١٣٨٩هـ

٢٠ - ابن عبد الله المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ،السفر الثامن، ق٢، تحقيق محمد بن شريفة، المغرب، بدون تاريخ.

٢١ - ابن عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، بقية السفر الرابع، تحقيق إحسان عباس، بيروت، بدون تاريخ.

٢٢ - ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، بيروت سنة ١٩٨٠م.

٢٣ - ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، سنة ١٩٦٦م.

٢٤ - ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبياري، نشر دار الكتاب المصري، واللبناني، بدون تاريخ.

٢٥ - ابن الكتاني: كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق إحسان عباس ، بيروت سنة ١٩٨٦.

٢٦ - الثعالبي: تيميه الدهر، ج٢، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ،بيروت سنة ١٩٧٣م.

٢٧ - الحميدي: جذوة المقتبس، طبعة لجنة إحياء التراث، القاهرة، سنة ١٩٦٦م.

٢٨ - الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس بيروت سنة ١٩٨٤.

٢٩ - الخشني: قضاة قرطبة، طبعة لجنة إحياء التراث، القاهرة ، سنة ١٩٦٦م.

٣٠ - الضبي: بغية الملتمس، طبعة لجنة إحياء التراث، القاهرة سنة ١٩٦٧م.

٣١ - الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج٧، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف ، بدون تاريخ.

٣٢ - العذري: ترصيع الأخبار، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة المعهد المصري بمدريد، سنة ١٩٦٥م.

٣٣ - المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقق يوسف البقاعي، بيروت سنة ١٩٨٦.

٣٤ - المقريزي: اتعاظ الحنفا ، ج٢ تحقيق محمد حلمي أحمد، القاهرة، سنة ١٩٧١م.

٣٥ - مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، نشر دار الكتاب المصري واللبناني، سنة ١٩٨١م.

٣٦ - مؤلف مجهول: ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا ، مدريد، سنة ١٩٨٣.

٣٧ - مؤلف مجهول: مدونة الخليفة عبد الرحمن الناصر، نشر ليفي بروفنسال وغرسيه غومث، مدريد سنة ١٩٥٠ .

٣٨ - النباهي المالقي: تاريخ قضاة الأندلس، طبعة بيروت ، بدون تاريخ.

٣٩ - النويري : نهاية الأرب: ج٢٣ (الخاص بالمغرب والأندلس) ، تحقيق أحمد كمال زكي، نشر الهيئة العامة للكتاب، القاهرة سنة ١٩٨٠ .

٤٠ - ياقوت الحموي: معجم البلدان، طبعة بيروت، بدون تاريخ.

ثانياً- المراجع العربية الحديثة المعربة:

١ - إبراهيم عبد المنعم سلامة: الأندلس بين سقوط الدولة العامرية ونهاية الخلافة الأموية، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بآداب الاسكندرية سنة ١٩٩٣م.

٢ - أحمد فكري (دكتور) : قرطبة في العصر الإسلامي، نشر مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، سنة ١٩٨٣م .

٣ - أحمد محمد الطوخي (دكتور) : حول اصطلاح المصارة في طبوغرافية المدن الأندلسية والمغربية، بحث مقبول للنشر بمجلة جمعية الآثار بالأسكندرية.

٤ - أحمد مختار العبادي (دكتور) دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الاسكندرية سنة ١٩٦٨.

٥ - أحمد مختار العبادي (دكتور) : في تاريخ المغرب والأندلس، الاسكندرية، بدون تاريخ.

٦ - أحمد مختار العبادي (دكتور) : في التاريخ العباسي والفاطمي، الاسكندرية سنة ١٩٨٧م

٧- جنثالث بالنثيا: تاريخ الفكرت الأندلسي، تجربة حسين مؤنس، القاهرة، سنة ١٩٥٥.

٨ - حسين مؤنس (دكتور) : فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر ، جدة سنة ١٩٨٥.

٩ - حسن مؤنس (دكتور): معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار المستقبل ، القاهرة سنة ١٩٨٠م.

١٠ - حسين مؤنس (دكتور) : وصف جديد لقرطبة، مجلة المعهد المصري بمدريد، سنة ١٩٦٥ - ١٩٦٦م.

١١ - حمدي عبد المنعم محمد (دكتور) : التاريخ السياسي لمدينة أشبيلية في

العصر الأموي، الاسكندرية سنة ١٩٨٧.
١٢ - حمدي عبد المنعم محمد (دكتور) : مجتمع قرطبة في عصر الدولة الأموية، رسالة دكتوراه غير منشورة نوقشت بآداب الأسكندرية ١٩٨٤م.
١٣ - سحر عبد العزيز سالم : (دكتورة): بنو خطاب بن عبد الجبار التدميري، (أسرة من المولدين بمرسية)، نشر مؤسسة شباب الجامعة الأسكندرية ، سنة ١٩٨٩م.
١٤ - سحر عبد العزيز سالم: (دكتورة): تاريخ مدينة بطليوس الإسلامية، الاسكندرية سنة ١٩٨٩م.
١٥ - السيد عبد العزيز سالم (دكتور): تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، الأسكندرية، بدون تاريخ.
١٦ - السيد عبد العزيز سالم (دكتور): العصر العباسي الأول، نشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية، بدون تاريخ.
١٧ - السيد عبد العزيز سالم (دكتور) : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، طبعة بيروت سنة ١٩٧١ ..
١٨ - شوقي ضيف (دكتور): تاريخ الأدب العربي (عصر الدول والإمارات - الأندلس) طبعة دارالمعارف، بدون تاريخ.
١٩ - عبد المنعم ماجد (دكتور) : تاريخ الحضارة الإسلامية، ط ٢ القاهرة سنة ١٩٧٣م.
٢٠- كليليا سارنللي: مجاهد العامري، طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩م.
٢١ - كمال أبو مصطفى (دكتور): المولدون في الثغر الأعلى الأندلس ودورهم في عصر الإمارة الأموية، مجلة كلية التربية - جامعة الاسكندرية، العدد الأول سنة ١٩٨٨م.
٢٢ - ليفي بروفنسال: الحضارة العربية في إسبانيا، ترجمة الطاهر مكي، دارالمعارف سنة ١٩٧٩.
٢٣ - محمد أحمد أبو الفضل (دكتور) : قضاة الجماعة في الأندلس في عصر

الإمارة الأموية، مجلة كلية الآداب - جامعة الإمارات ،العدد الخامس، سنة ١٩٨٩م.

٢٤ - محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول ق١، ٢، ط٣، القاهرة سنة ١٩٨٨م.

٢٥ - محمد الفاسي : الأعلام الجغرافية الأندلسية، ضمن كتاب دراسات مغربية، الدار البيضاء ، سنة ١٩٩٠ م.

٢٦ - محمود علي مكي (دكتور) : مدريد العربية، دار الكتاب العربي، القاهرة، بدون تاريخ .

ثالثاً- المراجع الأجنبية:

1 - Aguado Bleye, Manual de historia de Espana, t,1. Madrid, 1974 .

2 - Elias Teres, linajes arabes en al - Andalus, Al - Andalus, XXII, Madrid, 1957.

3 - Elias Teres, Dos Familias Marwanies de al - Andalus, Al Andalus, XXXV, Madrid, 1970.

4 - Joaquin Vallve, Sobre demografia Y Sociedad en Al Andalus, Al - Andalus, XL 11, Fasc, 2 Madrid, 1977.

5 - Jorge Aguado, Adu Radwa, en Actas de 1V Coloquio Hispano - Tuneeino, Madrid, 1983.

6 - Levi - Provencal, Histoire de 1' Espagne musulmane, paris, 1950.

7 - Maria J. Rubiera, La TaiFa de Denia, Alicante, 1985.

8 - Rachel Arie, Espana musulmana, Madrid, 1984 .

البحث الثالث

الثغر الأوسط الأندلسي في عصر الدولة الأموية

(١٣٨ - ٤٢٢هـ/ ٧٥٦ - ١٠٣١)

تمهيد

عقب انتهاء الفتح الإسلامي للأندلس يبدأ عصر جديد في تاريخها يعرف بعصر الولاة (٩٥ - ١٣٨ هـ/ ٧١٤ . ٧٥٦م)، احتدمت فيه الفتن والصراعات الداخلية بين العرب والبربر، وبين العصبيتين العربيتين اليمنية والمضرية، مما أضعف من نفوذ المسلمين خصوصاً في أقصى المناطق الشمالية للأندلس، وساعد ذلك بالتالي على قيام مملكة أشتوريش أو أشتورياس (Austrias) الإسبانية المسيحية في الشمال الغربي من شبه الجزيرة الإيبيرية ونشأة ما يسمى بحركة الاسترداد المسيحي (La Reconquista)(١).

فقد استغل أذفونش (ألفونسو الأول Alfonso I) ملك أشتوريش أو جليقية (Galecia)(١١٢ - ١٤٠ هـ ٧٣٩ -٧٥٧م) فرصة انشغال المسلمين بصراعاتهم الداخلية، وما كانت تعانيه الأندلس من القحط والمجاعة لعدة سنوات ، وبدأ في توسيع ممتلكاته في الشمال الغربي على حساب الأراضي الإسلامية حيث بسط سلطانه على كل المناطق الواقعة بين سلسلة جبال قنطابرية Montes Cantabricos ونهر دويرة Rio Duero فيما يقرب من سنة ١٣٤ هـ / ٧٥ - ٧٥١ م.(٢).

---

(١) انظر التفاصيل في : مؤلف مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، نشر دار الكتاب المصري واللبناني ، سنة ١٩٨١، ص ٦١ - ٦٢؛ ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، نشر دار الكتاب المصري واللبناني، بدون تاريخ ص ٣٩ وما يليها؛ محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٣ سنة ١٩٨٨، ص ١٢٢ - ١٢٨؛ سحر سالم، تاريخ مدينة بطليوس الإسلامية، ج٢، الاسكندرية سنة ١٩٨٩، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٢) Antonio Gayo Nuno, Gormas, Castillo Califal, Revista al - Andalus, Vol. Vol. VIII, Madrid, 1943, P. 432 & Aguado Bleye Manual de historia de Espana, t.1, Madrid, 1947, PP. 477 - 478.

وانظر أيضاً، عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، الاسكندرية ، بدون تاريخ، ص ١٦٤؛ أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، الاسكندرية، بدون تاريخ، ص ٧٧ ، ٧٨، ٩٣ - ٩٥؛ حسين مؤنس، فجر الأندلس، جده سنة ١٩٨٥، ص ٣٤٨ - ٣٥١؛ محمود مكي، مدريد العربية، القاهرة ، بدون تاريخ، ص ٣٧؛ سحر سالم، نفس المرجع السابق، ج٢، ص ٢٩٨ - ٢٩٩

وعندما أسس الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) الدولة الأموية في الأندلس سنة ١٣٨هـ/٧٥٦م ، اعتلى عرش جليقية - آنذاك - فرويلة بن أذفنش (Fruela - 1) (١٤٠ - ١٥١ هـ/ ٧٥٧ - ٧٦٨م) الذي واصل سياسة أبيه في التوسع وتمكن من طرد المسلمين من ثغور الأندلس الشمالية ، فاستولى على بعض المدن الهامة مثل شلمنقة [1] وسمورة [2] وشقوبية [3] وقشتالة [4] ،

(١) شلمنقة أو شلمنكة (بالإسبانية Salamanca) : إحدى مدن مملكة جليقية النصرانية وتقع على نهر تورمس Tormes أحد فروع نهر دويرة، على مقربة من مدينة سمورة. أنظر (الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٢، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، بدون تاريخ ص ٧٣؛ مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس، ج١، نشر وتحقيق لويس مولينا، مدريد سنة ١٩٨٣، ص ١٠).

(٢) سمورة (Zamora) : كانت قاعدة مملكة جليقية (ليون) في عهد ألفونسو الثالث الملقب بالعظيم (Alfonso III ELmagno)،تقع على الضفة الشمالية من نهر دويرة في شمال شرقي الحدود البرتغالة، انظر (البكري ، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، بيروت سنة ١٩٦٨، ص ٧٦هـ٦).

(٣) شقوبية (Segovia) : كانت في العصر الإسلامي من أعمال كورة ماردة Merida، وتقع قرب مدينة آبله Avila ، ويذكر الإدريسي أن شقوبية ليست بمدينة، ولكنها قرى كثيرة متجاورة متداخلة العمارات، انظر (نزهة المشتاق، ج٢، ص ٧٧٣؛ مؤلف مجهول ، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص ٥٧)

(٤) قشتالة أو قشتيلة (وتسمى أيضاً القلاع Gastillas) : هي من بلاد مملكة جليقية، وتعرف الآن بقشتالة القديمة Castilla la Vieja ، وقد أطلق عليها المسلمون اسم القلاع نظراً لكثرة قلاعها منذ ما قبل الفتح الإسلامي، والمرجح أنهم ترجموا بذلك اسمها القديم، وتقع منطقة القلاع أو قشتالة ما بين برغش Burgos شمالاً وحتى نهر دويرة وجبال وادي الرمل جنوباً، وكان يطلق عليها في مدونة الفونسو الثالث اسم باردوليا القديمة La antigua Bardulia وكانت أرض قشتالة عبارة عن بطاح واسعة اعتبرها المسلمون إقليماً يفصل بين أراضيهم وأراضي النصارى الإسبان في الشمال، ومن مدنها وحصونها الهامة: برغش وأمايه Amaya وغرنون Granon. انظر (البكري ، نفسه، ص ٧٢، ٧٣؛ ابن الأبار، الحلة السيراء ،ج١، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة سنة ١٩٦٣، ١٣٥ - ١٣٦ هـ٢؛ Aguado Bleye, op. Cit, PP. 491 - 492 ميشيل تراس، أعمال التحصينات ذات طراز الخلافة في قشتالة، ترجمة حسين مؤنس ، ضمن بحوث الدورة الخامسة للجلسات الأندلسية، تقرير معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٦٦، ص ١٦؛ سحر سالم، تاريخ مدينة بطليوس ج٢، ص ٣٠١هـ ٣٠.

وأصبحت منطقة الحدود الفاصلة بين إسبانيا الإسلامية والمسيحية تمتد من بنبلونة (Pamplona) في الشمال، ثم تنحدر إلى وشقة (Huesca) وتطيلة (Tudela) على وادي إبره Rio Ebro، ثم منطقة وادي دويرة Rio Duero وجبال الشارات المعروفة بجبال وادي الرمل Sierra de Guadarrama في الوسط، وتنتهي عند مدينة قلمرية (Coimbra) المطلة على ساحل المحيط الأطلسي في أقصى الغرب (١).

وهكذا اضطر المسلمون إلى تحويل هذه المناطق المواجهة للممالك الإسبانية المسيحية في الشمال إلى، مناطق ثغرية ترابط فيها قوات الثغور الإسلامية للذود عن سكانها المسلمين ، وحماية حدود دولة الإسلام في الأندلس من غارات النصارى الإسبان (٢).

وبعد أن دعم الأمويون أركان دولتهم في الأندلس عمدوا إلى إنشاء سلسلة من الحصون أو القلاع القوية على مشارف منطقة قتشالة أو القلاع، وبفضل تلك الحصول تمكنوا في بداية عصرهم من اختراق أراضي قشتالة مراراً، وأنزلوا بها التدمير وحاولوا بالتالي بين نصارى الشمال الإسباني (نصارى جليقية) وبين استقرارهم في تلك المنطقة ، والزحف جنوباً نحو الأراضي الإسلامية الواقعة في مواجهة حدودهم والمسماة بالثغور(٣) .

وكان قادة المسلمين المرابطون في ثغور الأندلس يشغلون مكانة متميزة عن بقية ولاة الكور أو الولايات ، وكانوا لذلك يختارون من أرباب السيف، أي من

---

(١) انظر . ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥ ، طبعة بيروت سنة ١٩٨٧، ص ١٢٧؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، طبعة بيروت سنة ١٩٧١، ص ١٢٢؛ محمود مكي، مدريد العربية، ص ٣٧.

(٢) Levi - Provencal, Histoire de L'Espagne Musulmane, t.1, Paris, 1944, P. 50.

(٣) انظر. مختار العبادي ، صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس، مجلة البينة، عدد ٩، الرباط سنة ١٩٦٣، ص ٨٣؛ ميشيل تيراس، نفس المرجع السابق، ص ١٦ ؛

(Rachel Arie, op. cit, P. 117.)

القادة العسكريين الذين أثبتوا كفاءة وبراعة في المعارك والحملات العسكرية، ولذلك لم يسموا في المصادرالعربية بالولاة، وإنما كانوا يلقبون بالقادة[(١)]. وكذلك نعم أجنادهم في الثغور بمكانة سامية أيضاً في المجتمع الأندلسي،خاصة في تلك المناطق الثغرية التي يتولون حراستها وحمايتها ، ويجاهدون فيها ضد النصارى الإسبان، ولهذا السبب عرفوا بالثغريين»، ثم انتقل اللفظ العربي إلى الإسبانية في القرن ١٦ م في صورة Tagarinos واستخدم بهذا المعنى بين الموريسيكين (Los Moriscos) إقليم أرغون Aragón [(٢)].

والمناطق الثغرية في الأندلس في عصر الدولة الأموية وفقاً لما ورد في المصادر العربية ثلاث هي:

١ - **الثغر الأعلى:** (ويطلق عليه أيضاً الثغر الأقصى أو الثغر الشرقي)، وكان يشمل المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية للأندلس حتى جبال البرتات، وكانت مدينة سرقسطة (Zaragoza) هي قاعدة هذا الثغر، الذي كان يضم عدة مدن أخرى منها: وشقة Huesca وتطيلة Tudelaولاردة (Lerida) وطرطوشة (Tortosa) ، وكان الثغر الأعلى يقع في مواجهة مملكتي نبرة (Navarra أو البشكنس) وأرغون. [(٣)] .

٢ - **الثغر الأوسط:** ظهرت خطورة هذا الثغر وأهميته منذ عهد الخليفة عبد

---

(١) Levi - Provencal, L'Espagne Musulmane au Xeme Siecle, Paris, 1932, PP. 121 - 122.

(٢) انظر Rachel Arie, España Musulmana, P. 118.

(٣) البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٩٤ - ٩٥هـ٤؛ ابن سماك العاملي، الزهرات المنثورة، تحقيق محمود مكي، مجلة المعهد المصري بمدريد، سنة ٨١ - ١٩٨٢، ص ٥٦ هـ١؛ حسين مؤنس معالم تاريخ المغرب والأندلس، نشر دار المستقبل ، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٣٠٠؛ محمد الفاسي، الأعلام الجغرافية الأندلسية، ضمن كتاب دراسات مغربية ، ط٢، الدار البيضاء سنة ١٩٩٠، ص ١١١.

Rachel Arié, op. cit, P. 118 & AFIF Turk, El reino de Zaragoza, Madrid, 1978, p.8.

الرحمن بن محمد (الناصر لدين الله) (٣٠٠ - ٣٥٠ هـ/ ٩١٢ - ٩٦١م)، عندما بدأت إمارة قشتالة (Castilla) تظهر على مسرح الحوادث، وتستقل عن مملكة جليقية، وتشكل خطراً على الأرض الإسلامية المواجهة لها، أي المدن والحصون الواقعة في شمالي طليطلة (Toledo).

وعلى هذا النحو تطلب الوضع السياسي والحربي في شمال الأندلس - آنذاك - ضرورة إنشاء منطقة ثغرية جديدة في مواجهة إمارة قشتالة المسيحية عرفت بالثغر الأوسط، وقاعدته مدينة سالم (Medinaceli)(١). لأن طليطلة التي كانت قاعدة لتلك المنطقة الثغرية في أول الأمر أي في أوائل عصر الإمارة الأموية - ، لم تعد تصلح لتلك المهمة الخطيرة لأنها كانت في أغلب الفترات - من مراكز الفتن والثورات في عصر الإمارة، بالإضافة إلى أنها كانت بعيدة نسبياً عن مسرح العمليات العسكرية في الأراضي القشتالية.

ونستنتج من المصادر الأندلسية أن منطقة الثغر الأوسط كانت تمتد من حدود كورة سرقسطة في الشمال الشرقي حتى كورة طليطلة في الوسط (٢)، وكانت تلك المنطقة تشتمل على عدة مدن وحصون لعبت دوراً مهماً في تاريخ الصراع الإسلامي المسيحي في شبه الجزيرة الإيبيرية خصوصاً في عصر الدولة الأموية.

٣ - **الثغر الأدنى:** وكان يطلق عليه أيضاً الثغر الجوفي ، وهو يشمل المنطقة الغربية من الأندلس الواقعة بين نهر دويرة (Rio Duero) ونهر تاجه Rio Tajo، ومن قواعد هذا الثغر: شنترين (Santarem) وقلمرية (Coimbra) وقورية (Coria) وماردة (Merida) وبطليوس

---

(١) انظر ابن حيان، قطعة من المقتبس، ج٥، نشر بدروشالميتا وكورينطي، مدريد سنة ١٩٧٩، ص ٣٩٥؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٢٣ .

(٢) ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، تحقيق مؤنس، القاهرة سنة ١٩٦٣، ص ١٠٩ هـ٢؛
Levi - Provencal, Histoire de L'Espagne Musulmane, t. II, P. 323;
حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٠٠.

(Badajoz) والأشبونة (لشبونة Lisboa)، وكان هذا الثغر يقع في مواجهة مملكة جليقية (ليون Leon) المسيحية [(١)] .

التعريف بمدن وحصون الثغر الأوسط

١ - مدينة سالم (Medinaceli):

مدينة قديمة البنيان عرفت في العصر الروماني باسم أوسيلس (Ocilis) وتقع على مسافة خمسين ميلاً شرقي وادي الحجارة، على الطرق بين سرقسطة ومجريط (ومدريد) ، ويصفها الرازي بأنها من المدن الإسلامية الحصينة في الأندلس، وبها آثار قديمة، ويضيف بأنها تعرضت للتخريب أثناء حملة طارق ابن زياد [(٢)]، ثم عمرها المسلمون في أعقاب انتهاء موجة الفتح الأولى على يد سالم ابن ورعمال المصمودي الذي يرجح أنه أحد قادة البربر في جيش طارق، ولذا نسبت إليه، وقد سكنها هو وأفراد أسرته من بني سالم المصامدة الذين ينتمون بالولاء إلى بني مخزوم. [(٣)].

وتميزت مدينة سالم بالحصانة والمنعة، إذ كانت مزودة بسور منيع يحيط بها ، ويدعم حصانتها ، ويحميها من غارات النصارى الإسبان، كما حظيت بإقليم واسع وفير الخيرات، وكان يغلب على المدينة الطابع الحربي لقربها من إمارة قشتالة المسيحية في الشمال [(٣)]، ولذا اتخذت في عصر الخلافة الأموية قاعدة للثغر الأوسط الأندلسي حسبما سبقت الإشارة.

---

(١) انظر . البكري، نفسه، ص ٩٤ - ٩٥هـ٤؛ ابن الخطيب،أعمال الأعلام، ق٢، تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط سنة ١٩٣٤، ص ٢١١؛

Levi - Provencal, L'Espagne musulmane auxeme Siecle, P. 121

عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول ق١، ص ٣٣٩ هـ٣؛ سحر سالم، نفسه،ج١، ص ٣٣٨ - ٣٤٠.

(٢) الرازي وصف الأندلس ، نشر ليفي بروفنسال في:

Revista al - Andalus, Madrid, 1953,P. 79.

(٣) ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب ، طبعة بيروت سنة ١٩٨٣، ص ٥٠١؛ ابن حيان قطعة من=

وقد أسفرت الحفائر الأثرية التي أجريت في هذه المدينة عن كشف آثار وأسوار قديمة بها، كان قد أقامها القائد غالب الناصري (صاحب مدينة سالم وقائد الجيوش الأموية في عصر الخلافة)، كما اتخذ بها الحاجب المنصور بن أبي عامر قصراً حصيناً [١].

وظلت مدينة سالم تتأرجح خلال القرن ٥هـ/١١م بين السيطرة الإسلامية والمسيحية إلى أن أسقطت نهائياً في يد الفونسو الأول (المحارب Alfonso I el Batallador) ملك أرغون Aragon فيما يقرب من سنة ٥١٨هـ/١١٢٣ - ١١٢٤م. [٢].

٢ - **وادي الحجارة** (Gaudalajara)

ويطلق عليها أيضاً مدينة الفرج، وهي من المدن التي مر بها موسى بن نصير وطارق بن زيادة عقب فتح طليطلة، في طريقهما نحو الشمال الشرقي للأندلس لفتح منطقة حوض نهر إبره [٣].

ويبدو أن تلك المدينة تعرضت للإهمال عقب الفتح الإسلامي، ثم عمرت على

= المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ٥١٤ - ٥١٥ هـ ٢٨٦؛

Levi - provencal, Art., Medinaceli, Encyclopedie de l' islam, t III, Leiden, 1963, P. 500;

عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ص ١٢٥؛ مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(١) ابن حوقل، صورة الأرض، طبعة بيروت، بدون تاريخ، ص ١١٢؛

Torres Balbas, Ciudades hispano musulmanas, t, 1, Madrid, PP.64 - 65.

(٢) ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ٩٣ ؛

Torres Balbas, Ciudades hispano musulmanas,t,1, Madrid, PP.64 - 65.

(٣) مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ٢٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، تحقيق يوسف البقاعي، بيروت سنة ١٩٨٦، ص ٢٥٣؛

Levi- provencal, Histoire, t, 1, p. 18.

يد الفرج بن مسرة بن سالم المصمودي الذي ينتسب إلى أسرة بني سالم البربرية التي أسست من قبل مدينة سالم ، وتولت حكم العديد من مدن وحصون منطقة الثغر الأوسط، (٤) .

وكانت مدينة وادي الحجارة في العصر الإسلامي من أعمال إقليم الشارات (Sierra) الذي يضم أيضاً بعض المدن الهامة مثل طليطلة وطلبيرة (٢). وتقع علي نهر وادي الحجارة (نهر هنارس Rio Henares) إلى الشمال الشرقي من مجريط، وإلى الشرق من طليطلة ، ويصفها الإدريسي بأنها مدينة حسنة كثيرة الخيرات، ويجري بأراضيها نهر صغير (نهر وادي الحجارة)، لها عليه بساتين ومزارع، ويضيف بأنها مدينة حصينة ، يحيط بها أسوار من الحجارة ، كما كانت تضم قصبة منيعة تطل على نهرها ، كما اشتملت على كثير من المرافق من أسواق وفنادق وحمامات (٣).

وتعتبر وادي الحجارة من القواعد المهمة بالثغر الأوسط، إذ كانت من المدن العسكرية، ومركزاً متقدماً للجيوش الإسلامية للغزو إلى قشتالة ومملكة جليقية، وظلت تحت الحكم الإسلامي إلى أن سقطت في يد ألفونسو السادس

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٥٠١؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، مجلد٣، تحقيق عبد الله عنان، نشر مكتبة الخانجي سنة ١٩٧٣، ص ٣٠٣ - ٣٠٤.

(٢) الإدريسي، نفسه، ج٢، ص ٥٣٨. أما مدينة طلبيرة (Talavera la reina) - المذكورة بالمتن - فهي من أعمال طليطلة، وتقع على نهر تاجة إلى الجنوب الغربي من مجريط، كانت في العصر الإسلامي مدينة حصينة مزودة بقلعة منيعة وتحيط بها الأسوار والأبراج، حيث كانت من ثغور مدينة طليطلة. انظر (الرازي، وصف الأندلس، في Revista al - Andalus, P. 82, ؛ ابن غالب، نفسه، ص ٢٨٩؛ الإدريسي، نفسه ج٢، ص ٥٥١؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق مختار العبادي، مدريد سنة ١٩٧١، ص ٨٧ هـ٣).

(٣) انظر ابن القوطية ، نفسه، ص ١١١؛ ابن حوقل ، نفسه، ص ١١١؛ الإدريسي، نفسه، ج٢، ص ٥٥٣؛ الحميري، الروض المعطار ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت؛ سنة ١٩٨٤، ص ٦٠٦؛ محمد الفاسي، الأعلام الجغرافية الأندلسية، ص ١١٧؛ عبد الله عنان، الآثار الأندلسية الباقية، القاهرة سنة ١٩٦١، ص ٣٢٨.

(AlFonso VI) ملك قشتالة قبيل سقوط طليطلة في سنة ٤٧٨ هـ/ ١٠٨ م [١]

٣ - **مجريط** Madrid):

كانت في العصر الإسلامي مدينة صغيرة ذات حصن منيع ، بسفح جبل الشارات، شمالي طليطلة، على الضفة اليمنى لنهر المانثانارس (Manzanares) [٢].

ويرجع الفضل في تأسيسها إلى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨ - ٢٧٣هـ) ، الذي اهتم بتحصين تلك المنطقة الوسطى من ثغور الأندلس، عندما اشتد خطر نصارى جليقية في عهد الفنش بن أردون (ألفونسو الثالث الملقب بالعظيم (Alfonso III EL Magno) ، وبالإضافة إلى ذلك كانت مدينة مجريط الحصينة بمثابة قاعدة عسكرية تحيط بطليطلة وتراقبها بسبب كثرة ثورات أهلها في عصر الإمارة[٣].

ومما ساعد على حصانة مجريط وجود خندق عميق يدور حول السور[٤]، ولذلك فإنها تعتبر من المدن ذات الطابع العسكري، والتي لعبت دوراً مهماً في حماية منطقة وادي تاجة (Rio Tajo) من غارات نصارى ليون (جليقية)

---

(١) Levi - provencal, Histoire de l' Espagne, t,1, P.51;

محمود مكي، مدريد العربية، ص ١٠٠.

(٢) الإدريسي، نفسه مجلد ٢، ص ٥٥٢؛ الحميري، نفسه، ص ٥٢٣، محمود مكي، مدريد العربية ، ص ٣٨ - ٣٩؛ عنان، الآثار الأندلسية، ص ٣٣١.

(٣) ابن حيان ،قطعة من المقتبس ، تحقيق محمود مكي، ص ١٣٢؛ مكي، نفسه، ص ٣٨ - ٣٩؛ Torres Balbas, op. cit, tl, P. 61 & Manuel Montero Vallejo, Madrid, Castillo Famoso, Gongreso de al - Al - Andalus, al-Riaydh, 1993, P.1.

(٤) انظر . الحميري، نفسه، ص ٥٢٣؛

Torres Balbas, op. cit, t, 1, p. 61.

القادمة من الشمال تجاه الأراضي الإسلامة بمنطقة وادي الرمل، وظلت مجريط تحت حكم المسلمين إلى أن سقطت في سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة [١].

٤ - طلمنكة (Talamanca) :

من أعمال وادي الحجارة ، وتقع بسفح جبال الشارات (وادي الرمل) علي الضفة اليسرى لوادي شرنبة (Rio Jarama) على مقربة من مجريط ، وكانت هي الأخرى من بناء الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط، وتصفها المصادر الجغرافية بأنها مدينة متوسطة حصينة منيعة لاترام، [٢] حيث أسست لتكون موضعاً حصيناً يسهم في اعتراض الحملات النصرانية إلى منطقة وادي تاجه، ولذلك اتخزها الأمويون مركزاً دفاعياً متقدماً في مواجهة نصارى ليون. [٣]

وقد سقطت طلمنكة مع مجريط في يد ألفونسو السادس (سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م) وفقدت أهميتها العسكرية بعد سقوط طليطلة في أيدي نصارى قشتالة ، ولم يتبق فيها الآن أي أثر لماضيها الإسلامي.[٤].

أما حصون الثغر الأوسط فكانت عديدة، وشغلت المنطقة الممتدة من أحواز كورة سرقسطة حتى وادي الحجارة، ويرجع الفضل للأمير محمد في بناء معظم تلك الحصون ، فقد كان يرى أن امتداد نفوذ نصارى ليون (جليقية) إلى وادي دويرة ووصول هجماتهم حتى وادي تاجة قرب طليطلة بوسط الأندلس، يتطلب

---

(١) مكي ، نفسه، ص ١٠٠؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق٢، ص ٤٠١هـ٢؛ Torres Balbas, op. Cit, t, 1, p.61.

(٢) ابن حيان ، قطعة من المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ١٣٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤٢، طبعة بيروت، بدون تاريخ، ص ٣٩؛ الزهري، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، دمش، ١٩٦٨، ص ١٠٤؛ مؤلف مجهول ذكر بلاد الأندلس، ص ٥٠ – ٥١، ٥٩.

(٣) Torres Balbas, op, cit, t, 1, p. 91.

(٤) Torres Balbas, op, cit, t,1, P.61;

وانظر أيضاً: محمود مكي، مدريد العربية، ص ١٠٠.

تحصين المدن الثغرية الوسطى واحاطتها بسياج الحصون القوية، وتوفير وسائل الإمداد والتموين لها حتى تتمكن من توفير الحماية لكورة طليطلة من ناحية، والتصدي لهجمات النصارى الإسبان من ناحية أخرى، وقد أطلق على هذا الخط من الحصون اسم «وادي الحجارة» أي وادي الحصون [١].

ومما لا شك فيه أن دراسة الصراع الإسلامي المسيحي في منطقة الثغر الأوسط تستلزم منا الإلمام بتلك الحصون وأسمائها ومواقعها.

ومن أهم تلك الحصون ما يلي:

١ - حصن دسه (Deza):

يقع إلى الشرق من مدينة سالم، وهو الآن من أعمال إقليم سرية (Soria)، وكان تابعاً للقائد البربري عمريل بن تيملت الشغري ، الذي كان يحكم هو وأولاده الحصون الشمالية والشمالية الشرقية من ثغر مدينة سالم[٢]. ويذكر الباحث الإسباني سافدرا (Saavedra) أن اسم القائد عمريل ما يزال محفوظاً في طبوغرافية تلك المنطقة ، حيث يوجد مجرى مائي في شمال دسه يسمى Torre Amril أي برج عمريل [٣] .

٢ - حصن مضا (Castillo de Madha):

يقع على مقربة من حصن دسة، وكان أيضاً من أعمال بني عمريل البربر، ولعله ينسب إلى القائد مضا بن عمريل، الذي سجل له الخليفة الحكم المستنصر بالله على هذا الحصن بالإضافة إلى حصون أخرى مجاورة [٤].

---

(١) مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٠٠؛ مكي، مدريد العربية، ص ٣٨ - ٣٩؛ ميشيل تيراس، أعمال التحصينات ذات طراز الخلافة في قشتالة، ص ١٧ .

(٢) ابن حيان، قطعة من المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت سنة ١٩٨٣، ص ١٨٨، وحاشية ص ٢٥٦؛

Levi - provencal, Histoire, L. II, P. 401

(٣) Codera, Embjadores de Castilla en Cordoba, en estudios criticos, Madrid, 1917, P. 214, N, 1.

(٤) انظر المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص ١٨٨ - ١٨٩.

٣ - حصن إستيرش (Esteras)

ويقع بأحواز مدينة سالم، إلى الشمال الغربي منها، وقد بناه الأمير محمد ابن عبد الرحمن الأوسط لحفظ غلال مدينة سالم،ولإمدادها بالمؤن وقت الحاجة [١].

٤ - حصن برهون (Barahona)

وهو من حصن ثغر مدينة سالم، وكان يشغل موضعاً استراتيجياً في الشمال الغربي من مدينة سالم، وإلى الغرب من حصن دسه، على مقربة من حصن غرماج[٢].

وجدير بالإشارة أن القائد غالب الناصري عسكر بهذا الحصن في سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م أثناء حملته لنجدة أهل حصن غرماج الذين حاصرهم النصارى الإسبان آنذاك - في أواخر عهد الخليفة الحكم المستنصر[٣].

٥ - حصن غرماج (Gormaz):

وهو من حصون ثغر مدينة سالم، ويقع في أقصى الطرف الشمالي للأراضي الإسلامية، وكان يشغل موقعاً استراتيجياً مهماً على الضفة اليمنى لنهر دويرة، قرب حصن وخشمة (osma) النصراني[٤]. وكان الهدف من إنشائه حماية الخط الدفاعي الأموي الواقع بين وخشمة وحصن برلنقة، ولذا تميز بأسواره القوية المتعرجة التي تتلاءم وطبيعة الأرض بتلك المنطقة وفي نفس ا لوقت يحقق من

---

(١) ابن حيان ، قطعة من المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ١٣٢؛ محمود مكي، مدريد، ص ٢١، ٣٩.

(٢) المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٢٢٦؛
Codera, Campana de Gormaz, en Estudios Criticos, P. 238, N, 4 & Levi - Provencal, Histoire, II, P. 402.

(٣) ابن حيان ، نفسه، تحقيق الحجي، ص ٢٢٦.

(٤) ابن حيان ، نفسه، تحقيق الحجي، ص ٢١٨؛
Levi-Provencal, Histoire, II, P. 308;
عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق٢، ص ٥٠١ - ٥٠٢ .

الدفاع ما لا تحققه الأسوار المستقيمة وهو استمرار للمنشآت العسكرية ذات الطراز الأموي(١).

وتعتبر مدونة كاردينيا (Cronicon de Cardeña) أولى المصادر المسيحية التي تذكر هذا الحصن ، فقد زودتنا بنص يشير إلى أن المسلمين استولوا على هذا الحصن في أغسطس سنة ٧١٣م (أوائل سنة ٩٤هـ) ، غير أنها لا تذكر تاريخ استرداد النصارى الإسبان له، وإن كان من المرجح أن ذلك حدث في عهد الفونسو الأول ملك جليقية ، وظل الحصن يتأرجح فترة بين السيطرة الإسلامية والمسيحية إلى أن تملكه المسلمون في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر في سنة ٣٢٩هـ/ ٩٤٠م حسبما تشير إحدى الحوليات المسيحية، وظل تحت الحكم الإسلامي إلى أن سقط نهائياً في يد سانشوغرسيه (شانجه Sancho Garcia) صاحب قشتالة أثناء الفتنة القرطبية في أوائل القرن ٥ هـ / ١١(٢).

٦ - حصن برلنقه (او ابرلنقه Berlanga)

يقع جنوبي نهر دويرة إلى الشمال الغربي من حصن برهون، وهو أيضاً من الحصون التي أنشأها الأمويون في عصر الإمارة بتلك المنطقة الثغرية شمالي مدينة سالم، على حدود قشتالة المسيحية. (٣)

٧ - حصن اتنشيه (او انتنسه او اتنشه Atiensa) :

كان في العصر الإسلامي من أعمال كورة وادي الحجارة، وهو من حصون

Rachel Arié, España musulmana, P. 119 (١)

(٢) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٣، ص ٨٦؛

Antonio Gayo Nuño, Gormaz, PP. 334 -335 & Levi- Provencal, Histoire, t,II, P. 399, N,2;

وانظر أيضاً : عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.

(٣) المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٢٢٦، ٢٣٧؛

Rachel Aric, op. cit, p. 119.

الثغر الأوسط المتاخمة لمدينة سالم، ويقع في الشمال من وادي الحجارة إلى الغرب من مدينة سالم [١]، ويصفه الرازي بأنه من أكثر الحصون مناعة في تلك المنطقة الثغرية، [٢] ولذلك جعله المسلمون محرساً لمراقبة تحركات النصارى الإسبان، وحماية الثغر الأوسط من غاراتهم المفاجئة.

٨ - حصن القليعة (Alcolea):

يتضح من اسم هذا الحصن أنه تصغير قلعة، وعلي هذا فمن المرجح أنه كان قلعة صغيرة من أعمال ثغر مدينة سالم، وكان يقع على مسافة بضعة كيلومترات إلى الشرق من حصن أتنشيه، ويفيد الرازي بأنه أحد الحصون المنيعة بالثغر. [٣]

٩ - قلعة عبد السلام (Alcala de Henares):

قلعة حصينة كانت تقع قرب مجريط، وإلى الجنوب الغربي من وادي الحجارة، ويذكر ابن الخطيب بأنها من قلاع الثغر [٤].

١٠ - حصن شنت بجنت (San Vicente):

يقع قرب حصن أتنشيه بالثغر الأوسط، وكان من الحصون التابع للقائد غالب صاحب مدينة سالم في عهد الخليفة هشام المؤيد ابن المستنصر بالله [٥].

١١ - حصن بنه فراطة (Pena Forata ويسمى الآن Penahora)

---

(١) انظر ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ٧١؛

Levi - Provencal, Histoire, t, II, P, 428.

(٢) الرازي ، وصف الأندلس، نشر ليفي بروفنسال ، في :

Revista al - Andalus, P. 81.

(٣) الرازي، نفس المصدر السابق، نشر ليفي بروفنسال في :

Revista al - Andalus, p. 79, N, 5;

Levi - provencal, Histoire, t, II, p. 308, N. , 2.

(٤) أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٤١؛

Levi - Provencal, Histoire, t, II, p. 308, N , 2 & Manuel Montero Vallejo, Madrid, Castillo Famoso, P. 3

(٥) أعمال الأعلام، ق٢، ص ٧٢؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول ق٢، ص ٥٣٨.

كان حصناً من أعمال وادي الحجارة،[١]ويقع على بعد نحو ثلاثين كيلو متراً إلى الشمال من وادي الحجارة، تولى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط تعميره وتحصينه لحماية ثغر طليطلة، والحصن الآن لا يعدون قرية لم يبق منها إلا أطلال دارسة،وكان في العصر الإسلامي موضعاً حصيناً على جانب كبير من الأهمية لموقعه الاستراتيجي المتميز ، حيث كان يشكل مع مجموعة أخرى من الحصون المجاورة نطاقاً دفاعياً حول الثغر الأوسط في مواجهة الممالك الإسبانية المسيحية في الشمال[٢].

١٢ - حصون أخرى:

كان الثغر الأوسط يضم بالإضافة إلى ما سبق ذكره عدة حصون أخرى كانت تابعة لبني عمريل البربر الذين عملوا تحت قيادة غالب الناصري قائد جيوش الثغر في عهد الحكم المستنصر[٣]. ومن تلك الحصون حصن بوذيل[٤] وبنه رويه [٥]والصخيرة[٦]وكانت تقع جميعاً بإقليم سرية Soria الممتد شمالي مدينة سالم.

وجدير بالإشارة أن تلك الحصون التي أقامها المسلمون على مشارف إمارة قشتالة وعلى طول خط وادي دويرة، كانت ساحة لمعارك ضارية دارت رحاها في تلك المنطقة بين المسلمين والنصارى الإسبان، وخصوصاً في عصر الخلافة الأموية أي في القرن ٤هـ/ ١٠م، ولذلك فقد توالت في تلك الفترة غزوات أمراء بني أمية وخلفائهم، بحيث لا يكاد يمر عام واحد حتى تنفذ إليها حملة أو صائفة[٦].

---

(١) ياقوت،معجم البلدان، مجلد ، ص ٥٠١.

(٢) انظر. قطعة من المقتبس، تحقيق، محمود مكي، ص ١٣٢، ص ١٦ - ٥١٧ هـ ٢٨٩.

(٣) ابن حيان، قطعة من المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص ٧٦.

(٤) حصن بوذيل (Castillo de Budiel) : يرى سافدرا Saavedra أن هناك نهراً يسمى Budiel (بوديل) كان يمر ببلدة المادرونس Almadrones قرب حصن بأطراف كاستخون Castejon ;
انظر Codera, Estudios Criticos, P. 221, N, 1

(٥) بنه رويه (Peña Roya) يعتقد سافدرا أنها يجب أن تكون الموضع المسمى الآن بنه دي الكاثار Pena de Alcazar قرب نهر كاربانتس، .Rio Carabantes
انظر: (Codera, op. Cit, P. 22, N.,2)

(٦) الصخيرة: (تصغير صخرة) ، ويرجع سافدرا أن موضع هذا الحصن هو الذي يطلق عليه الآن دير الحجر أو الصخرة (Monasterio de piedra)
أنظر (Codera, op. cit, p. 22, N.,3)

ومن جهة أخرى كان المسلمون يحرصون عند إقامة قلاعهم أو قصابهم على اختيار مواضع استراتيجية حصينة تسيطر على الموضع وتتميز بمنعتها ،وتعبر عن براعة المسلمين في إنشاء الحصون ، ومعرفتهم بكل ماتحتاجه من أسوار وأبراج وصهارج وأبواب ذات ممرات منكسرة تعرقل المهاجمين ، ويتجلى ذلك بشكل واضح فيما تبقى من حصون طلمنكة وطلبيرة وغرماج وغيرها [١].

(٢) الثغر الأوسط في عصر الإمارة الأموية

كان معظم سكان الثغر الأوسط من البربر الذين استقروا بتلك المنطقة عقب الفتح الإسلامي للأندلس، ومن أشهر الأسرات البربرية التي استقرت بالثغر بنو سالم المصامدة، الذين ساهموا بدور بارز في تاريخ الثغر الأوسط في عصر الدولة الأموية، إذ اعتمد علهم أمراء بني أمية في حماية تلك المنطقة الثغرية، فأسندوا إليهم ولاية مدنها وحصونها في معظم فترات التاريخ الأموي، لما عرف عنهم من ولاء وإخلاص للسلطة المركزية بقرطبة، ولحسن بلائهم في الجهاد ضد النصارى الإسبان في الشمال[٢].

ومنذ قيام دولة بني أمية في الأندلس في سنة ١٣٨هـ (٧٥٦م) وجه الأمير عبد الرحمن الداخل جُل اهتمامه وعنايته لمنطقة الثغور ، ففي سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م أمر بإصلاح ثغور الأندلس ، وبناء أسوار مدنها وحصونها. [٣] ولكن يبدو أن سكان الثغر الأوسط سببوا له بعض المشكلات ، فبعث إليهم مولاه بدراً في سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م ، وعهد إليه باستطلاع أحوال أهالي تلك المنطقة ، ومدى خضوعهم للسلطة المركزية، وقد تمكن بدر من القبض على زعماء الفتنة، واستقدم منهم إلى قرطبة كل من «اطلع له على سوء سريرة وشبهة في الثغر[٤]».

---

(١) ميشيل تيراس، نفس المرجع السابق ، ص ١٧؛
Rachel Arié, España Musulmana, P. 119 .

(٢) انظر ابن حزم ، جمهرة ، ص ٤٩٩؛ مؤلف مجهول ، مفاخر البربر، ص ٨٠؛ Levi - Provencal, Histoire, t.I, PP. 61 - 62 ؛ عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ١٢٤ - ١٢٥ ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٣) مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص ١١٥.

(٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص ٥٤.

وواصل الأمير هشام الرضا (١٧٢ - ١٨٠هـ / ٧٨٩ - ٧٩٦م) نفس سياسة أبيه عبد الرحمن الداخل في الاهتمام بتحصين الثغور، ورعاية المجاهدين وأولادهم بها، فيذكر صاحب أخبار مجموعة أن الأمير هشام كان يلحق أبناء الذين استشهدوا في الثغور بديوان أرزاقة[١].

ونستنتج من المصادر الأندلسية أن حملات الأمير هشام التي كانت تخرج من الحاضرة قرطبة لغزو ألبة [٢] والقلاع النصرانية أو مملكة جليقية كانت تعسكر أولاً بالثغر الأوسط قبل أن تواصل تقدمها إلى أراضي النصارى الإسبان (أودار الحرب كماكانت تسمى)، وذلك حتى تتوافى حشود المسلمين من قوات الثغور والمتطوعة من الجهات المجاورة [٣].

وفي عهد الأمير الحكم الربضي . ١٨٠ - ٢٠٦ هـ / ٧٩٦ - ٨٢٢م) انتهز نصارى ألبة والقلاع فرصة انشغال الأمير بإخماد ثورة ماردة (Merida)

---

(١) انظر. مؤلف مجهول، أخبار مجموعة، ص ١٠٩، مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص ١٢١.

(٢) ألبة (بالإسبانية Alava) : هي المنطقة الواقعة عند منابع نهر إبره وكانت إحدى ولايات مملكة نبرة (البشكنس)، وتمتد غرباً حتى برغش، وشمالاً حتى خليج بسكونيه،وجنوباً حتى نهر إبره، انظر (البكري جغرافية الأندلس، ص ٧٢ - ٧٣، ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، ج١، ص ١٣٥ - ١٣٦ هـ٢؛ عنان، دولة الإسلام ق١، ص ٢١٦؛ سحر سالم، تاريخ مدينة بطليوس، ج٢، ص ٣٠١ هـ٣).

(٣) مختار العبادي، صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس، ص ٨٧. وراجع التفاصيل حول تلك الحملات في : ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج٥، طبعة بيروت، ص ٢٨٩؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص ٦٣ - ٦٥ ؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٢٤ - ١٢٥؛ المقري، نفح الطيب،ج١، ص ٣٢٣؛

Levi -Provencal, Histoire. t. I, PP. 142 - 144.

عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص ٢١٦ - ٢١٨؛ عنان، نفس المرجع السابق، ق١، ص ٢٢٦ - ٢٢٨.

في سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٥ - ٨٠٦م، التي استمرت قرابة سبع سنوات [١] ، وأغاروا علي الثغر الأوسط رداً على غارات المسلمين على أراضيهم ، التي كانوا يشنونها في عهد الأمير هشام وأوائل عهد ابنه الحكم، فتذكر المصادر أن النصارى الإسبان أغاروا في سنة ١٩٤هـ / ٨٠٩ - ٨١٠م على نواحي وادي الحجارة، وسبوا وقتلوا بعض المسلمين من سكان الثغر الأوسط، وكان الشاعر عباس بن ناصح[٢] يمر - آنذاك - بتلك الجهات ، وبلغه أثناء مروره بها ، ما ألم بالمسلمين ، وشدة معاناتهم واستنجاد إحدى النساء المسلمات هناك بالأمير الحكم، فلما عاد إلى الحاضرة قرطبة رفع إلى الأمر شعراً ، يحثه فيه على جهاد العدو.[٣]

---

(١) تذكر المصادر أن الأمير الحكم الربضي شغل - آنذاك - بالثورة التي اندلعت في مدينة ماردة بغرب الأندلس في سنة ١٩٠هـ، بزعامة أصبغ بن عبد الله بن وانسوس، ولذا خرج إليه الأمير الحكم غازياً في نفس السنة وحاصره بماردة، غير أنه اضطر إلى العودة إلى حاضرته قرطبة بسبب تمرد أهلها، وظل يرسل الجيوش إلى ماردة حوالي سبع سنوات، وانتهى الأمر باستسلام الثائر أصبغ بعد إعطائه الأمان، ودخل في طاعة الأمير الحكم ، وسكن قرطبة مدة ، ثم سمح له بالعودة إلى بلده ماردة، انظر: (البيان المغرب، ج٢، ص ٧٢؛
Levi - Provencal, Histoire, t,1,P. 159;
عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٢٢٥؛ عنان، نفسه، ق١،ص٢٣٧.

(٢) هو عباس بن ناصح بن تلتيت المصمودي ، وينتمي بالولاء إلى ثقيف، وكان من شعراء الجزيرة الخضراء البارزين في عهد الأمير الحكم الربضي، رحل به أبوه صغيراً ، فنشأ بمصر، وتردد بالحجاز طالباً للعلم، ثم رحل إلى العراق فلقى الأصمعي وغيره من علماء البصرة والكوفة وتتلمذ عليهم، ثم عاد إلى بلده الأندلس، وولي قضاء بلده الجزيرة الخضراء وشذونة في عهد الأمير الحكم، ويصفه ابن الفرضي بأنه من أهل العلم باللغة العربية، وكان جزل الشعر، وأحد فحول شعراء الأندلس في عصره، علاوة على درايته بالفقه والرواية، انظر (ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، القاهرة، سنة ١٩٦٦، ص ٢٩٦ - ٢٩٧، ترجمة رقم ٨٨١؛ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلي المغرب، ج١، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، بدون تاريخ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥).

(٣) من شعر عباس بن ناصح الجزيري في ذلك:

تململت في وادي الحجارة مسهراً ... أراعي نجوماً ما يردن تغوراً
إليك أبا العاصي نضيت مطيتي ... تسير بهم سارياً ومهجر
تدارك نساء العالمين بنصرة ... فإنك أحرى أن تغيث وتنصرا

انظر (مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص ١٢٩).

ويذكر استصراخ المرأة به،وأوضح له سوء أحوال الثغر وما وصل إليه من الوهن(١).

وعند ذلك أمر الحكم الربضي بالاستعداد للجهاد، وغوث أهل الثغر الأوسط، وخرج غازياً على رأس الجيش في نفس السنة ١٩٤هـ) ، و اتجه إلى أراضي النصارى الذين أغاروا على ثغر وادي الحجارة، فأوغل في بلادهم وافتتح العديد من الحصون وهدم المنازل وقتل وأسر الكثير منهم ، وعاد ظافراً إلى وادي الحجارة، فأمر بإحضار المرأة التي استنجدت به وجميع من أسر له أحد من أهل الثغر الأوسط. فحضروا جميعاً ، فدفع إليهم من الأسرى ما يفتكون به من أسراهم، كما أغدق عليهم من أموال الغنائم لإصلاح أحوالهم، وخص المرأة وآثرها ، ثم أمر بضرب رقاب بقية أسرى النصارى (٢).

وكانت الجيوش الأموية في عهد الأميرعبد الرحمن الأوسط بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨هـ / ٨٢٢ - ٨٥٢م) تخرج من ثغر وادي الحجارة ، لغزو الممالك النصرانية في الشمال وخصوصاً ألبة وقشتالة وجليقية (٣) ومن جهة أخرى ألمحت المصادر الإسلامية إلى حرص الأمير عبد الرحمن الأوسط على تفقد الثغور الأندلسية لخطورة موقعها المصاقب لأراضي النصارى الإسبان، فيذكر ابن عذارى أن الأمير أرسل ابنه الحكم في سنة ٢٢٤ هـ للنظر في أحوال الثغور وترميم حصونها وإصلاح شئون أهلها(٤).

(١) انظر ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٣٦٩؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص ٧٣؛ ابن الخطيب، الإحاطة، المجلد الأول، تحقيق عبد الله عنان، ط٢ ، القاهرة، سنة ١٩٧٣، ص ٤٨١ - ٤٨٢ ؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص ١٢٩.

(٢) ابن الأثير، نفسه، ج٥، ص ٣٦٩ - ٣٧٠؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص ٧٣؛ مؤلف مجهول ،نفسه، ص ١٣٠.

(٣) انظر. ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٧٧؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص ٨١ -٨٢؛
Levi - Provencal, Histoire,t,1,P.51.

(٤) البيان المغرب، ج٢، ص ٨٥.

وتضيف المصادر العربية أن نصارى جليقية بقيادة ملكهم ألفونسو الثاني الملقب بالعفيف (Alfonso II el Casto) - وتسميه الرواية ا لعربية لذريق ملك الجلالقه - أغاروا علي مدينة سالم بالثغر الأوسط في سنة ٢٢٤هـ / ٨٣٩ م، فبعث إليهم موسى بن قسي [١] وإلى الأمويين بالثغر الأعلى جيشاً بقيادة إبنه فرتون، الذي أوقع بجيش النصارى وقتل و أسر العديد منهم ، ثم واصل زحفه شمالاً حتى اجتاح أراضي ألبة Alava ، وتمكن من فتح أحد الحصون النصرانية - التي بناها أهل ألبة نكاية للمسلمين ، وقاعدة لشن الغارات على أراضيهم المجاورة ، وأمر بهدمه ثم رجع ظافراً إلى قاعدته بالثغر[٢].

كذلك انتهج الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (٢٣٨ - ٢٧٣ هـ /

---

(١) هو موسى بن موسى بن فرتون بن قسى من أبرز زعماء المولدين، وأشهر أفراد أسرة بني قسى التي تولت حكم العديد من مدن وحصون الثغر الأعلى منذ القرن الثاني حتى أوائل القرن الرابع الهجري، وكان جده الأعلى قسى قومس الثغر الأعلى في عهد القوط قبيل الفتح ا لإسلامي، فلما تم الفتح لحق قسى بالشام وأسلم على يدي الخليفة الوليد بن عبد الملك، وانتمى إلى ولائه، وتعاقب بنوه علي رياسة الثغر الأعلى ، فكان منهم موسى بن موسى بن قسى - سالف الذكر -- الذي ولي في عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط على تطيلة وأرنيط (من أعمال الثغر الأعلى) ، بينما تولى ابنه لب حكم برجه، أما ابنه الآخر فرتون فكان سنداً لوالده موسى بالثغر الأعلى ، ثم خلفه في رياسة الثغر عقب وفاته في سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م، وقد أعلن بنو قسى التمرد والاستقلال بالثغر الأعلى في معظم فترات عصر الإمارة الأموية، إلى أن قضى الخليفة عبد الرحمن الناصر علي نفوذهم تماماً في أوائل عهده.

انظر التفاصيل عنهم في : (ابن حيان ، قطعة من المقتبس تحقيق ، محمود مكي، ص ٣١٥، ٤٠٣ - ٤٠٥هـ١؛ ابن خلدون ،العبر، ج٤، ص ١٢٩؛ كمال أبو مصطفى، المولدون في منطقة الثغر الأعلى ص٤٥٨ وما يليها.)

(٢) انظر ابن الأثير، نفسه،ج٦، ص ٨٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١،ص ٣٣٠؛

Levi- Provencal, Histoire, t 1,P.148, N.,1& Aguado Bleye, Manual de historia de Espana,t,1,p. 479,

وأيضاً : عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم ،ص ٢٠٤؛ عنان، دولة الإسلام، ق١، ص ٢٥٥ - ٢٥٦؛ كمال أبو مصطفى ، المولدون في منطقة الثغر الأعلى ص ٤٥٨، ص ٤٩٤هـ٤٠).

٨٥٢ - ٨٨٦م)

سياسة والده في الاهتمام بالثغور، فأمر ببناء حصن إستيرش لتخزين مؤن وغلال مدينة سالم بالثغر الأوسط ، كما بنى لأهل ثغر طليطلة عدة حصون بمنطقة الثغر الأوسط، لحمايتهم من غارات النصارى، ومن ذلك حصن طلمنكة ومجريط وبنه فراطه، ويضيف ابن حيان أنه (أي الأمير محمد) كان شديد الاستخبار عن الثغور والتطلع إلى ما يحدث فيها، وإرسال الثقات للبحث عن مصالحها..»(١).

وقد أسند الأمير محمد ولاية وادي الحجارة (مدينة الفرج) إلى إزراق بن منتيل بن سالم، أحد أفراد بني سالم المعروفين بالولاء للأمويين ، وكان إزراق هذا يمثل عقبة أمام أطماع موسى بن موسى بن قسي المولد، الذي كان يتطلع إلى مد نفوذه إلى الثغر الأوسط، ولذلك قام بمصاهرة إزراق بن سالم، بأن زوجه من ابنته«طمعاً في الاشتمال عليه» ، وكسبه إلى جانبه في صراعه ضد السلطة الأموية المركزية بقرطبة، غير أن ذلك لم يغير من سياسة إزراق تجاه الأمويين، إذ ظل على الطاعة موالياً للأمير محمد، ولم يتردد في زيارته بقرطبة لتجديد الولاء له، فلما علم موسى القسوى بذلك حشد قواته، واتجه إلى وادي الحجارة وحاصرها، فخرج إليه إزراق واشتبك معه في معركة عنيفة انتهت بهزيمة ابن قسي، وانسحابه إلى قاعدته تطيلة (بالثغر الأعلى) جريحاً،حيث مات في طريقه في سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م. (٢)

ومن المرجح أن قوات الثغر الأوسط ساهمت في العديد من الحملات في عهد

---

(١) انظر . ابن حيان المقتبس، تحقيق محمود مكي، ص ١٣٢؛ عنان ، نفس المرجع السابق، ط١، ص ٣١١.

(٢) ابن القوطية، نفسه، ص ١١١ - ١١٢؛ ابن حيان، نفسه، تحقيق محمود مكي، ص ٣١٥ - ٣١٨؛ العذرى، ترصيع الأخبار، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مدريد سنة ١٩٦٥، ص ٣٠ - ٣١؛ ابن عذارى نفسه، ج٢، ص ٩٧؛

Levi - Provencal, Histoire, t. 1, PP. - 222&, AFiF Turk,El reino de Zaragoza, P. 14 .

الأمير محمد، ومن ذلك الحملة التي قادها المنذر (وقيل أخوه عبد الرحمن بن الأمير محمد في سنة ٢٥١هـ/ ٨٦٥م المعروفة بغزوة ألبة والقلاع، فقد تقدم بقواته حتى وصل إلى نهر دويرة، وتوالت عليه الحشود من كل ناحية فرتبها، ثم زحف إلى أراضي ألبة والقلاع، وانتصر على النصارى في موقعة تسمى فج المركويز ، كما خرب حصونهم بتلك المنطقة، والتي كانت تهدد أراضي المسلمين بالثغر الأوسط. [١]

ويزودنا ابن حيان بنص مهم يتضمن ما يشير إلى أن أول وال تولى حصن مجريط في عهد الأمير محمد كان يدعى عبيد الله بن سالم، [٢] وهو لاشك ينتمي إلى أسرة بني سالم - سالفة الذكر - التي قامت بدور كبير في تعمير منطقة الثغر الأوسط، واستحداث الكثير، من مدنها وحصونها والنهوض بها، كما أبلت بلاء حسناً في محاربة النصارى الإسبان من جهة، والثائرين على بني أمية من جهة أخرى، ويضيف ابن حيان أن أهل طليطلة ثاروا على زعيمهم مسونه(وهو من رؤس الفتنة) وقبضوا عليه، وأرسلوه منفياً إلى مجريط، فبادر عاملها عبيد الله بن سالم بقتله، وإرسال رأسه إلى الأمير محمد بقرطبة في سنة ٢٥٧هـ/ ٨٧٠ -٨٧١م [٣].

كذلك شارك متطوعة من بربر الثغر الأوسط على الأخص من وادي الحجارة - في حركة ابن القط المرواني[٤] الذي قاد حملة في عهد الأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ - ٣٠٠هـ) لجهاد نصارى ليون (جليقية) وغزو بلادهم، غير أن

---

(١) ابن حيان، نفسه، تحقيق محمود مكي، ص ٣١٩ - ٣٢٠؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص ٩٨ - ٩٩؛ ابن خلدون ، نفسه ، ج٤، ص ١٣١؛ عنان ، نفسه، ق١، ص ٢٩٩.

(٢) ابن حيان، نفسه، تحقيق محمود مكي، ص ٣٢٧.

(٣) ابن حيان ، نفسه، تحقيق محمود مكي، ص ٣٢٦ - ٣٢٧، ص ٦١١هـ ٥٣٧، محمود مكي، مدريد العربية، ص ٨٨ - ٨٩.

(٤) هو أحمد بن معاوية المرواني الداعي المعروف بابن القط (من نسل الأمير هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل) انظر . ابن حزم ، جمهرة، ص ٩٧، وراجع التفاصيل عنه في بحثي: شخصيات مغمورة من البيت الأموي في الأندلس، مجلة كلية الآداب بسوهاج - جامعة أسيوط سنة ١٩٩٣ ، وأيضاً: سحر سالم، تاريخ مدينة بطليوس، ج١، ص ٢٩٨ وما يليها.)

حملته فشلت، ومني بالهزيمة، وقُتل أمام مدينة سمورة (Zamora) في سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠١م [١].

(٣)

الثغر الأوسط في عصر الخلافة الأموية

كانت قواعد الثغر الأوسط من بين الولايات الأولى التي دخلت في طاعة عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر لدين الله (٣٠٠ - ٣٥٠هـ/ ٩١٢ - ٩٦١م) حيث كانت معظم مدن وحصون تلك المنطقة الثغرية تحت حكم أسر عريقة تدين بالولاء لبني أمية منذ عصر الإمارة، ومما يؤكد طاعتهم للأمويين ، اشتراك قوات الثغر في العديد من الحملات الأموية التي قامت بغزو أراضي النصارى الإسبان في بدايات عهد الخليفة الناصر[٢].

ومن أمثلة ذلك: اشتراكهم في الصائفة التي أرسلها عبد الرحمن الناصر إلى قشتالة بقيادة أحمد بن أبي عبدة في سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م لمحاصرة حصن قاشتره مورش (Castro Moros) [٣] إلا أن الحملة منيت بالهزيمة واستشهد

---

(١) أنظر التفاصيل في : ابن حيان، نفسه، تحقيق اسماعيل العربي، ص ١٥٥ - ١٦١؛ ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٦٨ - ٣٦٩؛
Levi - Provencal, Histoire, t,I,P, 270 & Aguado Bleye, op cit, PP. 383 - 385;
عبد الله عنان ، دولة الإسلام، ق ١، ص ٣٤٥.

(٢) انظر. ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص ١٧٠، ١٧٢؛ مؤلف مجهول، مدونة الخليفة عبد الرحمن الناصر، نشر ليفي بروفنسال وغرسيه غومث، مدريد سنة ١٩٥٠، ص ٣١ - ٣٢، ٥٤؛
Levi - Provencal, Histoire, t, II, P. 298 & l' Espagne musulmane auxeme Siecle, , P. 122.

(٣) حصن قاشتره مورش (Castro Moros) ويسمى أيضاً شنت أشتبن San Esteban de Gormaz) : حصن منيع يقع على نهر دويرة، كان نصارى قشتالة يتخذونه قاعدة لشن غاراتهم على أراضي المسلمين المتاخمة لهم بالثغر الأوسط، ويصفه ابن عذارى بأنه «بيضة الكفرة وقاعدتهم والموضع الذي كانوا يتعودوا فيه الاستطالة على من وردهم...» انظر (البيان المغرب، ج٢، ص ١٧٧.

قائدها ابن أبي عبدة. وتضيف المدونات المسيحية أن قوات نصارى جليقية انتهزت فرصة اضطراب جيش المسلمين عقب الهزيمة، وهاجمت الأراضي الإسلامية المتاخمة لهم أي المناطق الشمالية من الثغر الأوسط والممتدة من نهر دويرة وحتى حصن أنتنشيه الإسلامي، وتسببت في قتل أعداد هائلة من المسلمين ، غطت جثثهم نواحي تلك المنطقة على حد قول الرواية المسيحية، بينما رجع أردون الثاني Ordoño II (٣٠٢ - ٣١٢هـ/ ٩١٤ - ٩٢٤م) ملك جليقية إلى بلاده ظافراً[١].

كذلك انضمت قوات الثغر الأوسط إلى جيش الخليفة عبد الرحمن الناصر بقيادة الحاجب بدر بن أحمد أثناء غزوة مطونية (Mitonia) التي انتصر فيها على نصارى جليقية (ليون) في سنة ٣٠٦ هـ/ ٩١٨م وثأر بذلك لقتل القائد أحمد بن أبي عبده، وخرب أراضي النصارى وأحرق زروعهم، ثم عاد إلى قرطبة بعد أن أصلح الثغر وأستألف أهله ... وكثر خيره » [٢].

وكان رد فعل النصارى الإسبان على تلك الغزوة الإسلامية أن أرسل أردون الثاني ملك جليقية جيشه في أوائل سنة ٣٠٨هـ/ ٩٢٠م فأغار على حصن القليعة Alcolea (الواقع شمالي وادي الحجارة) وحاصره النصارى، بهدف الاستيلاء عليه، ولكن قوات الثغر الأوسط بقيادة بني سالم البربر أصحاب وادي الحجارة أسرعت إلى نجدة الحصن الإسلامي، واشتبكت هناك مع جيش النصارى

---

(١) ابن حيان، المقتبس، ج٥، تحقيق بدروشالميتا وكورينطي، ص ١٣٥ - ١٣٦؛ مؤلف مجهول، مدونة الناصر، ص٥٤ -٥٥؛ Levi _Provencal, Histoire, II, PP. 306 - 307; عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين، ص ٢٨٩؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢١٠، عنان، دولة الإسلام، العصر الأول، ق٢، ص ٣٩٤ - ٣٩٥؛ حسين مؤنس ، معالم، ص ٣١٦ - ٣١٧؛ سحر سالم، تاريخ مدينة بطليوس، ج٢، ص ٣١٥.

(٢) انظر. ابن حيان، نفسه، ج٥، تحقيق بدرو شالميتا وكورينطي، ص ١٤٥ - ١٤٦؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص ١٧٢ - ١٧٣ ؛

Levi -Provencal, Histtoire, II, P. 307:

سحر سالم، نفسه، ج٢، ص ٣١٦ - ٣١٧.

في معركة عنيفة، انتهت بانتصار المسلمين،ومقتل وأسر العديد من جند النصارى، وإرسال جملة من رؤوس أكابرهم إلي الحاضرة قرطبة(١).

وتذكر المصادر الإسلامية أن الخليفة الناصر استبشر بهذا الانتصار ، واتجه على الفور بجيشه إلى الثغر الأوسط، فنزل بوادي الحجارة، ونظر في شأن الثغر وتحرى مصالح سكانه، ثم أمر بعزل بني سالم من ولاية وادي الحجارة، بسبب شكوى أهلها منهم، وأسندها إلى الوزير القائد سعيد بن المنذر المرواني (القرشي) الذي اصطحبه الخليفة معه للغزو في بلاد النصارى، وبذلك «صلحت أحوالهم ، وعم الرضا جميعهم ، وخرج للجهاد أكثرهم»(٢).

وعقب ذلك واصل الناصر زحفه شمالاً بد أن انضمت إليه قوات الثغر الأوسط بقيادة سعيد بن المنذر، واتجه لغزو أراضي ألبة والقلاع وهي الغزوة المعروفة بغزوة موريش (Mues) في سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠م ، وفيها انتصر على نصارى جليقية ونبره (بنبلونه) واستولى على بعض حصونهم، وأحرق البعض الآخر، وغنم فيها ، ثم عاد ظافراً من دار الحرب حيث نزل أولاً بحصن أنتنشيه أو انتنسيه بالثغر الأوسط وقضى به يوماً ، قام خلاله بتوزيع الأرزاق والغنائم والكسى على جند الثغر، وأذن لهم بالعودة إلى مواطنهم بعد أن أبلوا في الجهاد ضد النصارى الإسبان في الشمال(٣)

وفي سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٩م أسند الخليفة الناصر ولاية مجريط إلى عبد الله بن

---

(١) ابن حيان، نفسه، ج٥، ص ١٦١؛ ابن عذارى، نفسه،ج٢، ص ١٧٦؛
Levi - Provencal, Histoire, II, P. 308;
حسين مؤنس ، معالم، ص ٣١٧.

(٢) ابن حيان، نفسه، ج٥، ص ١٦٢؛ ابن عذارى، ج٢، ص ١٧٦.

(٣)انظر التفاصيل في : ابن حيان، نفسه،ج٥، ص ١٦٢؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص ١٧٧-١٨٠؛ مؤلف مجهول ، مدونة الناصر، ص ٦٣ - ٦٤؛
Levi - Provencal, Histoire, II, PP. 308 - 309'
عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم، ص ٢٨٩؛ حسين مؤنس ، معالم ، ص ٣١٧ - ٣١٨؛ عنان، نفسه، العصر الأول، ق ٢، ص ٣٩٦ - ٣٩٨؛ سحر سالم، نفسه، ج٢، ص ٣١٧ -٣١٨.

محمد بن عبد الله بن سالم [١] ، حفيد عبد الله بن سالم عامل مجريط في عهد الأمير محمد، وكات أسرته تتوارث حكم العديد من مدن وحصون الثغر الأوسط طوال عصر الإمارة وأوائل عصر الخلافة الأموية كما سبق الذكر .

وتذكر مدونة سامبيرو (Cronicade Sampiro) أن نصارى جليقية بقيادة راميرو الثاني Ramiro II (٣١٩ - ٣٤٠ هـ/ ٩٣١ - ٩٥١م) أقدموا على الإستيلاء على حصن مجريط في سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م. [٢]

والحقيقة أن تلك الرواية المسيحية بعيدة عن الصواب، وتتسم بالمبالغة، ونرجح الرأي القائل بأن ملك جليقية ربما حقق بعض النجاح في غارته تلك وأحدث أضراراً بحصن مجريط وسكانه المسلمين فحسب، وأنه لم يتمكن من الاستيلاء عليه،خاصة وأن المصادر الإسلامية تؤكد بأن الناصر أسند ولاية مجريط لعامل جديد يدعى أحمد بن عبد الله بن يحيى الليثي في سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٧م عقب عزل واليها أبي عمر أحمد بن عمر، الذي استبسل في محاربة قوات راميرو الثاني عند هجومها على حصن مجريط ، وتمكن من صدهم في سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م، وتضيف الرواية الإسلامية بأن أحمد بن عبد الله الليثي - والي مجريط الجديد- لم يلبث أن استشهد في إحدى غزواته ببلاد النصارى في السنة التالية (أي سنة ٣٢٥هـ) [٣] والتي تعتبر انتقاماً للغارة النصرانية على مجريط، فيذكر ابن الأبار أن أحمد بن عبد الله الليثي خرج في سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٦م

---

(١) المقتبس، ج٥، ص ٢٥؛ مؤلف مجهول، نفسه، ص ٨٤؛ محمود مكي، مدريد العربية، ص ٩٠ - ٩١؛ Oliver Asin, Historia de nombre de Madrid, Madrid, 1958 PP.149 - 150 & Manuel Montero, Madrid, PP. 2 - 3.

(٢) انظر : Levi - Provencal, Histoire, t, II, P. 316.

(٣) انظر: المقتبس،ج٥، ص ٤١٧؛ ابن الأبار، التكملة، ج١، طبعة عزت العطار الحسيني، القاهرة سنة ١٩٥٦، ص ١٢ ترجمة رقم ١١؛
Levi - Provencal, Histoire, II, P. 3316, N, 1 ;
مكي، نفسه، ص ٩١؛عنان،دولة الإسلام،ق٢،ص٤٠٧؛ سحر سالم، نفسه، ج٢،ص٣٢٣.

(والأرجح في سنة ٣٢٥هـ وفقاً لابن حيان) [١] واقتحم أراضي النصارى بجليقية وشن غارة عليها ، ورجع غانماً، ولكن اعترضه في طريق عودته إلى مجريط كمين من فرسان النصارى، فاجأه، وانتهى الأمر باستشهاده هو وسبعة عشر من أتباعه واضطر بقية جنده إلى التحصن بقلعة طلمنكة القريبة حيث قاموا بدفن قائدهم[٢].

وفي نفس العام (٣٢٤هـ/٩٣٥ - ٩٣٦م) اقتحمت جيوشه الثغر الأوسط الأراضي المسيحية المواجهة لهم، وهاجموا بلاد ألبه والقلاع ، ودارت هناك معركة انتهت بانتصار مسلمي الثغر الأوسط ومقتل العديد من النصارى وعلى رأسهم قائدهم رذمير القومس (El Conde Ramiro) [٣].

ونتيجة لتلك الحوادث التي شهدها الثغر الأوسط في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، بدأ الخليفة يخص تلك المنطقة باهتمامه، فنزل بوادي الحجارة عدة أيام ،وهو في طريقه إلى سرقسطة، وأسند قيادة الثغر الأوسط إلى الفتى الصقلبي دري بن عبد الرحمن في سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦ - ٩٣٧م، وأمره بالعناية بتلك المنطقة الثغرية، وحراسة دروبها ، كما قام بشحنها بالجند والعتاد والمؤن ، وأحكم بنيان ما وهي من حصونها وأبراجها ، «وأضحت ثغور المسلمين محصنة موفورة يتعدها كل حين بنظره.» [٤] .

كذلك أعاد الخليفة الناصر في سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م بناء وتعمير مدينة سالم

---

(١) جدير بالملاحظة أن ابن الأبار يذكر أن استشهاد الليثي عامل مجريط حدث في سنة ٣٢٤هـ (التكملة، ج١، ص ١٢) بينما يحدد ابن حيان ذلك بعام ٣٢٥هـ وأرجع رواية ابن حيان خاصة وأن الليثي لم تسند إليه ولاية مجريط إلا في سنة ٣٢٥هـ عقب عزل واليها ابن عمر . انظر (المقتبس، ج٥ ،ص ٤١٧).

(٢) ابن الأبار، التكملة ، ص ١٢ ترجمة رقم ١١؛ محمود مكي، نفسه، ص ٩٢.

(٣) المقتبس، ج٥، ص ٣٨١.

(٤) انظر. ابن حيان، نفسه، ج٥، ص ٣٩٥، ٤٥٥ - ٤٥٦.

وتحصينها، وولي عليها القائد غالب ، وجعلها قاعدة للثغر الأوسط المواجهة لإمارة قشتالة الناشئة، ومركزاً لعملياته الحربية في الشمال ، ومن المرجح أن هذه المدينة أصابها الإهمال والتخريب خلال الفتنة التي اشتملت معظم جهات الأندلس في عهد الأمير عبد الله بن محمد، مما دفع الخليفة الناصر إلى توجيه مولاه القائد غالب لتعميرها في جيش أرسله معه من الحاضرة قرطبة، وكتب إلى قادة الثغر الأوسط يأمرهم بالاجتماع مع القائد غالب لبنيانها ، فأسرعوا إلى تلبية أمره «وبينت أحسن بناء ، ونقل إليها البناؤون من بلاد الثغر للاختطاط لديارها والرباط بها ، فتم ذلك في صفر من هذه السنة (٣٣٥هـ)، واطمأنت الدار بمن نزل بها من المسلمين، واكتمل بناؤها وعمرانها علي مرور الأيام [١].

وقد أسهمت تلك التحصينات التي قام بها الخليفة الناصر في منطقة الثغر الأوسط في دعم القوة الدفاعية للثغر وأضحى أشد خطورة على الإمارات المسيحية المتاخمة في الشمال، فيذكر ابن عذارى أن قادة الثغر الأوسط وعلى رأسهم القائد غالب اقتحموا أراضي النصارى الإسبان من جهة قشتالة في سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م ، وقصدوا أحد حصون تلك المنطقة، وتغلبوا على أرباضه، وأنزلوا الهزيمة بالنصارى ، وقتلوا أعداداً منهم ، وفي أثناء ذلك هاجمتهم حشود ضخمة من النصارى ودارت بين الطرفين موقعة أسفرت عن انتصار المسلمين، ومتقل عدة آلاف من النصارى أرسلت رؤوسهم إلى الحاضرة قرطبة، فأمر الخليفة

---

(١) ابن عذارى ، نفسه ج٢، ص ٢١٣؛ ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، تحقيق مختار العبادي، ص ٦٠؛

Levi - Provencal, Histoire, II, P. 323;

مؤنس ، معالم، ص ٣٢٠؛ مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٢٢ - ٢٢٣؛ عنان، نفسه، ق٢، ص ٤٢٢ - ٤٢٣؛ حمدي عبد المنعم، غالب الناصري، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية، سنة ١٩٨٩،ص١٢- ١٣.

الناصر «برفعها على الخشب حوالي سور قرطبة..»[١].

وعندما اعتلى الحكم المستنصر بن الناصر دست الخلافة في سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م أقر القائد غالب بن عبد الرحمن الناصري على قيادة الثغر الأوسط، وولاية مدينة سالم، وعهد إليه بحماية تلك المنطقة الثغرية، [٢] التي تولت حكم مدنها وحصونها أسر بربرية اشتهرت بالكفاءة الحربية ومنهم بنو عمريل وبنو قنه وبنو أبي الأخطل وبنو أبي أدهم وبنو غزلون وبنو رزين وبنو وهب وبنو هذيل، وكانوا جميعاً يعملون تحت قيادة غالب الناصري صاحب مدينة سالم [٣].

ومن مظاهر اهتمام الخليفة الحكم المستنصر بالثغور أنه كان يبعث إليها

---

(١) انظر ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص ٢١٩ - ٢٠٠؛

Levi - Provencal, L' Espagne musulmane au Xeme Siecle,p. 122 & Bosch vila, Historia de Albarracin, t, II, teruel, 1959 P.64, N. 46;

كمال أبو مصطفى، بنورزين، مجلة كلية الآداب - جامعة الاسكندرية سنة ١٩٨٧، ص ٢٠٧.

(٢) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص ٢٤١، ٢٦٥؛ المقري ، نفح الطيب، ج١، ص ٣٧٢؛

Levi - Provencal, Histoire, t, II, P. 394 ;

حسين مؤنس ، معالم، ص ٣٣٥؛ عبد الله عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص ٥١٢؛ حمدي عبد المنعم ، غالب الناصري، ص ١١.

(٣) ابن حيان، نفسه، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص ١٨٨، ٢٠٣؛ ابن حزم، جمهرة ، ص ٤٩٩ - ٥٠٠؛

Codera, Campana de Gormoz, en estudios criticos, Madrid, 1917 PP. 225 - 226 & Guichard, Al - Andalus, Barcelona, 1976, PP.396 - 397.

وجدير بالذكر أن الأمويين في عهد الناصر وابنه المستنصر اتبعوا نظام الإقطاع العسكري، أي إقطاع الثغور للقادة وتوارثها في أسرهم مقابل خدماتهم الحربية ، ومما يدل على ذلك قول ابن حيان أن الخليفة الناصر قلد مدن الثغر الأعلى «المانعة الدروب على أكابر ساكنيها ووراثها عن الأجداد والآباء صلاة البأس ومعاودي المراس .... وقد أسهمت تلك السياسة الحكيمة في تعمير مناطق الثغور، وتوفير الأمن والطمأنينة لسكانها، انظر (المقتبس، ج٥، ص ٤٤٧؛

Guichard, O. Cit, P. 398.

وراجع أيضاً: عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، بيروت سنة ١٩٨٣، ص ١٤١وما يليها، أحمد الطاهري عامة قرطبة في عصر الخلافة ، الرباط سنة ١٩٨٨، ص ٦١؛ كمال أبو مصطفى، بنو رزين، ص ٢٠٩)

بالأمناء لتفقدها ومعرفة أحوال الرعية بها لئلا يجحف بهم العمال، كما كان يحث ولاته على الرفق بأهل الثغور وحسن معاملتهم ، لخطورة موقع بلادهم في مواجهة النصارى الإسبان[١]. كذلك كان المستنصر يبعث بالرسائل من حيث إلى آخر إلى جميع القادة بالثغور» يأمرهم بارتباط الخيل والقيام عليها، والاستعداد بالعدد والأسلحة والآلات برسم الجهاد في سبيل الله» [٢].

ومما يدل على المكانة الرفيعة التي تمتع بها القائد غالب صاحب مدينة سالم وقائد الثغر الأوسط في عهد المستنصر - أنه، كان يتلقى أغلب الأحيان ملوك إسبانيا المسيحية الذين كانوا يفدون للقاء الخليفة المستنصر فيصطحبهم من قاعدته مدينة سالم حتى الحاضرة الأموية قرطبة[٣].

وقد قام القائد غالب بالعديد من الأعمال الحربية أثناء قيادته للثغر الأسط في عهد المستنصر ومن ذلك : انتصاره على القشتاليين بقيادة فردلند أي الكونت فرنان جونثالث (Fernan Gonzales) في سنة ٣٥٢هـ / ٩٦٢ - ٩٦٣م) واجتياح أراضيه والاستيلاء على قلعة شنت أشتبن (San ESteban) أو قاشتره مورش - الحصينة وإرغامه فرد لند على طلب الصلح مع المسلمين[٤].

كذلك قام غالب بفتح حصن قلهرة (Calahorra) ببلاد البشكنس (مملكة

---

(١) ابن حيان، نفسه، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص ١٠٤ - ١٠٥ ؛ مؤلف مجهول، ، ذكر بلاد الأندلس، ج٢١ ص ١٧١.

(٢) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص ٢٣٥، ٢٣٨؛ مؤلف مجهول ، نفسه، ج١، ص ١٧٢؛ حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص ٣٣٦ .

(٣) المقري، نفسه، ج١، ص ٣٦٧ ، ٣٧٢؛ عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج١، بيروت سنة ١٩٧١، ص ٧١ - ٧٢؛ عبد الله عنان، نفس المرجع السابق، العصر الأول، ق٢، ص ٤٨٤ - ٤٨٥ .

(٤) انظر: ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص ٢٣٦؛ المقري، نفسه، ج١، ص ٣٦٦؛
Levi - Provencal, Histoire, T, II, P. 398 - 399;
عنان، نفسه، ق٢، ص ٤٨٦؛ سحر سالم، تاريخ مدينة بطليوس ، ج٢، ص ٣٣٢.

نبرة Navarra) وعمرها ، كما زحف بصحبة بعض قادة الثغر إلى منطقة ألبة (Alava) وأقدموا على تخريبها في سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م، وأعادوا بناء حصن غرماج (Gormas)ثغر مدينة سالم، على مشارف إمارة قشتالة، كان النصارى قد خربوه قبل ذلك بعدة سنوات[١].

وشهدت منطقة الثغر الأوسط في عهد الخليفة المستنصر بالله صراعاً عنيفاً بين المسلمين ونصارى قشتالة حول الحصون الإسلامية الواقعة في أقصى شمال الثغر الأوسط، فتذكر المصادر أن غرسيه بن فرولند (Garcia Fernandez) صاحب قشتالة (تولى حوالي سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) استغل فرصة رحيل القائد غالب بمعظم جيشه عن الثغر الأوسط في سنة ٣٦٢هـ ٩٧٣م لمحاربة الحسن بن قنون الحسني بالعدوة المغربية ، وفاجأ حصن دسه Deza الإسلامي بالهجوم، ناكثاً بذلك عهد الصلح، كما هاجم حصون وأراضي بني عمريل البربر في ذي الحجة سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٤م، ولم يتردد في تخريبها ، كما أحرق الزروع، ونهب الماشية، غير أن أبناء القائد عمريل وعلي رأسهم زروال ومضا وأتباعهما تصدوا له وتمكن المسلمون من إنقاذ الماشية، وقتل عدد من القشتاليين، بيد أن النصارى كمنوا لهم بقوة كبيرة من الفرسان، وشنوا هجوماً مفاجئاً ، ودارت معركة بين الطرفين في موقع يعرف بفحص البركة» (Alboreca) قرب حصن مضا (من عمل بني عمريل) أصيب خلالها زروال بجروح خطيرة أودت بحياته[٢]

وتشير إحدى الروايات المسيحية إلى أن القائد مضا بن عمريل هو الذي قتل في المعركة[١]، ولكننا نرجح رواية ابن حيان - سالفة الذكر - التي أخذ بها

---

(١) انظر ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٤٥؛ المقري، نفسه، ج١، ص ٣٦٦، ص ٣٦٧؛
Antonio Gayo Nuño, Gormaz, P. 433:
حمدي عبد المنعم، غالب الناصري، ص ١٧ .
(٢) ابن حيان، نفسه، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص ١٨٨ - ١٨٩؛
Codera, EmbaJadores de Castilla, en estudios Criticos, PP. 208 -209, levi - Provencal, Histoire, II, P. 401 & |Aguado BLeye, op. cit, P. 493.
عنان ، نفسه، ق٢، ص ٤٩٩ - ٥٠٠ .

أيضاً د. الحجي والتي تؤكد أن المقتول هو زروال، ونستدل على ذلك أيضاً مما ذكره ابن حيان في حواد السنة التالية (سنة ٣٦٤هـ) بأن الخليفة المستنصر عقد السجلات لقادة الثغر الأوسط بولاية أوطانهم ومنهم خالد بن زروال ، الذي خلف والده في ولاية الحصون التابعة له(٢).

ولعل إخلاص بني عمريل لحكومة قرطبة واستبسالهم في الذود عن حصونهم بالثغر، كان سبباً في حرص الخليفة المستنصر على مكافأتهم ، فكان يغمرهم بالصلات والخلع، ويقلدهم عمل والدهم عمريل عقب وفاته،ويقسم الحصون بينهم في تلك المنطقة الشمالية من الثغر الأوسط، خاصة وأن القائد الأعلى غالب بعث إلى الخليفة يشهد ببأسهم وحزمهم وحسن طاعتهم(٣).

ولم يلبث النصارى الإسبان أن نقضوا العهد مرة أخرى، وقاموا بهجوم علي حصن غرماج في أوائل شعبان سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م، واشتركت في هذا الهجوم جيوش من قشتالة وجليقية والبشكنس، حاصرت الحصن حصاراً شديداً ، وتصدت الحامية الإسلامية بالحصن لهجوم النصارى، وأنزلت بهم الهزيمة، وقتلوا أعداداً كبيرة منهم، بينما ولي معظمهم الأدبار، وغنم المسلمون معسكرهم قرب الحصن، في الوقت الذي وصل فيه القائد غالب على رأس مدد من الحاضرة قرطبة إلى مشارف الحصن، فبلغه انتصار حامية غرماج الإسلامية على النصارى، فبعث برسالة إلى الخليفة المستنصر في أوائل ذي القعدة (٣٦٤هـ)

---

(١) انظر .Codera, Embajadores de castilla, P. 209

(٢) المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٢٠٣.

(٣) المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٧٣، ٧٥ - ٧٦؛
Codera, op. cit, pp. 220 - 222.

يبشره فيها بهذا الفتح العظيم[١].

وعقب ذلك قام غالب بإصلاح أحوال أهل غرماج وحاميتها، ثم بادر بمهاجمة الأراضي القشتالية انتقاماً لغدرهم بالمسلمين، ونقضهم الصلح، فاقتحم بلادهم وعاث فيها نهباً وتخريباً، وقتل من ظفر به من النصارى، كما استولى على زروع حصن شنت أشتبن، وعاد سالماً غانماً، وقرئ كتاب الفتح الذي بعث به إلى الخليفة بجامعي قرطبة والزهراء يوم الجمعة ٤ ذي القعدة سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م[٢].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن إحدى الروايات المسيحية تذكر بأن حصن غرماج سقط في أيدي نصارى قشتالة في سنة ٣٦٤هـ ٩٧٥م بعد حصار شديد، والحقيقة أن تلك الرواية يجانبها الصواب، ولا تتسم بالحيدة، خاصة وأن معظم الحوليات المسيحية أجمعت على أن سقوط غرماج (Gormaz) والحصون الأخرى المجاورة الواقعة بوادي دويرة مثل وخشمة (Osma) وبرلنقة (Berlanga) في أيدي القشتاليين تم في عصر الفتنة القرطبية أي في أوائل القرن ٥هـ/ ١١م[٣].

وعقب وفاة الحكم المستنصر وتولية إبنه هشام المؤيد الخلافة في سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م بدأت أوضاع الثغور الأندلسية في التدهور، بسبب صغر سنه وإهماله الغزو والجهاد، مما شجع ممالك إسبانيا المسيحية في الشمال على التطاول على ثغور المسلمين ومهاجمتها، فسبوا وغنموا منها الكثير، وساعدهم على ذلك أيضاً أن الحاجب جعفر الصحفي أساء معاملة منافسه القائد غالب صاحب مدينة سالم وقائد الثغور لينفرد بالنفوذ في الدولة، في الوقت الذي شُغل فيه غالب بتحصين قاعدته مدينة سالم، وإغفاله تجهيز الحملات للغزو في بلاد النصارى[٤].

---

(١) انظر: المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، ص ٢١٩ - ٢٢٨ ، ٢٣٢ - ٢٣٥، ابن عذارى ، نفسه، ج٢، ص ٢٧٠؛

Codera, Campaña de Gormaz, PP. 230 - 264 & Levi - Provncal, Histoire, II, P. 402:

وأيضاً العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٣٨؛ عنان ، دولة الإسلام، ق٢، ص ٥٠١ - ٥٠٢.

(٢) المقتبس، تحقيق الحجي، ص ٢٣٦ - ٢٣٧؛

Codera, Campaña de Gormaz . PP. 247 - 255.

عنان، نفسه، ق٢، ص ٥٠٢

(٣) انظر: Antonio Gayo Nuño, Gormaz, PP. 434 - 435

(٤) انظر ابن بسام،الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق٤، مجلد١، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٩، ص ٦٢؛ ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص ٢٦٤؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص ١٧٦، ١٧٩؛ المقري ، نفح الطيب، ج١، ص ٣٨٣؛

Levi - Provencal, Histoire, t, II, P. 418,

عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص ٣٢٧.

ونتيجة لذلك ساءت أحوال الثغور، وقدمت وفود من أهلها إلى الحاضرة قرطبة يشكون ما حل بهم على أيدي النصارى ،وعز ذلك على محمد بن أبي عامر (المنصور) وعرض نفسه علي الحاجب جعفر لمصحفي للقيام بجهاد العدو، فبعثه الخليفة هشام المؤيد بمشورة حاجبه المصحفي إلى الثغور[١].

وتذكر المصادر أن محمد بن أبي عامر اجتمع بجيشه مع القائد غالب بحصن مجريط في سنة ٣٦٦هـ واخترقا أراضي قشتالة، وتمكنا من فتح حصن موله Mola [٢].

وكان لجيش الثغر الأوسط وقائده غالب الفضل الأعظم في هذا الإنتصار، ولكنه نسب ذلك إلى ابن أبي عامر، مما ساعد على علو شأنه، وعقب ذلك عاد القائد غالب بالسبي والغنائم إلى مدينة سالم بعد أن توثق التحالف بينه وبين أبي أبي عامر عن طريق المصاهرة، واتفقا علي التخلص من منافسهما الحاجب جعفر المصحفي[٣].

وتمكن محمد بن أبي عامر من التخلص من المصحفي، بمساعدة القائد غالب الذي أصبح يحقد على ابن أبي عامر لاستبداده بأمور الدولة،وحجره على الخليفة

---

(١) ابن بسام، نفسه، ق٤، مجلد١، ص ٦٢؛ مؤلف مجهول، نفسه، ج١ ص ١٧٩؛ عبد العزيز سالم، نفسه، ص ٣٢٧.

(٢) حصن موله (بالإسبانية Mola) : من حصون إمارة قشتالة، ويذكر ليفي بروفنسال أنه لم يتمكن من تحديد موقعه بدقه ، وإن كان يرى أنه من القلاع المسيحية في السفوح الجنوبية لجبال وادي الرمل (جبال الشارات) ،غير أن الباحث الإسباني أوليفر آسين Oliver Asin يعتقد أن الأقرب إلى الصواب أن يكون الحصن هو المسمى الآن La Muela على مقربة من سرية Soria.

انظر (Levi - Provencal, Histoire, II, P 420,

مكي ، مدريد العربية، ص ٩٢ هـ١ ؛ عنان ، نفسه، ق٢، ص ٥٢٨).

(٣) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص ٢٦٥؛

Levi - Provencal, Histoire, t. II, P 420.

عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص ٣٢٩؛ مكي، مدريد، ص ٩٢ - ٩٣؛ مؤنس ، معالم، ص ٣٤١؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص ٥٢٨؛ حمدي عبد المنعم، غالب الناصري، ص ٤٣.

هشام المؤيد ، فاضمر له غالب الشر، وعزم على التخلص منه عن طريق الخديعة والحيلة، بأن دعاه في إحدى غزواته - وقد حلّ بظاهر حصن أنتنشيه بالثغر الأوسط - إلى وليمة أعدها له ، فلما صعد الحصن في قله من أتباعه انفرد به غالب وأخذ في معاتبته، ولم يلبث أن كر عليه فجأة بسيفه، فأصابه بجراح، ولكن أبي عامر تمكن من الفرار، والنجاة بنفسه، واتجه إلى مدينة سالم، واستولى عليها بمساعدة كاتب القائد غالب، ثم عاد إلى الحاضرة قرطبة، بينما تحصن غالب بحصن أنتنشيه ،وانتهى الصراع بينهما بمقتل القائد غالب عند حصن شنت بجنت (San Vicente) قرب أنتنشيه في سنة ٣٧١ هـ/ ٩٨١م [١] .

وقام الحاجب المنصور بن أبي عامر بإسناد ولاية مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط إلى قند الفتى ، ورفعه إلى مرتبة الوزارة، وكان قند هذا من فتيان القائد غالب [٢]، ولمع نجمه في عهد الحاجب المنصور ، حيث قام على رأس جيش الثغر الأوسط بغزوة مظفرة في أراضي قشتالة في سنة ٣٨٤هـ /٩٩٤م ، عندما علم بنوايا غرسيه Garcia Fernandez صاحب قشتالة في مهاجمة أراضي المسلمين بالثغر الأوسط، وتمكن قند الفتى من الانتصار عليه، وغنم وسبي وقتل الكثير من النصارى، ، كما أسر غرسيه الذي سيق جريحاً إلى مدينة سالم، ولم يلبث أن توفي متأثراً بجراحه[٣].

وجدير بالملاحظة أن مدينة سالم - خلال صراع الحاجب لمنصور مع الممالك المسيحية في الشمال - كانت القاعدة الرئيسية لأعماله العسكرية، ومحطة لإراحة جيش المنصور، سواء كان قادماً من قرطبة للغزو أو منصرفاً من غزواته

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٢، ص ٢٧٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ق٢، ص ٧١ - ٧٤؛
Levi - Provencal, Histoire, II, P. 428.
عبد العزيز سالم، نفسه، ص ٣٣٣؛ حسين مؤنس، نفسه، ص ٣٤٢؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٢)ابن حيان ، نفسه، تحقيق الحجي، ص ١٤١؛ ابن بسام،نفسه، ق٣ مجلد ١، ص ٤٥.

(٣) ابن بسام، نفسه، ق٤، مجلد ١، ص ٤٥ ؛
Aguado Bleye, op. cit, t. 1, P. 494.

بأراضي قشتالة وجليقية[١].

ولعل ذلك يفسر لنا سبب اهتمام المنصور بثغر مدينة سالم، وحرصه على تحصينه وتعميره، فيذكر ابن الخطيب أنه قام باستكمال بنيان مدينة سالم، «وأقامها في نحر العدو»، كما شيد بها قصراً حصيناً، دفن بصحنه عند وفاته في سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م[٢].

وبعد وفاة المنصور بدأ ميزان القوى يتحول تدريجياً لصالح النصارى الإسبان، فانتهزوا فرصة انشغال ابنه الحاجب المظفر بن الملك بن أبي عامر بتدعيم سلطانه في الحاضرة قرطبة وتمهيد أمور الدولة ، وأخذوا يشنون الغارات على المناطق الشمالية من الثغر الأوسط المتاخمة لحدودهم ،وهنا بدأ المظفر يتنبه لخطرهم، ويولي الثغر اهتمامه، فأسند لواضح الفتى ولاية مدينة سالم وقيادة جيوشه بالثغر ، وقام واضح بدوره بعقد صلح و هدنة مؤقتة مع شانجه بن غرسيه Sancho Garcia صاحب قشتالة في سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م، ريثما تستقر الأمور للحاجب المظفر عبد الملك بن المنصور العامري[٣].

وقد ساهم واضح الفتى مع قوات الثغر الأوسط في العديد من غزوات المظفر إلى أراضي الممالك الإسبانية المسيحية في الشمال[٤]، ومن ذلك غزوته إلى إمارة برشلونة الفرنجية، التي فتح خلالها حصن مدنيش (Madanish) وحصن ممقصر (Monmagastre) بثغر برشلونه الفرنجي – عنوة، وأسكنه بالمسلمين،

---

(١) ابن الخطيب أعمال الأعلام، ق٢، ص ٧٩؛
Levi - Provencal, Histoire, II, PP. 439, 443, 445

(٢) انظر ابن بسام، نفسه، ق٤، مجلد١، ص ٧٤ ٧٥؛ ابن الأثير،نفسه، ج٨، ص ٢٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ق٢، ص ٩٣؛ الإحاطة، مجلد٢، ص ١٠٧؛ Levi - Provencal, op. cit, II,P. 447;
سالم ، تاريخ المسلمين، ص ٣٣٥؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٦٦؛ مؤنس، معالم، ٣٥١؛ عنان، نفسه، ق٢، ص ٥٦٦ .

(٣) انظر ابن بسام، الذخيرة، ق٤، مجلد١، ص ٤٨؛
Aguado Bleye, op. cit, t, 1-P. 49;
إبراهيم عبد المنعم سلامه، الأندلس بين سقوط الدولة العامرية ونهاية الخلافة الأموية، رسالة ماجستير غير منشورة نوقشت بآداب الاسكندرية، سنة ١٩٩٣، ص ٧٩ .

(٤) ابن بسام، نفسه، ق٤، مجلد١، ص ٨٦.

وذلك في سنة ٣٩٣هـ/ ٣ ١م[١] كذلك اشترك واضح وقواته في غزوة أخرى للمظفر في سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م، والتي اتجه فيها الجيش الإسلامي إلى مدينة سمورة Zamora النصرانية وعاثوا فيها، وقتلوا العديد من النصارى، كما اقتحموا أملاك بني غومس[٢](Gomez) أصحاب كريون Carrion وأبلي واضح في تلك الغزوة بلاءً حسناً[٣]

(٤)

الثغر الأوسط في عصر الفتنة القرطبية

كانت منطقة الثغر الأوسط لكثير من الوقائع التي شهدتها الأندلس خلال فترة الفتنة القرطبية، التي اندلعت نيرانها في أوائل القرن ٥هـ/ ١١م، حيث كانت تلك المنطقة من أكثر مناطق الأندلس بعد الحاضرة قرطبة - تأثراً بحوادث الفتنة القرطبية المدمرة، التي أنهكت قوى المسلمين، وأدت إلى تدهور الأوضاع في جميع الثغور، وساعدت بالتالي على إضعاف دولة الإسلام في الأندلس.

ففي أعقاب مقتل شنجول بن المنصور بن ابن عامر وتولى محمد بن هشام ابن عبد الجبار المهدي الخلافة بقرطبة في سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٩م، بعث واضح الفتى صاحب مدينة سالم برسالة إلى المهدي أوضح له فيها دخوله في طاعته، وسروره بمقتل شنجول، فرد عليه المهدي بالشكر، وأرسل إليه أموالاً وهدايا، وأسند إليه ولاية جميع الثغور الأندلسية[٤]. وبذل واضح - بدوره - جهوداً

---

(١) ابن عذاري، نفسه، ج٣، ص ٥.

Levi - Provencal, Histoire, II, PP 464 - 465.

سالم، تاريخ المسلمين، ص ٣٣٩ - ٣٤٠؛ العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٦٧؛ عنان، دولة الإسلام، ق٢، ص ٦٠٩ - ٦١١

(٢) بنو غومس: هم أبناء غومس دياث Gomez Diaz أحد زعماء ليون Leon وكان قد تزوج من إبنة فرنان جونثالث Fernan Gonzalez صاحب قشتالة، ثم أصبح هو وأولاده خلفاء له، وكانت أملاكهم في كريون وسالداني وسمورة، انظر (عبد الله عنان، دولة الإسلام، ق٢ ص ٢٦٥ هـ٢)

(٣) ابن عذارى، نفسه، ج٣ ص ١١ - ١٢

Levi - Provencal, Histoire, II, P 644

عنان، نفسه، ق٢، ص ٦١١ - ٦١٢

(٤) انظر ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص ٧٦ - ٧٧؛ عنان، نفسه، ق٢ ص ٦٤٤

(٥) ابن بسام، الذخيرة، ق٢ مجلد ١ ص ٢٧

كبيرة للقضاء على الخارجين عن طاعة المهدي في بداية تولية الخلافة الأموية بقرطبة(٥).

وفي تلك الأثناء كان البربر قد اتصلوا بسليمان بن الحكم بن الناصر الملقب بالمستعين، وبايعوه بالخلافة وتحالفوا معه للقضاء على المهدي، وتمكنوا من الاستيلاء على قلعة رباح (Calatrava)(١) ثم زحفوا نحو وادي الحجارة ، وعندما اقتربوا منها بعث المستعين إلى أهلها يدعوهم إلى الدخول في طاعته، ولكنهم رفضوا، وأرسلوا إلى المهدي بقرطبة كتاب المستعين ، فأثنى على موقفهم وحمد لهم ذلك (٢).

وبدأ واضح يعد العدة لمواجهة البربر عند قاعدته مدينة سالم، فقام بتنظيم صفوفه، ولكنه شكّ في ولاء أربعمائة فارس من قواته ينتمون إلى البربر ، فخشي أن يغدروا به أثناء القتال ، فبادر بالقضاء عليهم، إلا أنهم تنبهوا إلى تدبيره، فأسرعوا بالفرار من جيشه، وانضموا إلى بني جلدتهم البربر، الذين تقووا بهم، وتمكنوا من دخول وادي الحجارة عنوة فأعملوا فيها السلب والنهب واستباحوا أهلها، (٣) ثم اتجهوا إلى مدينة سالم، وعرضوا على واضح أن يتوسط

---

(١) قلعة رباح (Calatrava) : ويطلق عليها الآن (Castillo de Calatrava la Vieja) تقع على ضفة وادي يانه إلى الجنوب من طليطلة ، وكانت في العصر الإسلامي من أعمال كورة جيان، ومن المرجح أن تلك المدينة كانت في بادئ الأمر حصناً ، ينسب إلى بانيه وهو التابعي على بن رباح اللخمي، أحد القادة في جيش موسى بن نصير، راجع (الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص ٥٥٠؛ محمود مكي، مدريد ، ص ١٦؛ حمدي عبد المنعم، التاريخ السياسي لقلعة رباح ، مجلة - كلية الآداب - جامعة الاسكندرية سنة ١٩٩٤م).

(٢) ابن عذارى ، نفسه، ج٣، ص ٨٤؛
Levi - Provencal, Histoire, II, P. 481 & Wasserestein, The rise and fall of the party kings, United Kingdom, 1985, P. 63;
وراجع أيضاً التفاصيل في : إبراهيم عبد المنعم سلامة، نفس المرجع السابق، ص١٨٢.

(٣) ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص٨٤؛ النويري، نهاية الارب،ج٢٣، ص ٤١٩ - ٤٢٠؛
Handler, The Zirids of Granada, Florida, 1974, PP. 18 - 19;
إبراهيم عبد المنعم سلامه، نفس المرجع السابق ، ص ١٨٦.

بينهم وبين الخليفة المهدي لعقد الصلح على أن يكون سليمان المستعين ولياً لعهد من أجل صلاح الرعية، إلا أنه رفض ، ودبر حيلة للقبض على المستعين ، والقيام بهجوم مفاجئ على أتباعه البربر، ولكنه خطة واضح باءت بالفشل بفضل يقظة البربر، الذين اضطروا إلى الإنسحاب من مدينة سالم[1].

ونتج عن تلك الفتنة القرطبية والحروب الأهلية بين المسلمين أن دبّ الضعف في الثغور وساءت أحوالها ، وطمع النصارى الإسبان في الاستيلاء عليها، خاصة وأن كلاً من المهدي والمستعين بعث إلى شانجة بن غرسيه (Sancho Garcia) قومس قشتالة، يعرض عليه تسليمه ما أحب من مدن وحصون الثغر مقابل الصلح والعون الحربي[2]، فانضم شانجة الذي كان من مصلحته إنهاك قوى المسلمين - إلى جانب المستعين والبربر، واشتبكوا مع جيش واضح والمهدي في معركة دارت رحاها قرب قلعة عبد السلام (Alcala de Henares) بوادي شرنبه (Rio Jarama) بالثغر الأوسط في أواخر ذي الحجة سنة ٣٩٩هـ/ أغسطس ١٠٠٩م، انتهت بانتصار المستعين والبربر وحلفائهم نصارى قشتالة، واستيلاء البربر على قلعة عبد السلام الحصينة ، بينما فر واضح إلى مدينة سالم، وتحصن بها، واضطر الخليفة المهدي إلى اللجوء إلى طليطلة ، وتمكن المستعين على إثر ذلك من دخول قرطبة، وبويع بها[3].

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج ٣،ص ٨٥؛

Levi - Provencal, Histoire, II, P 481 & Handler, op. cit, P.19;

إبراهيم عبد المنعم سلامه، نفسه، ص ١٨٦ ١٨٧

(٢) ابن عذارى ، نفسه، ج٣، ص ٨٦؛

Aguado Bleye, op. ct, P 494;

عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص ٣٥؛ سحر سالم، تاريخ مدينة بطليوس، ج٢، ص ٤٣٤؛ ابراهيم عبد المنعم ، نفسه، ص ١٩١

(٣) انظر: ديوان ابن دارج القسطلي، تحقيق محمود مكي، نشر المكتب الإسلامي، ط٢، سنة ١٣٨٩هـ، ص ٤٦، ٢١٤؛ ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص ٨٦ ٨٧؛ مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج١، ص ١ ٢؛

Levi - Provencal, Histoire, II, P 482

عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين، ص ٣٥؛ عنان، نفسه، ق ٢، ص ٦٤٦؛ مكي،مدريد ص ٩٣؛ ابراهيم عبد المنعم ، نفسه، ص ١٩٢؛ أحمد الطاهري، عامة قرطبة في عصر الخلافة الرباط سنة ١٩٨٨، ص ٢٢٩

وعلى الرغم من ذلك فقد استمرت مدن الثغر الأوسط وبقية الثغور الأخرى على طاعتها للمهدي، وأعلنت العصيان على الخليفة المستعين[١] مما دفعه إلى المسير على رأس جيشه إلى طليطلة ومدينة سالم، ودعا أهل تلك المناطق للدخول في طاعته، دون جدوى، ولم يلبث أن عاد إلى قرطبة بعد فشل حملته على الثغر الأوسط، بسبب قلة المؤن وشدة البرد وسوء الأحوال الجوية وذلك في أواخر شعبان سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م. [٢]

وعقب ذلك خرج واضح من مدينة سالم واتجه إلى طرطوشة (Tortosa) وبعث إلى المستعين بقرطبة يتظاهر برغبته في مصالحته والدخول في طاعته على أن يعفيه من الخدمة ويسمح له بسكنى لورقة (بشرق الأندلس) للانقطاع عن الناس والتعبد، وانخدع المستعين بهذا، وكتب إلى واضح «بالنظر في سائر الثغور وجهاد العدو ....»، وكان ذلك في الحقيقة حيلة ودهاء من واضح لكي يطمئن إليه المستعين ويحكم تدبيره ، إذ سرعان ما اتصل برمنده أو برامون بوريل الثالث (Ramon Borrel III) قومس برشلونة (Conde de Barcelona) وأخيه أرمقند صاحب أورخل (Armengol Conde de vrgel) على أن يساعداه حربياً ضد البربر مقابل التخلي للنصارى الفرنج (القطلان) عن مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط[٣].

ويذكر ابن عذارى أنه تنفيذاً للاتفاق قام واضح بإخلاء مدينة سالم من

---

(١) المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة سنة ١٩٦٣، ص ٨٩، ابن الأبار، الحلة السيراء، ج٢،ص ٧؛ ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص ٩٣ .

(٢) ابن عذارى، نفسه،ج٣، ص ٩٣؛

Levi - Provencal, Histoire, II - P. 484:

سالم، نفسه، ص ٣٥٢؛ عنان، نفسه، ق٢، ص ٦٤٧؛ أحمد الطاهري، نفسه، ص ٢٣١.

(٣) ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص ٩٣ - ٩٤؛ النويري، نفسه، ج ٢٣، ص ٤٢٣؛

Levi - Provencal, Histoire, II, P. 484 & Huici Miranda, Historia musulmana de Valencia, t, 1. Valencia. 1967, P. 137'

عبد العزيز سالم، نفسه، ص ٣٥٢؛ عنان نفسه، ق٢، ص ٦٤٧.

سكانها المسلمين، وتسليمها للنصارى الفرنج ، الذين نزلوا بها وحولوا مسجدها الجامع إلى كنيسة ، ونصبوا النواقيس بأعلى صومعته ، وحولوا قبلته، كما اشترطوا بالإضافة إلى ذلك على واضح الفتى شروطاً اقتصادية قاسية منها أن يلتزم لكل رجل منهم دينارين في كل يوم، وما يقوم به من الطعام والشراب، كما يجري على القومس في كل يوم مائة دينار، وأن لهم ما يغنمون من عسكر البربر من مال وسلاح وكراع، وأن تصبح نساء البربر وأموالهم ودماءهم حلالاً لهم، واضطر واضح إلى الرضوخ لكل شروطهم(١).

والحقيقة أن رواية ابن عذارى حول تسليم مدينة سالم لنصارى برشلونة (الفرنج) تفتقر إلى الدقة ويصعب الأخذ بها، إذ لا يعقل - كما يرى الكثير من الباحثين - أن يوافق واضح على تسليم قاعدته الحصينة مدينة سالم إلى نصارى برشلونة مقابل مساعدتهم له في مغامرة حربية قد تبوء بالفشل، كما أن إخلاء المدينة من سكانها المسلمين وتحويل الجامع إلى كنيسة للنصارى من شأنه أن يثير مشاعر المسلمين الدينية ،ويدفعهم إلى معاداة واضح، وفي هذه الحالة سيفقد مساندتهم له في معركته المرتقبة ضد البربر. وعلى هذا فإنني أرجح الرأي الذي يفيد بأن واضحاً تخلى للنصارى فقط عن جزء من مدينة سالم لاتخاذه مقراً مؤقتاً لهم، لتنظيم صفوفهم، وأخذ أهبتهم قبيل الزحف نحو قرطبة لمنازلة البربر والمستعين(٢).

وقد شاركت قوات الثغر الأوسط بقيادة واضح في موقعة عقبة البقر (El Vocar) - شمال قرطبة - ، التي انتصر فيها بمساعدة حلفائه نصارى برشلونة

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص ٩٤؛ النويري، نفسه، ج٢٣، ص ٤٢٣؛
Huici Miranda, op. cit.t, 1, P. 137;
عبد العزيز سالم، نفسه، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ؛ عنان، نفسه، ق٢، ص ٦٤٨؛ ابراهيم عبد المنعم، نفسه، ص ٢٢٠ - ٢٢١

(٢) انظر. Scales, The handing over the Duero Fortresses, Revista al - Qantara, vol, v, Madrid, 1984, P. 114;
إبراهيم عبد المنعم، نفسه، ص ٢٢١ - ٢٢٢.

على جيش المستعين والبربر في شوال سنة ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م، غير أن المهدي وقائده واضح ونصارى برشلونة لم يلبثوا أن منوا بالهزيمة على أيدي البربر في موقعة وادي آره (Guadiaro) المعروف بوادي السقائين قرب رنده (Ronda) في ذي القعدة سنة ٤٠٠ هـ/ منتصف ١٠١٠م[١].

وتزعم واضح أيضاً مؤامرة تستهدف قتل الخليفة المهدي وقد تحقق ذلك بمساعدة الصقالبة في ذي الحجة سنة ٤٠٠ هـ، وتولى إثر ذلك هشام المؤيد الخلافة للمرة الثانية [٢] واضطر هشام هو وحاجبه واضح إلى تسليم نصارى قشتالة العديد من الحصون القوية بوادي دويرة خوفاً من تحالفهم مع البربر فاستولى النصارى بذلك على حصون: شنت أشتبن (San Esteban de Gormaz)، ووخشمة (Osma) وغيرها من الحصون التي بذل الأمويون في عهد الناصر والمستنصر والحاجب المنصور العامري جهوداً مضنية لاستردادها من أيدي النصارى، وتعميرها وتحصينها والحفاظ عليها طوال فترة حكمهم[٣].

وترتب على سقوط تلك الحصون الإسلامية في يد شانجة بن غرسيه (Sancho Garcia) صاحب قشتالة أن اضمحل شأن الثغر الأوسط وأصبح الطريق ممهداً أمام النصارى للزحف نحو وسط الأندلس والاستيلاء على قواعده

---

(١) انظر التفاصيل في : المراكشي،المعجب، ص ٨٩؛ ابن عذارى، نفسه،ج٣، ص ٩٥، ٩٨ - ٩٩؛
Levi - Provencal, Histoire, II, P. 485 & Scales, op. cit, P. 114;
عبد العزيز سالم، نفسه، ص ٣٥٣ - ٣٥٤؛ حسين مؤنس ،معالم، ص ٣٥٧؛ إبراهيم عبد المنعم، نفسه ص ٢٣٠ وما يليها.

(٢) الحميدي، جذوة المقتبس، القاهرة سنة ١٩٦٦، ص ١٩؛ ابن بسام، نفسه، ق١، مجلد١، ص ٤٥، ابن عذارى ، نفسه، ج٣، ص ٩٩ - ١٠٠ ، عبد العزيز سالم ، نفسه، ص ٣٥٤ - ٣٥٥؛ أحمد الطاهري، عامة قرطبة، ص ٢٣٢.

(٣) ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص ١٠٣ - ١٠٤؛ النويري، نفسه، ج٢٣، ص ٤٢٧؛
Levi - Provincal, Histoire, t, II, P. 487, Aguado Bleye, op. cit, p. 494, H. Miranda, op. cit, t, I, P. 137 & Scales, op. cit, p. 116.

وحصونه مثل طليطلة ومجريط ووادي الحجارة ، والتي سقطت في أيدي ألفونسو السادس ملك قشتالة في أواخر عصر دويلات الطوائف.

على أية حال اتسم رد فعل البربر إزاء تولية هشام المؤيد الخلافة بالعنف، إذ زحفوا نحو مدن الثغور وخربوها ، وقتلوا الكثير من أهلها، ولم تسلم منهم سوى طليطلة ومدينة سالم لحصانتها[١]. وبذلك لم تقتصر آثار الفتنة القرطبية المدمرة علي الحاضرة قرطبة بل امتدت لتشمل أيضاً مدن وحصون الثغور، التي كانت تمثل خط الدفاع الأمامي والرئيسي عن قواعد الأندلس الكبرى في الوسط.

وقد أسهمت مجريط أيضاً - وهي من حصون الثغر الأوسط - في تلك الفتنة القرطبية حيث كانت مركزاً لثورة تزعمها غلام الفصيح العطار الذي انتهز فرصة الحروب الأهلية وادعى أنه عبيد الله بن المهدي بن عبد الجبار الأموي، واستطاع أن يموه لفترة قصيرة على أهل مجريط بالثغر الأوسط الذي عرف بولائه للخليفة المهدي، ولذا أعلن مطالبته بالخلافة باعتباره وريثاً لوالده المهدي الذي قتل غدراً على أيد أتباعه[٢].

وعندما ازداد نفوذ غلام العطار ثارعلى الخليفة محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الناصر الملقب بالمستكفي بالله (٤١٤ - ٤١٦هـ/ ١٠٢٤ -١٠٢٥م)، بعد أن ضم إليه العديد من الاتباع من أهل مجريط، ولكنهم سرعان ما اكتشفوا كذبه وزيف شخصيته وأنه لا يمت للبيت الأموي بصلة، ولذلك انفضوا من حوله، وثاروا عليه وقتلوه[٣].

---

(١) ابن عذارى، نفسه، ج٣، ص ١٠٤؛ النويري، نفسه، ج٢٣، ص ٤٢٧.

(٢) ابن حزم، نقط العروس، تحقيق شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة سنة ١٩٥١، ص ٥٨؛ الحميدي، نفسه، ص ٤٤١ ترجمة رقم ٩٨٣؛ محمود مكي مدريد، ص ٩٤ - ٩٥.
Mahmud Makki, Aproposito de la revolucion de ubayd allahb. al - Mahdi en Madrid, Revista del instituto de estudios islamicos, Madrid, 1961 - 1962, PP. 256 - 257.

(٣) ابن حزم، نقط العروس، ص ٥٨ - ٥٩؛
J. Oliver Asin, Historia del nombre de Madrid, PP. 266 - 268'
مكي، مدريد، ص ٩٥ -٩٧؛ ابراهيم عبد المنعم ، نفسه، ص ٣٧٥ - ٣٧٨.

خـاتـمة

يتضح لنا من تلك الدراسة عدة حقائق من أهمها ما يلي:

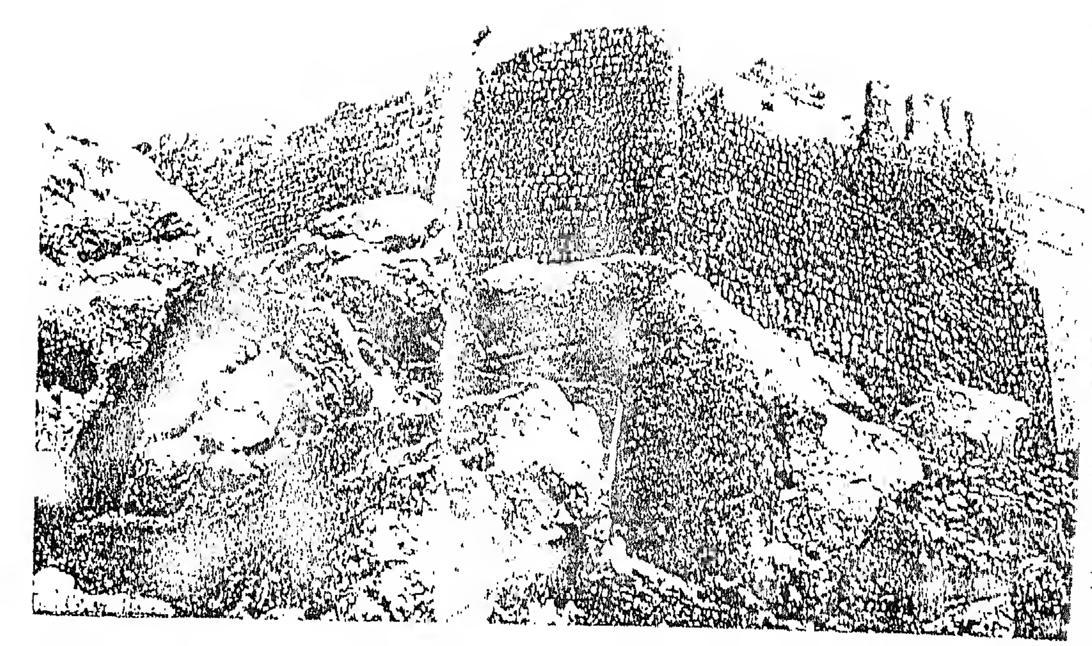
أولاً : أن الأوضاع السياسية والحربية في منطقة الحدود بين المسلمين والنصارى الإسبان في الشمال هي التي دعت الأمويين إلى إنشاء منطقة ثغرية وسطى لمواجهة خطر إمارة قشتالة الناشئة.

ثانياً: أن الثغر الأوسط الأندلسي بلغ ذروة قوته وأهميته خلال عهود الخليفة الناصر لدين الله وابنه الحكم المستنصر والحاجب المنصور بن أبي عامر الذين وجهوا عنايتهم لتلك المنطقة الثغرية بإنشاء الحصون والأسوار والأبراج وغير ذلك من وسائل التحصين ، مما ساعد على تدعيم قدراتها العسكرية والدفاعية ، وتمكنت من التصدي بقوة لخطر النصارى الإسبان، ومنعت وصولهم إلى مدن وادي تاجه وخصوصاً طليطلة قاعدة منطقة وسط الأندلس.

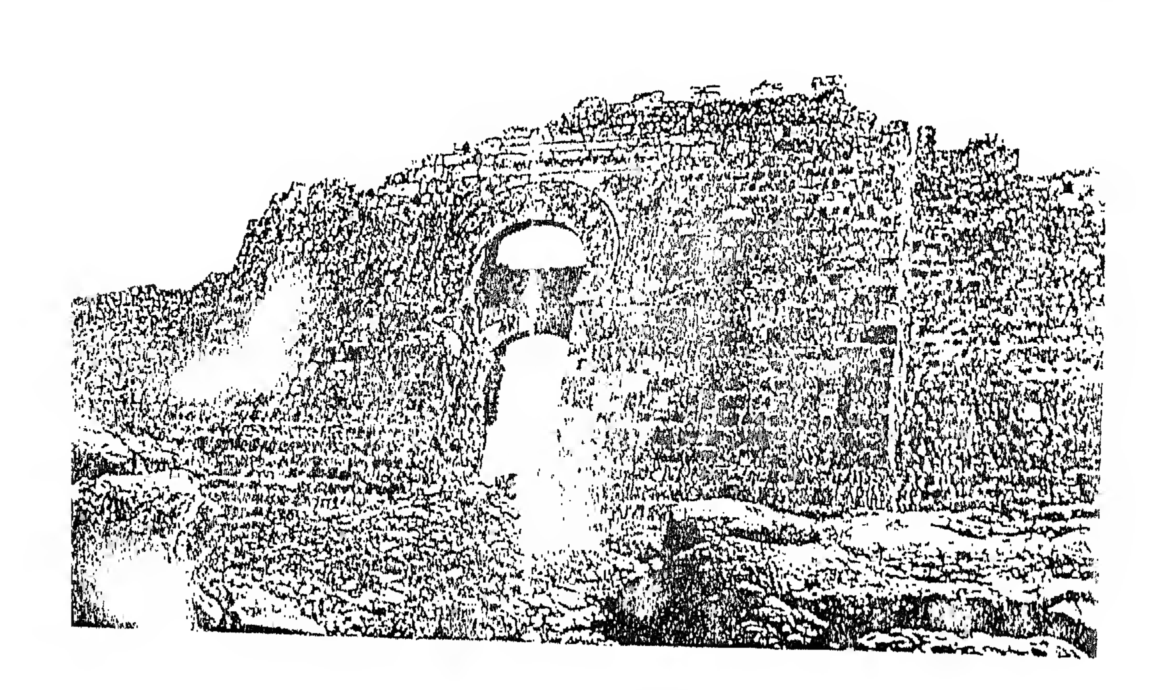
ثالثاً: أن سقوط حصون الثغر الأوسط الواقعة على وادي دويرة في أيدي نصارى قشتالة أثناء الفتنة القرطبية (أوائل القرن٥ هـ/ ١١م) مهد الطريق أمامهم للاستيلاء على بقية مدن وحصون الثغر الأوسط جنوبي وادي دويرة مثل مجريط ووادي الحجارة وطلمنكة وقلعة عبد السلام ، وهذا ما تحقق في عهد ألفنش أو الفونسو السادس Alfonso VI ملك قشتالة، الذي استولى علي مدن تلك المنطقة من يد بني ذي النون البربر أصحاب طليطلة في عصر الطوائف فيما بين سنتي ٤٧٦، ٤٧٨هـ/ ١٠٨٣ - ١٠٨٥م، ونتج عن ذلك سقوط طليطلة إحدى قواعد الأندلس الكبرى في يده في سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م وكان هذا نذيراً بسقوط بقية الثغور الأخرى، حيث سقطت سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى في يد ابن رذمير (ألفونسو الأول الملقب بالمحارب Alfonso I el Batallador) ملك أرغون (Aragon) في سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م.

برغش
إمارة قشتالة (القلاع)
(ليون)
قلونية
شنت أشتيبن (قاشتره موريش)
وخشمة
غرماج
سمورة
حصن برلنقة
حصن أنتشية
الثغر الأوسط
مدينة سالم
جبال وادي الرمل (جبال الشارات)
نهر وادي الحجارة
نهر هنارس
وادي الحجارة (مدينة الفرج)
مجريط
قلعة عبد السلام

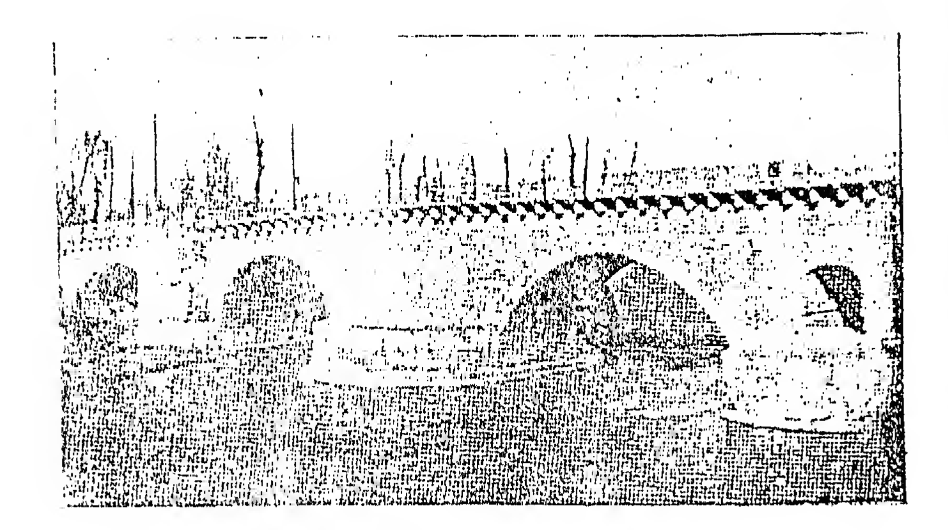
(خريطة لمدن وحصون الثغر الأوسط)
عن: ليفي بروفنسال



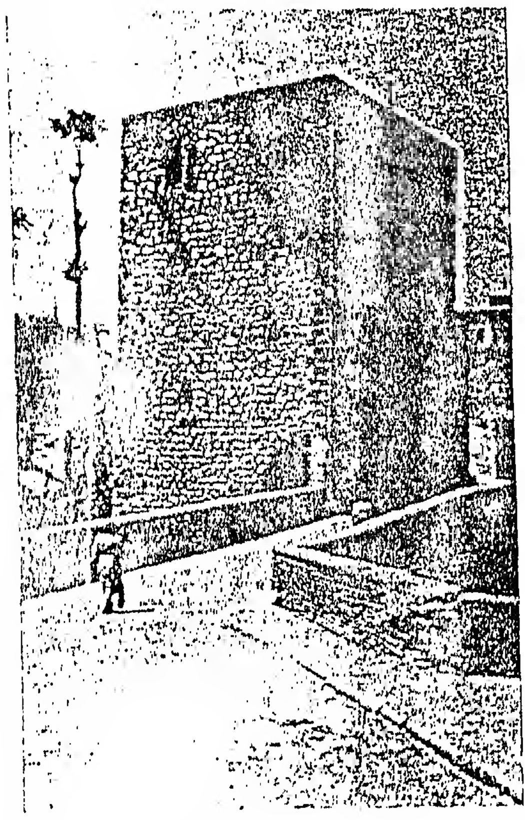
(Ar[illegible] Gayo Nuño: (عن) الجزء الجنوبي الشرقي من قصبة [illegible] غرماج



[illegible] الصور [illegible]
Ant[illegible] Nu[illegible] عن
[illegible] Ed



وادى الحجارة . القنطرة العربية على نهر هنارس (القرن العاشر إلى الحادى عشر) عن : محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية



وادى الحجارة . برج العلمين وبقية الأسوار الحصينة (عن : محمد عبد الله عنان)

مراجع و مصادر البحث

اولاً: المصادر العربية:

١ - ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، طبعة عزب العطار الحسيني، القاهرة سنة ١٩٥٦.

٢ - ابن الأبار: الحلة السيراء ، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة سنة ١٩٦٣.

٣ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، طبعة بيروت سنة ١٩٨٧.

٤ - الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، بدون تاريخ.

٥ - ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق إحسان عباس، بيروت سنة ١٩٧٨.

٦ - ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، طبعة بيروت سنة ١٩٨٣.

٧ - ابن حزم : نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق شوقي ضيف، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة: سنة ١٩٥١.

٨ - ابن حيان : قطعة من المقتبس، تحقيق محمود مكي، بيروت سنة ١٩٧٣.

٩ - ابن حيان: قطعة من المقتبس، تحقيق اسماعيل العربي، المغرب ١٩٩٠.

١٠ - ابن حيان: قطعة من المقتبس، ج٥، تحقيق بدرو شالميتا وكورينطي، مدريد سنة ١٩٧٩.

١١ - ابن حيان: قطعة من المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت سنة ١٩٨٣.

١٢ - ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق ليفي بروفنسال، الرباط، سنة ١٩٣٤ .

١٣ – ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، تحقيق ليفي بروفنسال ، الرباط، سنة ١٩٣٤.

١٤– ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، طبعة بيروت سنة ١٩٧١م.

١٥ – ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بدون تاريخ.

١٦ – ابن دراج القسطلي: ديوان ابن دراج، تحقيق محمود مكي، نشر المكتب الإسلامي، سنة ١٣٨٩هـ.

١٧ – ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢، ٣، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ، بيروت سنة ١٩٨٠م.

١٨ – ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الإبياري، نشر دار الكتاب المصري واللبناني ، بدون تاريخ

١٩ – الحميدي : جذوة المقتبس ، طبعة لجنة إحياء التراث ، القاهرة سنة ١٩٦٦.

٢٠ – الحميدي : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس، بيروت سنة ١٩٨٤.

٢١ – العذري: ترصيع الأخبار ، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة المعهد المصري، مدريد سنة ١٩٦٥.

٢٢ – المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق يوسف البقاعي، بيروت سنة ١٩٨٦.

٢٣ – مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، نشر دار الكتاب المصري واللبناني، سنة ١٩٨١.

٢٤ – مؤلف مجهول : ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا ، مدريد سنة ١٩٨٣.

٢٥ – مؤلف مجهول : مدونة الخليفة عبد الرحمن الناصر،نشر ليفي بروفنسال

وغرسيه غومث، مدريد سنة ١٩٥٠.

٢٦ - النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٣ (الخاص بالمغرب و الأندلس) تحقيق أحمد كمال زكي ، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، سنة ١٩٨٠م.

٢٧ - ياقوت الحموي: معجم البلدان ، طبعة بيروت، بدون تاريخ.

ثانيا: المراجع العربية الحديثة والمعربة:

١ - إبراهيم عبد المنعم سلامة: الأندلس بين سقوط الدولة العامرية ونهاية الخلافة الأموية، رسالة ماجستير غير منشورة، نوقشت بآداب الأسكندرية، سنة ١٩٩٣.

٢ - أحمد الطاهري: عامة قرطبة في عصر الخلافة الأموية، الرباط، سنة ١٩٨٨.

٣ - أحمد مختار العبادي (دكتور) : صور لحياة الحرب والجهاد في المغرب والأندلس، مجلة البينة، العدد التاسع، المغرب ١٩٦٣.

٤ - أحمد مختار العبادي (دكتور) : في تاريخ المغرب والأندلس ، الاسكندرية، بدون تاريخ.

٥ - حسين مؤنس (دكتور): فجر الأندلس: الدارالسعودية للنشر،جدة سنة ١٩٨٥.

٦ - حسين مؤنس (دكتور) : معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار المستقبل، القاهرة سنتة ١٩٨٠.

٧ - حمدي عبد المنعم محمد (دكتور): غالب الناصري ودوره في حوادث المغرب والأندلس، مجلة كلية الآداب - جامعة الأسكندرية، ١٩٨٩.

٨ - سحر عبد العزيز سالم (دكتور): تاريخ مدينة بطليوس الإسلامية، الاسكندرية سنة ١٩٨٩.

٩ - السيد عبد العزيز سالم(دكتور): تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، الاسكندرية ، بدون تاريخ.

١١ - كمال أبو مصطفى (دكتور): المولدون في الثغر الأعلى للأندلس ودورهم في عصر الإمارة، مجلة كلية التربية - جامعة الاسكندرية سنة ١٩٨٨ .

١٢ - محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، ق١، ٢، القاهرة سنة ١٩٨٨.

١٣ - محمد الفاسي: الأعلام الجغرافية الأندلسية، ضمن كتاب دراسات مغربية، الدار البيضاء سنة ١٩٨٨.

١٤ - محمود مكي (دكتور) : مدريد العربية ، نشر دار الكاتب العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

١٥ - ميشيل تيراس: أعمال التحصينات ذات طراز الخلافة في قشتالة، ترجمة حسين مؤنس، ضمن بحوث الدورة الخامسة للجلسات العلمية الأندلسية تقرير معهد الدراسات الإسلامية بمدريد سنة ١٩٦٦م.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

1 - AFIF Turk : El reino de Zaragozo, Madrid , 1978.

2 - Aguado Bleye : Manual de historia de España, t.I, Madrid, 1947 .

3 - Antonio Gayo Nuño : Gormaz, Castillo Califal, Revista al - Andalus, Vol, VIII, Madrid, 1943.

4 - Andrew Handler : The Zirids of Granada, Miami, 1974.

5 - Bosch Vila: Historia de Al barracion, t, II, Teruel, 1959.

6 - Huici Miranda : Historia musulmana de Valencia Ysu region, Valencia, 1969.

7 - Lene - Provencal : Histoire de l' Espagne musulmane, Paris, 1944 .

8 - Levi - provencal : L' Espagne musulmane au Xeme Siecle , Paris, 1932 .

9 - Oliver Asin (J) : Hestoria del nombre de Madrid , Madrid, 1958.

10 = Mahmud Ali Makki: Aproposito de la revolucion de Ubayd Allah b. al Mahdi . Revista del institute egpcio de Madrid, Vol, IX, 1961 - 1962 .

11 - Manuel Montero Vallejo: Madrid, Castillo Famoso, en Cangreso de al - Andalus, Al - Riaydh, 1993.

12 - Rachel Arié, España musulmana, Barcelona, 1984.

13 - Scales (peter) : The handing over of the Duero Fortresses, al - Qan tara, Vol, V, Fasc. 1-2, Madrid, 1984.

14 - Torres Balbas: Ciudades hispano musulmanas, Madrid.

الفهرس

الموضوع	الصفحة